

تأليف

الشيخ الجليل الفقيه العلامة إمام عصره وفريد دهره

أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي اليمني

رحمه الله تعالى

(٤٨٩-٥٥٨هـ)

اعتنى به

قاسم محمد النوري

المجلد الأول

المقدمات - الطهارة

دار المنهاج
للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان ـ بيروت ـ فاكس : ٧٨٦٢٣٠
ص. ب : ١٣/٥٥٧٤/ بيروت

الناشر
دار المنهاج
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

الموزعون المعتمدون

● السعودية : دار المنهاج للنشر والتوزيع ـ جدة
هاتف : ٦٣١١٧١٠ ـ فاكس : ٦٣٢٠٣٩٢
مكتبة دار كنوز المعرفة ـ جدة
هاتف : ٦٥١٠٤٢١ ـ فاكس : ٦٥١٦٥٩٣
مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة
هاتف : ٨٢٢٥٨١٧
مكتبة العبيكان ـ الرياض
٤٦٥٠٠٧١ ـ ٤٦٥٤٤٢٤ ـ فاكس : ٤٦٥٠١٢٩
● الإمارات العربية المتحدة : مكتبة دبي للتوزيع ـ دبي
٢٢١١٩٤٩ ـ ٢٢٢٤٠٠٥ ـ فاكس : ٢٢٢٥١٣٧
مكتبة الجامعة ـ أبو ظبي
هاتف : ٦٢٧٢٧٩٥ ـ ٦٢٧٢٧٢٦ ـ فاكس : ٦٢٧٠٧٢٩
● قطر : مكتبة الثقافة ـ قطر
٤١٣١٨٠ ـ ٤١٣٤٧١ ـ فاكس : ٤١٨١٢٠
● الكويت : دار البيان ـ الكويت
هاتف : ٢٦١٦٤٩٠ ـ فاكس : ٢٦١٦٤٩٠
● البحرين : المكتبة الوطنية ـ البحرين
هاتف : ٢٩٣٨٤٠ ـ فاكس : ٢٩٣٧٩٩
● مصر : دار السلام ـ القاهرة
٢٧٤١٥٧٨ ـ فاكس : ٢٧٤١٧٥٠

● الأردن : مكتبة دانديس ـ عمان
٤٦١٠٦١٠ ـ فاكس : ٤٦٣٣٢٤٥
● سوريا : دار الفكر ـ دمشق
٢٢١١١٦٦ ـ ٢٢٣٩٧١٦ ـ فاكس : ٢٢٣٩٧١٦
دار السنابل ـ دمشق
هاتف : ٢٢٣٣٢٦٣ ـ ٢٢١١٣٧١
● المغرب : دار الأمان ـ الرباط
٧٢٣٢٧٦ ـ فاكس : ٢٠٠٠٥٥
● جمهورية اليمن : مكتبة تريم الحديثة ـ تريم (اليمن)
هاتف : ٤١٧١٣٠
مكتبة الثقافة ـ عدن ـ هاتف : ٢٥٩٣٢٤
مكتبة الإرشاد ـ صنعاء ـ هاتف : ٢٧١٦٧٧
● ليبيا : مكتبة طرابلس العلمية العالمية ـ ليبيا
٣٦٠١٥٨٤ ـ ٣٦٠١٥٨٣ ـ فاكس : ٣٦٠١٥٨٥
● لبنان : الدار العربية للعلوم ـ بيروت
٧٨٥١٠٨ ـ ٧٨٥١٠٧ ـ فاكس : ٧٨٦٢٣٠
● فلسطين : مكتبة اليازجي ـ فلسطين
هاتف : ٢٨٦٧٠٩٩ ـ فاكس : ٢٨٦٧٠٩٩
● السودان : الدار السودانية ـ السودان
٧٨٠٠٣١ ـ فاكس : ٧٧٠٣٥٨

انترنت ـ النيل والفرات
WWW.neelwafurat.com
e-mail: info@neelwafurat.com

البيان

في مذهب الإمام الشافعي

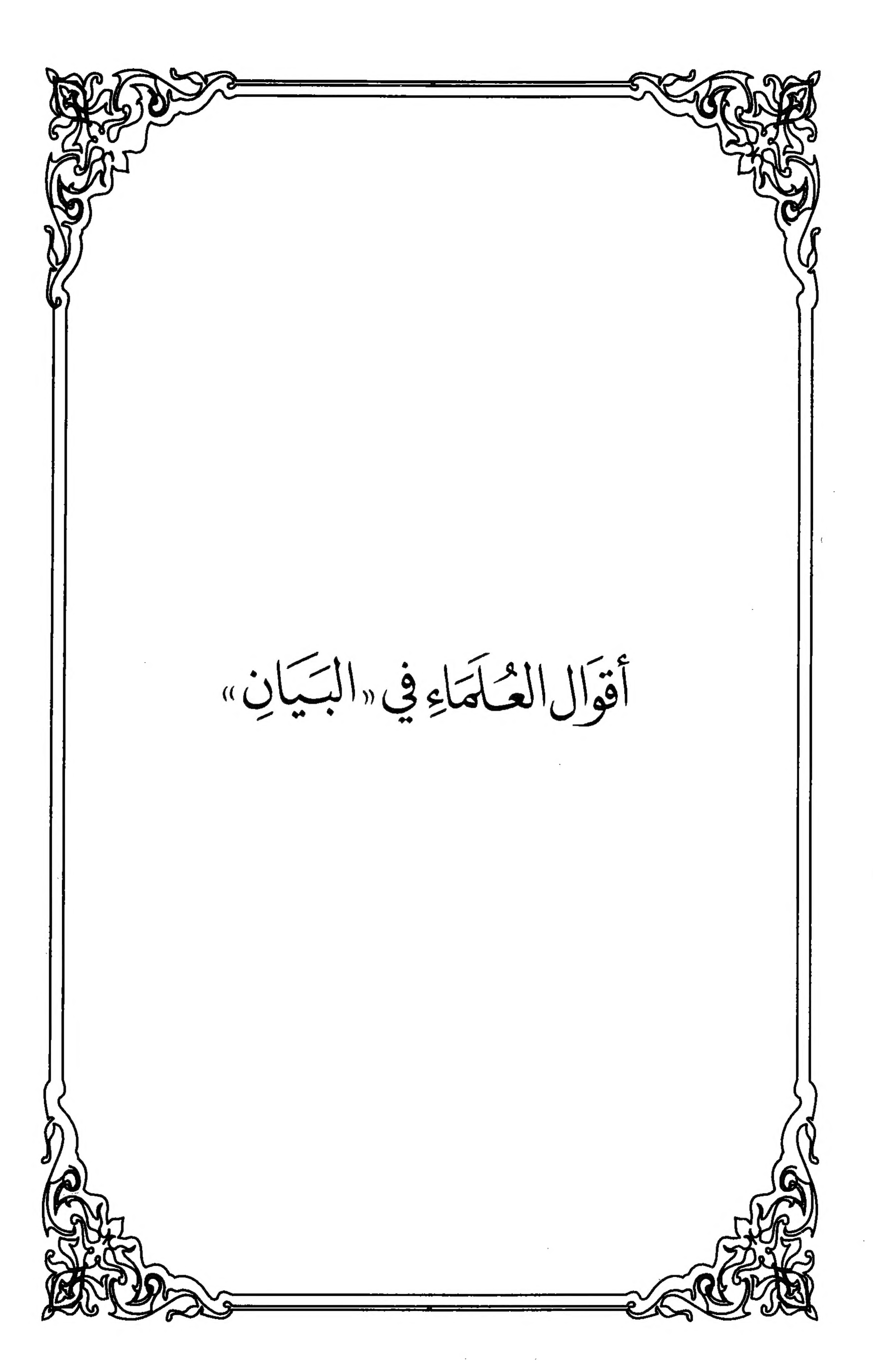


الصف والإخراج : محمد ياسر علوان

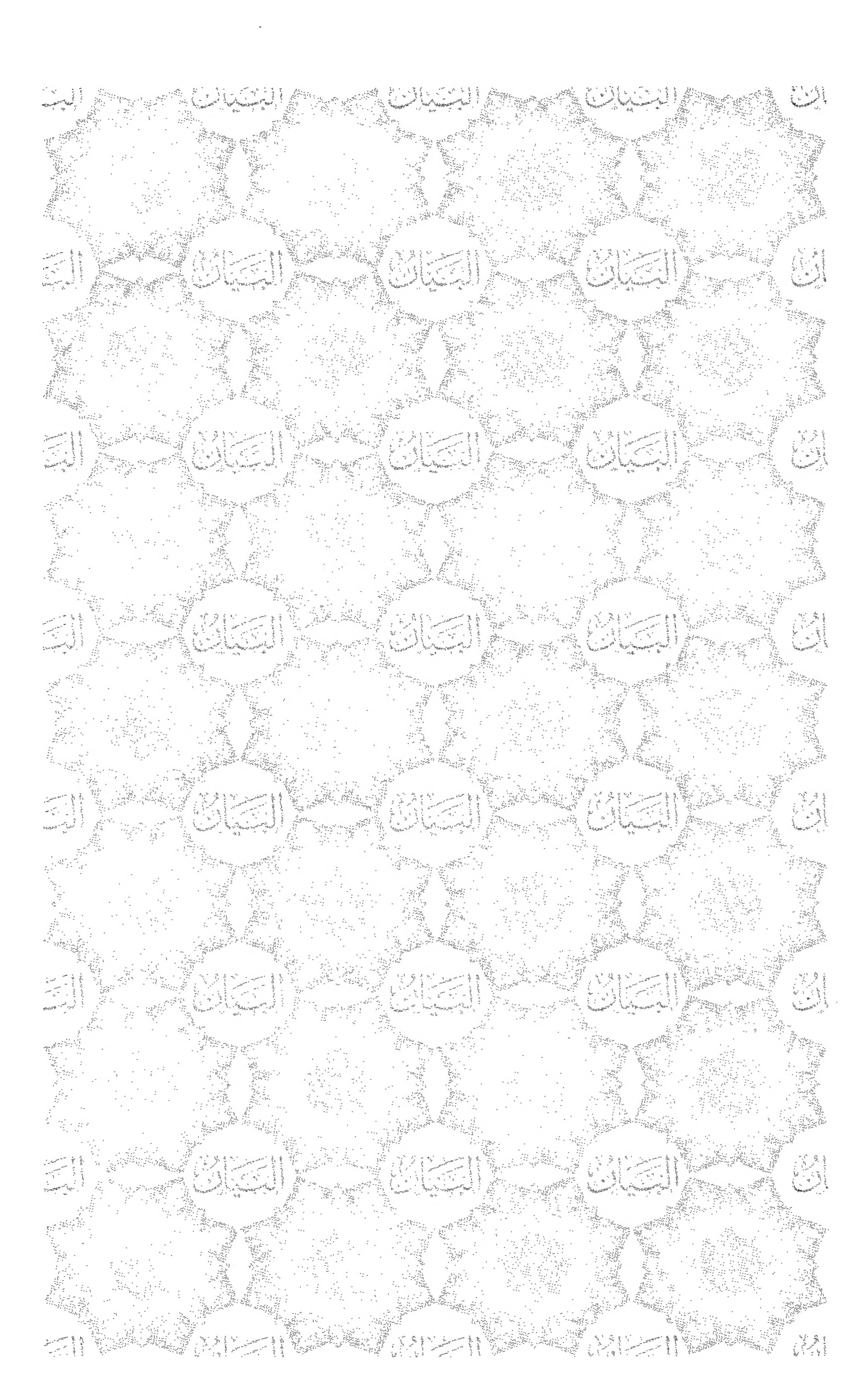
Damascus - Syria

Tel: 00963-11-2246012

Mobile: 00963-93-223327



أقوال العُلَماءِ في «البيانِ»



أقوال العلماء في «البيان»

كان كاسمه للشرع بيانًا، وللعلماء هدًى وتبيانًا، أجاب فيه عن المعضلات، وأوضح المشكلات، وقسم الأوصاف والاحترازات.

«ابن سمرة الجعدي»

إنه لما دُخل به إلى بغداد جُعل في أطباق مذهب، وطيف به مرفوعًا - وكان بخط علوان، وكان علوان خطاطًا بارعًا في الخط - فقال أهل بغداد: ما كنا نظن في اليمن إنسانًا حتى رأينا «البيان» بخط علوان.

«الزبيدي»

ما أشكلت عليّ مسألة في الفقه وفتشت لها «البيان» إلا وجدت فيه بيانها، وصحّ لي تبيانها.

«علي بن أحمد الأصبحي»

«البيان» كتاب عظيم لا أشفى منه لنفس الفقيه.

«الجندي»

لولا «البيان» ما وسعني اليمن.

«أحمد بن موسى بن عجيل»

انتحل الشروح المفيدة ، والأدلة السديدة ، والمسائل العتيدة ، والمعاني المتقنة ، والأقيسة الأكيدة ، وضمنها كتابه « البيان » ، وجمع فيه بين تحقيق العراقيين ، وتدقيق الخراسانيين ، بحيث إذا تأمله الحاذق الناظر ، وكدّ في جواهره الفكر والخاطر .. وسعه وكفاه واستغنى به عما سواه .

« بعض المحققين »

صاحب « البيان » كان يحفظ « المهذب » ، ويقوم به ليلة .. وشرحه بـ « البيان » إذا لم يقف على النقل قال : الذي يقتضيه القياس ، وأكثر فيه من إيراد أقواله .

« الإمام النواوي »

جعله تقي الدين السبكي في « تكملة المجموع » من أوائل موارده مع بقية مصنفاته .

كان صاحب « البيان » يأتي بالفصل من « المهذب » فيستخرج عليه فروعًا ومسائل ، ثم يؤكد ذلك بإيراد الدليل ، ثم يقول : إذا ثبت هذا .

كلمة النّاشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي بنعمتهِ تتمُّ الصالحاتُ ، وبجودِهِ تتنزَّلُ البركاتُ ، وفَّقَ أَهلَ الخيرِ للخيراتِ ، ودلَّهم عليهِ بالهداياتِ ، وأَرشدَهُم إليهِ بالنفحاتِ ، وأَكرمَ بعنايتهِ أَقواماً يُسارِعونَ في الخيراتِ ، وجَعلَ بتوفيقهِ إرادةَ الخيرِ في نَفْسِ عبدِهِ بتوجُّهِهِ للتفقُّهِ في الدِّينِ ، و : « مَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّيْنِ »[1] .

فلكَ ـ اللَّهمَّ ـ الحمدُ ، يا واهبَ الفضلِ والإِحسانِ ، ويا معطيَ النِّعمِ بلا عدٍّ ولا ٱمتنانٍ ، ولكَ الشكرُ علىٰ ما يسَّرتَ بتوفيقكَ ، وأَعنتَ وأَلهمتَ بفضلِكَ ، حمداً وشكراً يَستوفي الحدَّ ، ولا يَبلغُ العدَّ ، علىٰ متعاقباتِ إحسانكَ ، ومتتالياتِ جودِكَ وكرمِكَ وٱمتنانِكَ ، سبحانكَ لا نُحصي ثناءً عليكَ أَنتَ كما أَثنيتَ علىٰ نَفسِكَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ ينبوعِ الحكمةِ والحِكَمِ ، سيِّدِ العُربِ والعجمِ ، القائلِ ﷺ : « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ ، خيَارُهم فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم فِي ٱلإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوْا »[2] ، والقائلِ ﷺ : « أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ ، هُمْ أَرَقُّ الناس أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قلوباً ، ٱلإِيْمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ »[3] ، وفي حديثٍ آخَرَ قال ﷺ : « . . . الإِيمانُ يمانٍ ، وٱلفِقْهُ يَمَانٍ ، وَٱلحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ »[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) (١٠٠) في الزكاة .
(٢) أخرجه البخاري (٣١٣١) .
(٣) أخرجه البخاري (٤١٢٧) .
(٤) أخرجه مسلم (٥٢) في الإيمان .

وغيرَ ذلك مِنَ ٱلأَحاديثِ الواردةِ المنوِّهةِ بفضلِ أَهلِ (اليمنِ) ووَصْفِهِم بالفقهِ والحكمةِ ، و﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

ومِنْ هُنا ٱتَّجهتِ ٱلهِمَّةُ إِلىٰ إِخراجِ هـٰذا الكتابِ الموسوعي ، الذي لَم يُنسَجْ علىٰ منوالِهِ ، ولَم يأْتِ الزمانُ بمثالِهِ ؛ إِنَّه كتابُ « البيانِ » للإمامِ العمرانيِّ ، فمؤلِّفُهُ مِنْ أَساطينِ أَعلامِ (اليمنِ) الأَكابرِ ، مَن سَارتْ بذِكرِهِ الرُّكبانُ ، وطارتْ شهرتُهُ في الآفاقِ والبلدانِ .

وقد كفانا مهمَّةَ الكلامِ عنِ ٱلكتابِ ومؤلِّفِهِ ، محقِّقُ الكتابِ ؛ حيثُ تناولَ بشيءٍ مِنَ ٱلتوسُّعِ هـٰذا الأَمرَ .

وهـٰذا المؤَلَّفُ الحافلُ الذي يَبرزُ إِلىٰ النورِ وإِلىٰ فضاءِ الطباعةِ الرَّحيبِ للمرَّةِ الأُولىٰ . . هوَ لِعالِمٍ مِنْ أَعلامِ القرنِ السادسِ ، مِنْ عصرٍ مشحونٍ بكبارِ الأَئمَّةِ العلماءِ المجتهدينَ ، بلْ إِنَّ العمرانيَّ كانَ واسطةَ العِقْدِ بينَ جهابذةٍ أَكابرَ ، مِنْ أَمثالِ الإِمامِ الغزَّاليِّ ومَنْ في عصرِهِ إِلىٰ الإِمامِ النواويِّ ومَن في عصرِهِ ، وحسبُكَ بهِ مِنْ واسطةٍ ؛ فكتابُهُ مِنْ كُتبِ المتقدِّمينَ ، التي فيها الخيرُ كلُّهُ والبركةُ والنورُ ، والتي قالَ فيها أَهلُ العِلمِ : (مَنْ أَرادَ التقدُّمَ . . فعليهِ بكُتبِ المتقدِّمينَ . وكُتبُ السلَفِ القديمةُ فيها الدليلُ والتعليلُ والتنظيرُ . بلْ إِنَّه مِنِ ٱحتياطِ الأَوَّلينَ وفرارِهم مِنْ كَتمِ العِلمِ حَكَوا ٱلأَقوالَ والأَوجُهَ ، ولا رَجَّحوا ـ مثلَ هـٰؤلاءِ المتأَخِّرينَ ـ لأَنَّهم ما عندَهُم قويٌّ ولا ضعيفٌ ، بلَّغوا كما سَمعوا)[1] .

والسلَفُ المتقدِّمونَ بيَّنوا منطوقَ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وبيَّنوا مفهومَهُما ، وٱحترزوا في تعبيرِهِم عمَّا يَدخلُ علىٰ الأَفهامِ ، مِنَ ٱلخطأِ والوهمِ بسببِ

---

(١) يدلُّ على نحو هذا ما جاء في حديث ابن مسعود عند الترمذي (٢٦٥٩) في العلم : «نضَّرَ اللهُ ٱمْرَءاً سمعَ منَّا شيئاً فبلَّغهُ كما سمعَ ، فرُبَّ مبلَّغٍ أوعىٰ من سامعٍ» ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسنٌ صحيحٌ .

ٱلاختصارِ ؛ فلهٰذا تجدُ عباراتِهم شارحةً للكتابِ والسُّنَّةِ ، والمطَّلعُ عليها يطَّلعُ علىٰ التفسيرِ والحديثِ ، والحُكْمِ المستنبَطِ مِنْ ذٰلكَ والقياسِ عليهِ)[1] .

هٰذا هوَ العِلمُ . . ولمزيد شرف ورفعة ومكانة العِلمِ فقد اختصَّه الحبيب الأعظم ﷺ بطلبَ الزيادةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] . . وفي هذا الغايةُ في شرف العلم وأهل العلم .

ولعلَّ قائلاً يقولُ : لماذا طباعةُ هٰذا الكتابِ الضخمِ ؟ وما حاجةُ الناسِ إليهِ ؟ أَو أَيَّ عبارةٍ يُفهَمُ منها ذلكَ . . فنقولُ : إنَّ هٰذا الكلامَ لا غرابةَ في صدورِهِ ؛ فقد قيلَ مثلُ ذٰلكَ عندما شرحَ السيِّدُ مرتضىٰ الزبيديُّ كتابَ « إحياءِ علومِ الدِّينِ »[2] وكتاب «القاموس المحيط»[3] ومضىٰ القائلونَ ، وبقي « شرحُ إحياءِ علومِ الدِّينِ » و« شرح القاموس » مَعيْناً ينهل منه المتطلِّعونَ ويؤمُّهُ المتشوِّفونَ إلىٰ العِلمِ وإلىٰ الاستزادةِ منهُ .

والمتقدِّمونَ مِنَ السّلفِ كانوا إذا خَرجَ كتابٌ مثلُ هٰذا . . ٱحتفلوا بهِ وٱغتبطوا ؛ لمكانةِ العِلمِ وأَهلِ العِلمِ فيهم ؛ فلذا طابَ وقتُهم ، وظهرَ فيهم مِنْ صوَرِ الحضارةِ والتقدُّمِ والنهضةِ ما بلغوا بهِ عَنانَ السماءِ ، وعلىٰ عكسِهم بلغَ بنا الحالُ إلىٰ حضيضِ الجهلِ والتخلُّفِ ما بلغَ ، ممَّا لا مزيدَ عليهِ ؛ بسببِ إهمالِنا للعِلمِ ولأَهلِ العِلمِ .

وقد قالَ الأُستاذُ المحقِّقُ المعروفُ محمَّدُ محيي الدِّينِ عبدُ الحميدِ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : (ما مِنْ أُمَّةٍ ٱنقطعَتِ ٱلصلةُ ما بينَ حاضرِها وماضيها ـ وبخاصَّةٍ إذا كانَ هٰذا الماضي مشرقاً مجيداً ـ إلاَّ صارَ أَمرُها إلىٰ فناءٍ)[4] . ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ .

---

(١) منقول من منطوق كلام الإمام العلامة أحمد بن حسن العطاس .

(٢) المسمىٰ « إتحافُ السادةِ المتَّقينَ في شرحِ إحياءِ علومِ الدِّينِ » .

(٣) المسمىٰ « تاج العروس بشرح جواهر القاموس » .

(٤) من مقدمة كتاب « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » ، والأستاذ محمد محيي =

فإذا أَردنا قيامَ نهضةٍ . . فلا يكونُ ذلكَ إلاَّ بالعِلمِ ، فلا بدَّ مِنْ تعظيمِ ما عظَّمَ مَنْ قَبلَنا ، وكما قيلَ : (لا يَصلحُ حالُ آخِرِ هـٰذه الأُمَّةِ إلاَّ بما صلُحَ بِهِ حالُ أَوَّلها . .) . وحالُ الأوَّلين مِنَ ٱلأَسلافِ المتقدِّمينَ هوَ العِلمُ والخشيةُ التي هيَ مِنْ نتاجِ العِلمِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨].

وإننا نرجو بهـٰذا الكتابِ أَنْ نكونَ قد وَضعنا لبنةً في صرحِ النهضةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ . . ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود: ٨٨].

وأُمَّةُ الحبيبِ ﷺ كالغيث ، لا يُدْرىٰ الخيرُ في أَوَّلها أَو في آخِرِها[1] ، نسألُ اللهَ تعالىٰ أَن يكونُ هـٰذا الكتابُ مِنْ مظاهرِ الخيرِ التي بَرزَتْ في الوقتِ الأَخيرِ ، وما ذلكَ علىٰ اللهِ بعزيزٍ . . .

وإذا كانَ الإمامُ العمرانيُّ قدِ ٱستغرقَ ستَّ سنواتٍ في تأليفهِ لهـٰذا الكتابِ المبارَكِ ، الذي يُعدُّ شرحاً كاملاً لكتابِ « **المهذَّبِ** » للإمامِ الشيرازيِّ ، والذي ٱستغرقَ في تأليفهِ أَربعةَ عشرَ عاماً . . فإنَّ مجهودنا في إِخراجِ هـٰذا الكتابِ قدِ ٱستغرقَ أَربعينَ شهراً ، وقد وُفِّقْنا لعدَّةِ أُمورٍ في إخراجهِ :

أَوَّلُها : التحقيقُ الذي قالَ عنهُ الأُستاذُ محمَّدُ محيي الدِّينِ عبدُ الحميدِ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في معرضِ حديثهِ عَنِ التأليفِ وتحقيقِ كُتبِ التراثِ والفارقِ بينهُما : (ولا يَسعني في هـٰذا المقامِ إلاَّ أَنْ أُنبِّهكَ إِلىٰ حقيقةٍ قد تُغفِلُها أَو تتشكَّكُ فيها إذا عَرضَتْ لكَ ؛ أُحبُّ أَنْ تعلمَ أَنَّ الجهدَ الذي يَبذلُهُ مَنْ يُحقِّقُ

= الدين عبد الحميد (١٣١٨ هـ ـ ١٣٩٢ هـ) من العلماء المعروفين الذين ساهموا في إحياء التراث وإخراجه بصورة عصرية مع المحافظة على خصائصه والتأدُّب مع السابقين ، رحمه الله تعالىٰ .

(١) معنى حديث نبوي رواه عن أنس أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٣)، والترمذي (٢٨٧٣) في الأمثال بلفظ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره». وقوله ﷺ : « أمتي أمة مباركة لا يُدرىٰ أولها خير أو آخرها » رواه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان بن عفان مرسلاً . . قال عنه الذهبي: ثقة كما في «الجامع الصغير» (١٦٢٠) و«كشف الخفاء» (٥٩٨) .

كتاباً مِنْ كُتبِ أَسلافِنا لا يَقلُّ عنِ ٱلجهدِ الذي يَبذلُهُ مؤَلِّفُ كتابِ حديثٍ ، بلْ أَنا أُجاهِرُ بأَنَّ جُهدَ الأَوَّلِ فوقَ جهدِ الثاني ، وفرقٌ بينَ مَنْ يَعمدُ إِلىٰ المعارفِ فيختارُ منها ما يشاءُ ، ثمَّ يُعبِّرُ عمَّا ٱختارَ بالأُسلوبِ الذي يَرضاهُ ، وبينَ آخرَ لا يَسعُهُ إِلاَّ إِثباتُ ما بينَ يديهِ بالأُسلوبِ الذي ٱختارَهُ صاحبُهُ منذ مئاتِ السنينِ ، وهوَ بينَ عباراتٍ شوَّهها التحريفُ وغيَّرَ الكثيرَ منها تعاقُبُ أَيدي الكُتَّابِ والصفَّافينَ ، وأَكثرهُم ممَّنْ لا يَتَّصلُ بالعِلمِ مِنْ قريبٍ أَو بعيدٍ)[1] .

ثانيها : إِخراجُ الكتابِ بمظهرٍ مِنْ مظاهرِ الجودةِ ، تعظيماً للعِلمِ وأَهلهِ ، فمِنْ جلبِ مخطوطاتهِ المتراميةِ الأَطرافِ في الأَصقاعِ والبلدانِ المختلفةِ ، وشكلِهِ بالكاملِ ، وتصحيحِهِ ومراجعتهِ علىٰ يدِ نخبةٍ منْ أَهلِ العِلمِ ، بالإِضافة إِلىٰ أُمورٍ فنيَّةٍ أُخرىٰ تناولها محقِّقُ الكتابِ بالذِّكرِ ، وأُمورٍ سيدركُها القارىءُ الكريمُ عندَ تصفُّحهِ لثنايا الكتابِ ، ولننظر قولَ الأُستاذِ محمَّدٍ محيي الدِّينِ عبدِ الحميدِ عن ذلكَ : (لا أَشكُّ في أَنَّ بينَ أَيدينا ثروةً يحسُّ بها المستشرقونَ أكثرَ ممَّا نحسُّ بها نحنُ أَبناءَ هـٰؤلاءِ المورِّثينَ ، وأَنَّا نضيِّعُ هـٰذهِ الثروةَ بأَحدِ سببيْنِ لا ثالثَ لهما :

أَوَّلهما : الانصرافُ عنها إِلىٰ الافتتانِ بالغربِ وعلومِ الغربِ ، وردُّ كلِّ نبوغٍ وفوقٍ إِلىٰ نبوغِ الغربِ وفوقهِ .

ثانيهما : الاقتناعُ مِنْ باعةِ الكُتبِ بأَنْ يُظهروا لنا كُتبَ أَسلافِنا علىٰ صورٍ مشوَّهةٍ ممسوخةٍ ، لا تسدُّ نهمةً ، ولا تَبُلُّ أواماً[2] ، ولَو أَننا أرغمناهُم علىٰ أَنْ يُظهروها موافقةً لروحِ العصرِ الحديثِ . . لاستطعنا أَنْ نفيدَ وأَنْ نجدَ في ميراثِنا النفعَ والغَناءَ)[3] .

---

(١) من مقدمة كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » .

(٢) الأُوام : حرّ العطش.

(٣) من مقدمة كتاب « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » ص ٧ .

وأخيراً : نسألُ اللهَ تعالىٰ أَنْ يَجعلَ عَمَلنا وجهدَنا في هـٰذا الكتابِ مقبولاً ، وسعيَنا فيهِ مشكوراً ، وأَنْ يُكرمَنا بحصولِ النفعِ الخاصِّ والنفعِ العامِّ بهـٰذا الكتابِ ، وأَنْ يُيسِّر ٱنتشارَهُ ووصولَهُ إِلىٰ بلادِ ٱلإِسلامِ والمسلمينَ في أَنحاءِ الأَرضِ ، وأَنْ يكونَ مِنَ ٱلمناهلِ العذبةِ التي يرتوي منها أَهلُ العِلمِ ويُعوَّلُ عليها ويُرجَعُ لَها ، وأَنْ يجزيَ كلَّ مَنْ ساهمَ وأَعانَ في إِخراجِ هـٰذا الكتابِ بالخيرِ الكثيرِ ، والرزقِ الوفيرِ .

وأَسأَلُهُ ـ سبحانَهُ ـ أَنْ يجعَلَ العِلمَ حُجَّةً لنا لا حُجَّةً علينا ، وأَنْ لا يَحرمَنا خيرَ ما عندَهُ لِشرِّ ما عندنا ، إِنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ . وآخِرُ دعوانا أَنِ ٱلحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ ، وسلامٌ علىٰ المرسلينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلَّمَ .

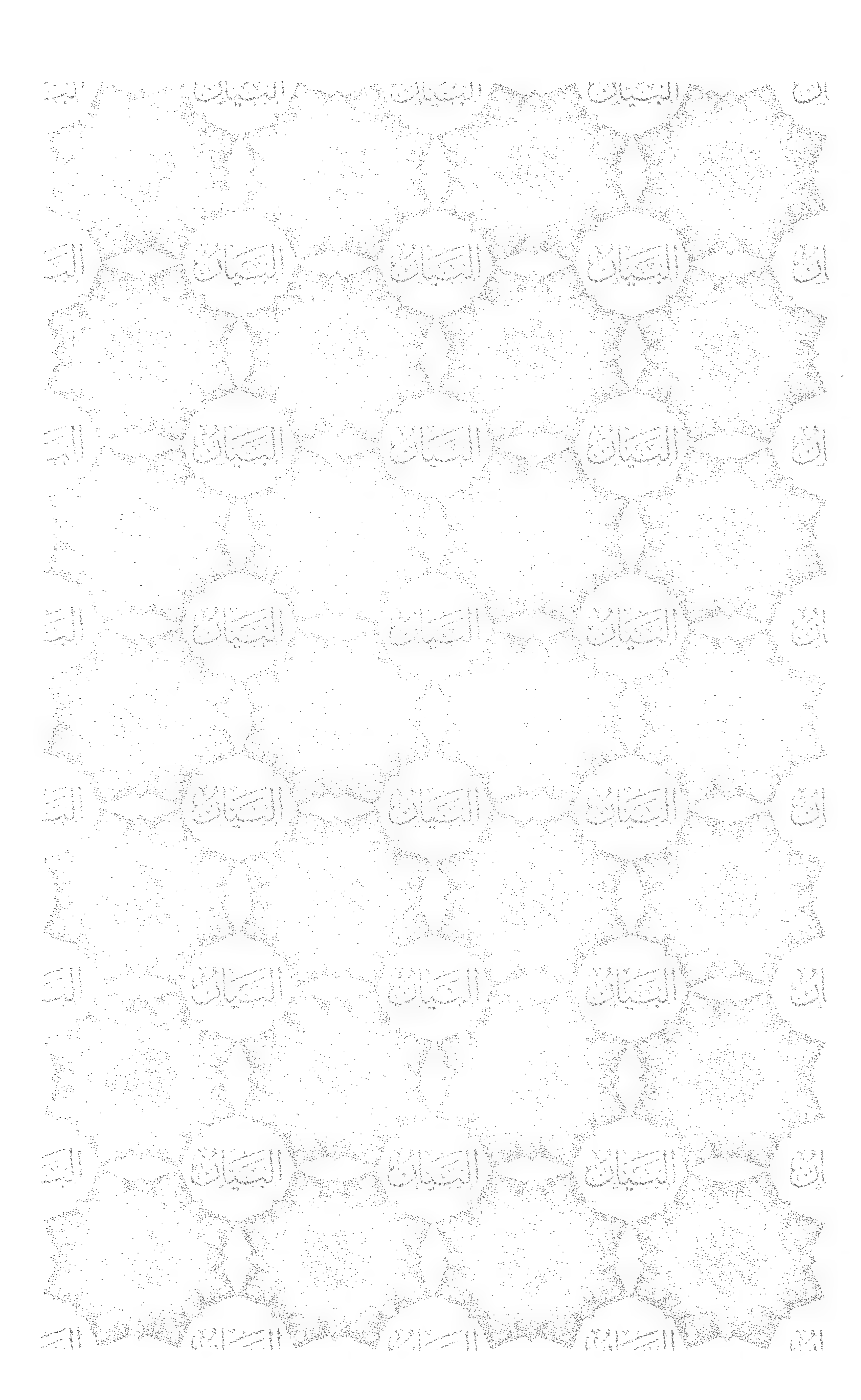
النَّاشِر

في ليلة ٢٤ من رمضان المبارك عام ١٤٢٠ هـ

١ من كانون الثاني عام ٢٠٠٠ م



مقدّمة التحقيق



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمدُ للهِ بارىءِ البريّاتِ ، وغافرِ الخطيئاتِ ، وعالمِ الخفيّاتِ ، المطّلعِ على الضمائرِ والنيّاتِ ، الذي خلقَ الإنسانَ ، وعلَّمَهُ البيانَ ، وألهمَهُ التبيانَ ، وتمّمَ عليه الجودَ والفضلَ والإحسانَ . أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً ، ووسعَ كلَّ مخلوقاتِهِ رحمةً وحلماً . لا تغيِّرُهُ الأعصارُ ، ولا تتوهّمُهُ الأفكارُ ، وكلُّ شيءٍ عندَه بمقدارٍ . أتقنَ ما أبدعَ وأحكمَهُ ، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ وعَلِمَهُ ، وخصَّ بالعلم مِنْ خلقِهِ مَنْ كرَّمهُ . وحضَّ عبادَه المؤمنين على النَّفيرِ للتّفقّه في الدّين ، فقال وهو أصدقُ القَائلينَ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة : ١٢٢] ندبهمْ إلى إنذارِ بريّتِهِ ، ومنحهمْ ميراثَ أهل نبوّتِهِ ، ورضيهم للقيامِ بحجّتِهِ ، واختصّهم من بينِ عبادِهِ بخشيتِهِ ، فقالَ جلَّ شأنُهُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ثمَّ أمرَ الناسَ بسؤالِهم والرجوعِ إليهم بعمومِ قولِهِ جلَّتْ عظمتُهُ : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] ، وجعلَ علامةَ انحدارِهم وضلالِهم ذهابَ علمائِهم واتّخاذَ الرّؤوسِ من جُهَّالِهم . مصداقاً لقولِه ﷺ : « إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعُهُ من الناسِ ، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ ، حتّى إذا لم يَبقَ عالمٌ اتّخذَ الناسُ رُؤوساً جُهّالاً ، فسُئلوا ، فأفتَوا بغيرِ علمٍ ، فضلّوا ، وأضلّوا »[1] .

وللتنويه بعظمة حقِّ الفقهِ في الدين قال ﷺ : « مَنْ يردِ الله بِهِ خيراً يفقهْهُ في الدينِ »[2] . وقال ﷺ حاضّاً على التعليم : « من سُئلَ عن علمٍ فكتمَهُ ألجمَهُ اللهُ

---

(١) أخرجه عن ابن عمرو رضي الله عنهما البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) في العلم ؛ وابن ماجه (٥٢) في المقدمة .

(٢) أخرجه عن معاوية رضي الله عنهما البخاري (٧١) في العلم ، ومسلم (١٠٣٧) في الزكاة . =

بلجامٍ منَ النارِ يومَ القيامةِ »[1] . وقال أيضاً : «إن الناس لكم تبع ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»[2] .
وصلَّى اللهُ على سيدنا محمّدٍ المصطفىٰ ، وصفيِّهِ المُرتضىٰ ، وحَبيبه المُجتبىٰ ، نبيِّ الرحمةِ ، الداعي إلى ربِّهِ بالحِكمةِ ، والكاشفِ برسالتِهِ جَلابيبَ الغُمَّةِ ، والمبعوثِ إلى خير أمة أخرجت للناس . أرسلهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنهِ وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آله الأبرارِ ، وأصحابهِ الأخيارِ ، مِن المهاجرينَ والأنصارِ وسَلَّمَ تَسليماً .

أما بعدُ : فإنَّ اللهَ جلَّ ذكرهُ ، برحمتِهِ وطَولِهِ ، وقوتِهِ وحولِهِ ، ضمنَ بقاءَ طائفةٍ من هذهِ الأمةِ على الحقِّ لا يضرُّهُم من خَذَلَهم ، حتَّى يأتي أمرُ اللهِ وهُم على ذلكَ[3] ، وجعلَ السَّببَ في بقائِهم بَقاءَ عُلمائِهم ، واقتداءَهُم بأئمَّتِهم وفقهائِهم ، وجعلَ أمرَ هذه الأمةِ مع علمائِها ، كالأُممِ السّالفةِ مع أنبيائِها ، وأظهرَ في كلِّ طبقةٍ من فقهائها أئمةً يُقْتدىٰ بهم ، ويُنتهىٰ إلىٰ أمرِهم ، وجعلَ في سلف هذه الأمَّةِ أئمّةً

= وروىٰ عن أبي هريرة الدارقطني في « السنن » (٣/ ٧٩) : « ما عُبدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من فقهٍ في دينٍ ، ولفقيهٌ أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابدٍ ، ولكلِّ شيءٍ عمادٌ ، وعمادُ هذا الدين الفقهُ » فقال أبو هريرة : (لأنْ أجلسَ ساعةً فأفقهَ ، أحبُّ إليَّ من أن أحيي ليلةً إلى الغداةِ) . قال في « التعليق المغني »: رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه يزيد بن عياض . قال في « التقريب » كذبه مالك وغيره ، وروى له الترمذي وابن ماجه . ، وفي الباب :
عن ابن عباس روى الترمذي (٢٦٨٣)، وابن ماجه (٢٢٢) : «فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد» وقال الترمذي : غريب.
وعن ابن مسعود موقوفاً روى الطبراني في «الكبير»: (المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة).
وروى الدارقطني في «السنن» (٣/ ٨٠) عن علي ورفعه: «الأنبياء قادة، والعلماء سادة. .» وفيه الحارث الأعور، وهو ضعيف.
قادة: يقودون الناس بالعلم والموعظة. سادة ـ جمع سيد ـ: من يفوق قومه بالخير والشرف.
(١) أخرجه عن أبي هريرة أبو داود (٣٦٥٨) ، والترمذي (٢٦٥١) في العلم وحسنه .
(٢) رواه عن أبي سعيد الترمذي (٢٦٥٢) في العلم بإسناد ضعيف.
(٣) ورد هذا المعنى في أحاديث كثيرة عن أحد عشر من الصحابة . انظر لذلك : « الفتح الكبير » (٣/ ٣٢١ و٣٢٢) .

من الأعلامِ ، مهّدَ بهم قواعدَ الإسلام ، وأوضحَ بهم مشكلاتِ الأحكامِ ، اتّفاقُهم حجّةٌ قاطعةٌ ، واختلافُهم رحمةٌ واسعةٌ[1] ، تحيا القلوبُ بأخبارِهم ، وتحصلُ السعادةُ باقتفاءِ آثارِهم ، واختصَّ منهم جَماعةً أعلىٰ قدرَهم ومناصبَهم ، وأبقى ذكرَهم ومذاهبَهم ، فعلىٰ أقوالِهم مدارُ الأحكامِ ، وبمذاهبهم يأخذ فقهاءُ الإسلامِ ، على مرورِ الزمانِ والأيامِ. ومن هؤلاءِ : الإمامُ العمرانيُّ صاحبُ هذا السِّفْرِ العظيمِ الذي نقدمُهُ للقراء لأوّلِ مرةٍ ، وهو من أجلِّ كتبِ الفقهِ التي انتهتْ إلينا من تراثِ فقهائِنا السابقينَ لِمَا حَواهُ من ترتيبٍ ، وتنقيحٍ ، وتوثيقٍ ، وإحكامٍ ، وإحاطةٍ ، وشمولٍ مع حسْنِ سبكٍ ، وقدرةٍ بارعةٍ على غربلةِ مسائلِ الأحكامِ ، وجمعِها ونظمِها وتمحيصها وتنقيدها وبيانِ حالها ، فهو يُبينُ عن سعةِ اطِّلاعِ المؤلِّفِ علىٰ ما سَبقَه من تواليفَ موضوعةٍ في هذا الباب ـ كما يَدُلُّ على دِرايتِهِ التامَّةِ في هذا الشأنِ : حفظُهُ « للمهذبِ » وغيرِه من كتبِ الأئمةِ حتى جمع « الزوائد على المهذبِ » ـ وهذه فكرةٌ مبتكرةٌ آنذاك ـ ثم أوضح « مشكلاتِه » وبعد تكرارِه كراتٍ عن ظهرِ قلبٍ أَلَّفَ كتابَ « البيانِ » الذي كانَ فريداً في بابَتِه ، حتىٰ جاءَ أئمةٌ بعدَهُ ، اقتفوا أَثَرَهُ ونهلوا من معينه ، وسلكوا منهَجَهُ ، وبَرَزت مؤلفاتُهم للعيانِ ، فكان فيها التبيانُ ، فصارَ إليها المرجعُ في المشكلاتِ ، وعليها يُعتمدُ في المعضلاتِ ـ وأعني بذلك نوعاً من كتب الفقهِ بما يسمَّىٰ اليومَ : بالفقهِ المقارنِ مثل كتابي أبي محمد عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ قُدامةَ ت سنة: (٦٢٠) هـ في « المغني » ، وأبي زكريا يحيى بنِ شرفٍ النَّواويِّ ت سنة: (٦٧٦) هـ في « المجموع » الذي شرحَ « المُهَذَّب » فقد أبانا في

---

(١) ويروىٰ في هذا المعنى : « اختلاف أمتي رحمة » قال عنه مُلاَّ عليٌّ القاري في « الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » (١٧) : لا أصل له . والمراد به الاختلاف بين الأئمة الأعلام في الفروع التي مبناها الاجتهاد الصحيح ؛ لأن الله لم يجعل على المسلمين في الدين من حَرج لطفاً وإكراماً ، فكان في ذلك توسعةٌ على المكلفين وإنعاماً .

قال عمر بن عبد العزيز : ما سرني لو أن أصحاب محمَّدٍ لم يختلفوا ؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة .

قال السيوطي : وهذا يدلُّ على أنَّ اختلافهم في الأحكام ، والله أعلم .

كتابَيهما ما اختُلفَ فيه ، ومَا أُجمِع عليه غالباً ، وذكرا لِكلِّ إمامٍ ما ذهبَ إليهِ ، تبرُّكاً بذكرِهم ، وتَعرِيفاً لمذاهبِهم ، كما أشارا إلى دليلِ بعضِ أقوالهِم على سبيلِ الاختصارِ ، واقتَصرا من ذلك على المختارِ ، مع ما نَسبا من الأخبارِ إلى كتبِ أئمةِ علماءِ الآثارِ ، لتحصلَ الثقةُ بمدلولهما ، وليُميزَ القارىءُ بين صحيحِ الأدلةِ من معلولِها ؛ فيعتمدَ على معروفِها ، ويُعرضَ عن مجهولِها ، وهذا كلُّه تراه جلِيّاً في كتابِ « البيانِ » الذي أرادَ أن يكونَ فيه فقهُ المسلمينَ كافَّةً فهو يذكرُ أقوالَ علماءِ الصحابةِ والتابعينَ ، وعلماءِ الأمصارِ المشهورينَ ، والأئمةِ المتبوعين ، ويحكي أدلّةَ كلٍّ منهم ، وإذا ما رجح مذهب الشَّافعيِّ ـ في كثيرٍ من المسائلِ ـ فإنه لا يَنتقصُ غيرَه ، ولا يحملُه التعصُّبُ على كِتمانِ شيءٍ من أدلتِهم ، ولا يتكلفُ الطعنَ فيها كما يفعلُ أَهلُ الجُمودِ وقلة الأدبِ من المقلِّدين .

تميز أسلوبه رحمه الله في هذا الكتاب بأنه افتتح كلَّ كتابٍ أو بابٍ بأدلةِ الكتابِ والسنةِ والإجماعِ والقياسِ إذا وجدت . لخَّصَ مذاهبَ فقهاءِ ومجتهدي المسلمينَ مع أدلتِها . ذَكر أغلبَ مهماتِ المسائلِ في المذاهبِ فأَغنى عن الرجوعِ إلى كتبِهم . كفى مهمةَ مراجعةِ كتبِ السننِ والآثارِ لمعرفةِ مذاهبِ الصحابةِ والتابعينَ ، بيّن مسائلَ الإجماعِ والخلافِ ، والأقوالَ والأوجهَ .

كان مدارُ تثبيتِه الحكمَ على الدليل وصحته ، أو على القياسِ عندَ فقدِه ، فجاءَ بحقٍّ فيه الغاية القصوىٰ في بيان التحقيق والدراية والفتوى، ولا يخفى أنه أحد كنوز التراث العلمي الضخم الذي يُعدُّ مصدر فخر واعتزاز للأمة ليُروي عطش الظمأىٰ من طلاب العلم والمعرفة .

فجاء هذا الكتابُ كما قيل : بَحرٌ زاخرةٌ أمواجُه ، وبَرُّهُ وعْرةٌ فِجاجُه ، أسأل الله أن يجعلهُ لي ذخراً ، ويعظم لي به أجراً. ولم آلُ جُهداً في تحقيقِ هذا الكتابِ ـ والله الموفق ـ في إجمالِ الطَلبِ ، وابتغاءِ الأرَبِ ، وأن يجعله قدوة للباحثين والناشرين ، وبخاصة كتب الفقه الإسلامي على نحو هذا المضمار الفاخر . بهذه الحلة القشيبة .

ولله المنعم المتفضل الحمدُ ملءَ السماواتِ والأرضِ وملء ما يشاءُ من شيءٍ

بَعْدُ ، فهو أَهلُ الثناءِ والمجدِ ، على جزيلِ طَولِهِ وإنعامهِ ، وإليه المفزعُ في الإسعادِ بالزُّلفَى يومَ المعادِ ، والأمنِ من الفزعِ يومَ التنادِ ، وأن يُوزعني شكرَ ما مَنحنيهِ من الهدايةِ ، وجَنَّبَنيهِ من الغِوايةِ ، وآتانيهِ من نعمةِ الفهمِ والدِّرايةِ ، وإليه أرغبُ تعالى أن يجعلَ للناشرِ والناظرِ وجميعِ الذينَ عملوا فيهِ ـ قليلاً أو كثيراً ـ عطاءً يَتصلُ طارِفُهُ وتليدُهُ ، ولباساً لا يبلى جديدُهُ ، وذُخراً لا يفنى عتيدُهُ ، وحَباءً دائماً يورقُ عُودُه ، وتثمرُ وعودُه ، فإنه على ما يشاءُ قديرٌ ، وبالإجابةِ جديرٌ .

* * *

الفِقهُ نَشأتهُ وَأهَمّيّتهُ وَمذاهِبُه

أرى لِزاماً عليَّ في هذا الكتابِ أن أشير إلى الفقهِ ونَشأتِه وأهميتِهِ ؛ لأنَّه يتناولُ حَياةَ الفردِ والمجتمعِ والدولةِ ، وما يتعلَّقُ بحقِّ الخالق سبحانه وتعالى ، وحقِّ المخلوقين ، ومذاهبِ أَهلِ العلمِ فيه فأقول :

الفقهُ لغةً : هوَ العِلمُ بالشيءِ والفَهمُ لَه ، والفطنةُ فيهِ ، وكانَ يُطلَقُ على ما يسمَّىٰ بالعقائدِ وبأحكامِ الفُروعِ .

واصطلاحاً : العِلمُ بالأَحكامِ الشرعيَّةِ العمليَّةِ المكتَسبَةِ ، أو المستنبطةِ مِنْ أَدلَّتِها التفصيليَّةِ .

والفقيهُ : هو العالمُ بالأحكامِ الشرعيّةِ .

والأحكامُ الشرعيةُ : هي خطابُ الله جل جلاله المتعلِّقُ بأفعالِ المكلَّفينَ طلباً أو تخييراً أو وضعاً .

نشأَةُ الفقهِ :

تعودُ البُذورُ الأولىٰ لنشأةِ الفقهِ إلى بعثةِ النبيِّ ﷺ قبلَ الهجرةِ بثلاثَ عشرةَ سنةً ولم يتوفر في هذه المدة شأن يذكر من الناحية التشريعية الفقهية ؛ لأنها انقضَتْ في الدعوةِ إلى تصحيحِ العقيدة ، وتقويمِ الأخلاقِ ؛ لتهيئةِ النفوسِ لتلقي التشريعِ والعملِ به على الوجهِ الصحيحِ . ثُم جاءتِ الفترةُ الثانيةُ بعدَ الهجرةِ واستمرتْ عشرَ سنينَ وفيها بدأَ تكوينُ نَواةِ الدولة الإسلاميةِ وظهرتِ الحاجةُ إلى الأحكامِ الفِقهيةِ ، ومعَ ذلك لا نستطيعُ أن نصفَ هذا العصرَ بأنهُ عَصرٌ اجتهاديٌّ فقهيٌّ بالمعنىٰ الدقيقِ ؛ لأن التشريعَ كانَ يُوحي بهِ اللهُ تعالىٰ إلىٰ رسولِهِ بقواعدَ عامَّةٍ ، وأحكامٍ مُجملةٍ على

أن يتولَّى ﷺ شأنَ التفصيلِ والتبيينِ لها بسنتهِ وهديه ، وعمله. ونَستطيعُ أن نقولَ : إن الرسولَ ﷺ لم يكنْ بحاجةٍ إلى الاجتهادِ بالمعنى الخاصِّ ، وإن كان أَحياناً يَجتهدُ بالمعنى العامِّ في التطبيقِ القَضائيِّ وشؤونِ الحربِ والسياسة بالإضافةِ إلى الاجتهادِ في بعضِ الجُزئيّاتِ ولو في الصورةِ والمظهرِ ، كمسألةِ المرأةِ التي جاءت تشتكي أَمرَ زوجِها وتَسأَلُه عن حكم الله فيما صدَر منهُ حينَ قالَ لها : أنتِ عَليَّ كظهرِ أمِّي ، إلا أنّ هذا النوعَ لا يعَدُّ مَصدراً تشريعياً ؛ لأَنَّهُ يَدورُ على أمرين :

إمّا أن يُقرّهُ الوحيُ فيكونَ المصدرُ من اللهِ جلتْ عظمتهُ . وإما أن لا يقرّه عليه بأن ينزلَ الوحيُ بخلافهِ ، وعلى كلٍّ فقد كان يَسنُّ للناسِ الأَحكامَ في أمرين :

العباداتُ : التي الغَرضُ منها : التقرُّبَ إلىٰ اللهِ تعالى ، والتكليفُ فيها تعبديٌّ ثابتٌ لا يختلفُ باختلاف البيئاتِ والأزمنةِ .

ومهمتُّها : ترويضُ النفسِ على الطاعةِ ، واحتمالِ المَشاقِّ ، وترتيبُ العلاقةِ بينَ العبدِ وخالقهِ ، والمحافظةُ على الوقتِ ، وشكرُ الله سبحانه على آلائهِ ونعمه .

والمعاملاتُ : التي الغَرضُ منها : تَنظيمَ شؤونِ المجتمعِ الإنسانيِّ في كلِّ ما تَدعو إليهِ المدنيَّةُ الطبيعيةُ للإنسان ، حتَّىٰ يكونَ علىٰ وَجهٍ يَكفلُ الحياةَ الحضاريَّةَ الراشدةَ ، وعليه فإنَّ كثيراً من الأَحكامِ جاءتْ مسجَّلةً في القرآنِ والسُّنَّةِ علىٰ وَجهِ الإجمالِ ، حتَّىٰ يكونَ لأُولي الأمرِ مِنْ أَهلِ العِلمِ الاستنباطُ والتصرُّفُ بوضعِ الأحكامِ بحسَبِ ما يَتَّفقُ ومَصالحِ الناسِ ويسايرُ أَعرافَهُم ، واستمرتْ هذه الحالُ مدةَ حياتِه ﷺ واستمرت ثلاثاً وعشرينَ سنةً إلى انتقالهِ إلى الرفيقِ الأعلى .

ولا يخفىٰ علىٰ كلِّ دارسٍ بصيرٍ أَنَّ الفِقهَ الإسلاميَّ بمصادرِهِ المرنةِ قد أَلْبَسَ كلَّ شيءٍ من أمورِ المسلمين ثَوبَ التَشريعِ ، واستَنتجَ الفقهاءُ على مرِّ الأجيالِ المتعاقبةِ أحكاماً لِكلِّ وَضعٍ وشَأنٍ مِنْ أَحوالِ البَشرِ ؛ لتُرَتَّبَ لِتصرُّفاتِهِمْ أُصولاً تُتَّبَعُ ، وقواعدَ يُقاسُ عليها ، مِمَّا جعلَ صلاحيتَهُ تتوافق مع كلِّ زمانٍ ومكانٍ . ثُم جاءتْ فَترةُ الصحابة رضي الله عنهم :

الفقهُ في عهدِ الصحابةِ :

بقيَ الفقهُ علىٰ حالتِهِ الأولىٰ إلى أن تولَّىٰ الصحابةُ الكرامُ جميعَ المهامِّ مِنْ بعدِهِ ﷺ ، وبدأَ الفتحُ الإسلاميُّ ، وخضعتْ لحُكمِ الإسلامِ أُممٌ ذواتُ حضاراتٍ ، وامتزجتْ داخلَ الأُمَّةِ عناصرُ مختلفةُ الجِبلَّةِ والعاداتِ ، مِنْ أقوامٍ وأجناسٍ ، إضافة إلى تفاوت المدارك والعقولُ ، وتشعُّبِ المعارفِ والعلومِ ، فظهرتِ الحاجةُ مُلِحَّةً لدفعِ العلماءِ من الصحابة نحوَ الاجتهادِ والتفكيرِ ؛ لتعريفِ أحكامِ تلكَ الأمورِ التي عَرضتْ لَهم وبيانِ حُكمِ اللهِ تعالىٰ فيها ، فرسَمُوا أسساً ومنهاجاً للاجتهادِ ، واضعينَ نُصبَ أَعينِهم مُرونةَ هذا الدِّينِ الحنيفِ ، وأَنَّ شرعَ اللهِ شاملٌ كاملٌ ، يَستوعبُ العصورَ باختلافِها ، ويحتوي مستجدَّاتِ الأَحداثِ ومُجرياتِها ، فكانوا إذا عَرضتْ لهم حادثةٌ . . سارعوا إلىٰ كتابِ اللهِ لا يبغونَ عنهُ بديلاً ، فإنْ لَم يَجدوا حاجتَهُم في كتابِ اللهِ ـ عزَّت قدرتهُ ـ اتجهوا نحوَ السُّنَّةِ النبويَّةِ الشريفةِ يَستقونَ منها الأَحكامَ الشرعيَّةَ ، كما كانوا في عَهدِهِ ﷺ يشهد لذلك ما وقع لمعاذِ بنَ جبلٍ ـ رضي الله عنه ـ حينما أرسلَهُ قاضياً إلىٰ اليمنِ ، فقدْ قالَ لَهُ ﷺ : « بِمَ تَقْضِ ؟ » قال : بكتابِ اللهِ ، قالَ رسولُ الله ﷺ : « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ » قالَ : فبِسُنَّةِ رسولِ اللهِ . قالَ : « فإنْ لَمْ تَجِدْ ؟ » قالَ : أَجتهدُ رَأْيي ولا آلو ، فقالَ النبيُّ ﷺ : « الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ وَفَّقَ رَسُوْلَ رَسُوْلِ اللهِ لِمَا يُرْضِيْ رَسُوْلَ اللهِ »[1] . ومثلُ ما حدَثَ مع سعدِ بنِ معاذٍ فإنهُ قضى بينَ يدي رسول الله ﷺ في أسرى بني قُريظةَ حيثُ قالَ : (أن تُقتلَ مقاتِلتُهم ، وتُسبَى ذَراريهم) فأقرَّهُ رسولُ الله ﷺ وقالَ له : « قضيتَ بحكمِ اللهِ »[2] .

---

(١) أخرجه عن معاذ أبو داود (٣٥٩٢) و(٣٥٩٣) في الأقضية ، والترمذي (١٣٢٧) و(١٣٢٨) في الأحكام وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندي بمتصل ، وفيه أبو عون الثقفي : اسمه محمد بن عبيد الله ، وذكره ابن القيم في « إعلام الموقعين » (١/ ٢٠٢) وصححه . وسيأتي الكلام عليه مطوّلاً في الأحكام . آلو : أقصِّر أو أبطىء .

وفيه : إثبات القياس على منكريه ، وإيجاب الحكم فيه .

(٢) أخرجه عن أبي سعيد البخاري (٤١٢١) في المغازي .

وكان ﷺ قبلها قد دَعاهم إلى الخروجِ لغزوِ بني قريظةَ وقالَ لهم : « لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قُريظَةَ » فخرجُوا مسرعِينَ ، فأدركَ بعضُهم العصرَ في الطريقِ ، فاختلفوا واجتهدوا في قوله ﷺ ، فَقالَ بعضُهم : لا نصلِّي حتى نأتيَهُم ، وقالَ بعضُهم : بل نصلِّي ، لم يردْ منَّا ذلك ، فذُكِرَ ذلك له ﷺ فأقرَّ كُلاًّ منهم[(١)] .

ثم إنهم إذا لم يجدوا نصّاً في كتابِ اللهِ عزّ شأنه ولا في سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ . . أَعملوا عقولَهم ، واجتهدوا في آرائهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقد سلكَ الصحابةُ رضي الله عنهم في الاجتهادِ طريقَين :

الأوّلُ يُمليهِ القياسُ ، والثاني تمليهِ المصلحةُ .

فوُجِدَ منهُم مَنِ اشتُهرَ بالاجتهادِ ومهّد لمدرسةِ الرأي علىٰ منهاجِ القياسِ ، معَ الأَخذِ أَحياناً بالمصلحةِ ، ومِنْ هَؤلاءِ الذين دوِّن عنهم الفقه :

عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ[(٢)] ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ[(٣)] ، فورَّثا فقهاءَ الكوفة مِنَ التابعِينَ ومَنْ جاءَ بعدَهُم مِنَ الأئمةِ المجتهدِينَ ذلكَ المنهجَ مِنَ الاجتهادِ بالرأي .

ووُجِدَ مِنَ الصحابةِ مَنِ اشتُهِرَ بالاجتهادِ عنْ طريقِ المصلحةِ ، وفي مقدمتِهم :

عمرُ بنُ الخطابِ ، خصوصاً إذا كانَ موضوعُ الاجتهادِ يتعلَّقُ بإدارةِ الدولةِ وتسييرِ أُمورِها ، كما يظهرُ ذلكَ صريحاً في كتابِ القضاءِ حيثُ صدَّرَهُ عمرُ بقوله : (القضاءُ سُنَّةٌ مُتَّبعَةٌ) .

ومِمَّا ينبغي أن نشيرَ إليهِ هاهنا : أنَّ آراءَ الصحابةِ لا يمكنُ اعتبارُها آراءً عقليَّةً خالصةً ، بلْ هيَ مقتبَسةٌ مِنْ فقهِ الرسولِ ﷺ ؛ ذلك أنَّ الذينَ اشتُهروا بكثرةِ الإفتاءِ بالرأيِ كانُوا ممنْ طالتْ صحبتُهم معَ رسولِ اللهِ ﷺ ، كأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ

---

(١) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (٤١١٩) في المغازي .

(٢) قال د . فؤاد سزكين في « تاريخ التراث » (٢/ ١٢) عنه : ويعدُّ أول من يمثل هذا المبدأ الفقهي : هو الصحابي عبد الله بن مسعود ت : (٣٢) هـ .

(٣) العَلَم الشهير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المتوفىٰ سنة : (٤٠) هـ .

وابنِ مسعودٍ وزيدِ بنِ ثابتٍ[1] . وغيرِهِمْ مِنْ فقهاءِ الصحابةِ .

ويجبُ أنْ نقرِّرَ أيضاً : أنَّ الصحابةَ الذينَ اجتهدوا بآرائِهم كانُوا حريصِينَ علىٰ أَنْ تكونَ آراؤُهم سُنناً متَّبَعةً ، لا دِيناً يُعتَنَقُ ، ولَقَدْ صرَّحَ بذلكَ الفاروقُ عمرُ بقوله :

(يا أَيُّها الناسُ! إنَّ الرأيَ كانَ مِنْ رسولِ اللهِ مصيباً ؛ لأنَّ اللهَ كانَ يُريهِ ، وإنَّما هوَ منَّا الظنُّ والتكلُّفُ) .

وبقولهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (السنَّةُ ما سَنَّهُ رسولُ اللهِ ، لا تجعلوا خطأَ الرأي سنَّةً للأُمَّةِ) .

فالصحابةُ الكرامُ وإنْ كانوا يجتهدونَ بآرائِهم إلاَّ أنَّهم كانُوا يَنظرونَ إليها علىٰ أنَّها ظنٌّ راجحٌ عندَهم ، وهي تَقبلُ الخطأَ والصوابَ ، إلاَّ أنَّنا سنجدُ كيفَ أنَّ أكثرَ الفقهاءِ قدَّروها ولم يخالِفُوها ، وإنْ خالفوا بعضَها . . وافقُوا بعضَها الآخرَ ، فلا يَخرجونَ عَنْ أَقوالِ الصحابةِ بمجموعِهم ، وإن خالفوا بعضَهم فقد اتبعوا البعضَ الآخَرَ .

ومِنْ بعدِ الصحابةِ الكرامِ جاءَ عصر التابعينَ الَّذينَ وَجَدوا بينَ أَيديهِم ثَروتَينِ عظيمتينِ مِنَ الروايةِ والاجتهادِ الفقهيِ ، فعملُوا علىٰ الجمعِ بينَ هاتينِ الثروتينِ

(١) أما الصحابي زيد بن ثابت بنِ الضحَّاكِ الأنصاريُّ ، فقد حضر إلى النبي ﷺ وهو في الحادية عشرة من العمر ، وكان حفظ آيات من القرآن الكريم . وعمل بعد ذلك كاتباً للوحي عند النبيِّ ، وكان نابغة موهوباً ، حتى أنه تعلم اللغة السريانية ـ بناء على رغبة الرسول ـ في مدة وجيزة ليقرأ الرسائل الموجهة إليه ، قال له : « تعلم كتاب العبرانية ، أو قال : السريانية » ، وروي أنه : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، قال له : « تعلم كتاب اليهود ، فإني والله ما آمن اليهود على كتابي » . واستطاع بعد فترة قصيرة أن يقرأ التوراة ، وذلك لفطنته ومعرفته الواسعة ، وعهد إليه الخلفاء الراشدون بالأمور الهامة في الإدارة ، وكانوا يعدونه أيضاً أحسن من يعرف (علم الفرائض) ، وصاحبَ الخليفة عمر في موقعة اليرموك ، وتولَّىٰ فيها تقسيم الغنائم ، واختاره الخليفة عثمان ليشارك في جمع القرآن .

يرى الزهري أن المعرفة بقوانين ونظام الميراث كانت ستضيع لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض ودونها وحفظها لرأيت أنها ستذهب من الناس . وله أيضاً كتاب آخر عنوانه : « كتاب في الديات » . وتوفي سنة: (٤٥) هـ . وقد جمع في فقه كلٍّ من المذكورين «موسوعة» د. قلعه جي .

يُساعِدُهم في ذلكَ أنَّ كلَّ تابعيٍّ كانَ تلميذاً لصحابيٍّ أو أكثرَ . ولَم يَقفوا عندَ هذا القدرِ ، بلْ كانُوا يجتهدونَ فيما ليسَ فيهِ نصٌّ مِنْ قرآنٍ أَو سُنَّةٍ أو إجماعٍ أو لَم يكن للصحابةِ رأي فيهِ .

وفي ظروفٍ معيَّنةٍ من تاريخِ الأمَّةِ في تلكَ الفترةِ ظهرتْ الحاجةُ لتدوينِ الصحيحِ الثابتِ مِنَ الأَحاديثِ النبويَّةِ الشريفةِ[1] وغيرها ، وبذلكَ اتَّسعتِ الفُرجةُ وانفرَجَتِ الزاويةُ في منهاجِ التابعِينَ رضيَ اللهُ عنهُم حتَّىٰ ظهرَ نوعانِ منَ الفقهِ ؛ فقهُ الرأي وفقهُ الأَثرِ ، ونؤكدُ هنا :

---

(١) وكذا بعض كتب الفقه كما قال د . فؤاد سزكين في « تاريخ التراث » (٢/٧) : تشير الدراسات الحديثة إلى خبر لهشام بن عروة يقول : بأن كثيراً من كتب الفقه كانت في حوزة أبيه عروة بن الزبير في يوم الحرَّةِ (٢٦ أو ٢٧) من ذي الحجة سنة : (٦٣) هـ ، وأنها احترقت جميعاً ، وأنه حزن لذلك حزناً شديداً .

ثم قال : وهناك معلومات تقول : بأن بعض القضايا الفقهية كانت قد دونت في عهد الرسول والصحابة . وهناك معلومات أخرى تقول : بأن عدداً من الأحكام المدونة كانت متداولة بين صحابة الرسول في القرن الأول الهجري . وعندما تولّى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ت : (١٠١) هـ الحكم في المدينة ـ المنورة ـ بحث عن مدونتين قديمتين عرفت كل منهما باسم : « كتاب الصدقات » ، دونت إحداهما في عهد الرسول ، ودونت الأخرى في عهد عمر بن الخطاب . وعندما وجد عمر بن عبد العزيز الكتابين أمر بنسخهما .

وروى عمرو بنُ حزمِ بنِ زيدٍ رسالةَ النبيِّ ﷺ إليه ، وكانت تتناول الفرائض والزكاة والديات ، وقد دخلت هذه « الرسالة » فيما بعد في المدونات الفقهية لأبي داود والنسائي وغيرهما .

وذكر حفيدهُ عمرٌو : أنه وجد بعد وفاة جدِّهِ صحيفة في غِمد سيفه ، وكانت حول الضرائب الواجبة على امتلاك الماشية .

ونستطيع أن نعتبر أول دراسات فقهية بمعنى الكلمة تلك التي ظهرت أثناء حركة الجمع والتأليف ، ومؤلفوا هذه الدراسات هم : من متأخري الصحابة . وقد ذكر لنا المؤرخ المصري ابن يونس المتوفى سنة : (٣٤٧) هـ . مثالاً ممتازاً يوضح ذلك ، فقد كان التلاميذ يروون عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومنهم حسين بن شُفَيّ بن ماتع الأصبحي ت سنة : (١٢٩) هـ الذي روى عنه في مصر كتابين أحدهما بعنوان : « قضى رسول الله ﷺ في كذا ، وقال رسول الله ﷺ كذا » ، والكتاب الآخر ، بعنوان : « ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة » .

ويعد زيد بن ثابت من أوائل الفقهاء المشاهير ، ويبدو أنه كان قد جمع مثل هذه الكتب .

أنَّ أساسَ الاختلافِ لم يكنْ في أَصلِ الاحتجاجِ بالسُّنَّةِ أَو قَبولِها ولزومِ الأخذِ بِها إنْ ثبتتْ ، بلِ الأَساسُ في مقدارِ الأَخذِ بالرأي وتَفريعِ الأَحكامِ تحتَ سُلطانِهِ أَحياناً .

فأَهلُ الأَثرِ كانوا لا يأخذونَ بالرأي إلاَّ اضطراراً ، ولا يُفرِّعونَ في المسائلِ .

أَمَّا أَهلُ الرأي فإِنَّهم كانوا يُكثرونَ مِنَ الإفتاءِ في المسائلِ بالرأي[1] . ما لَم يصحَّ لَديهِم حديثٌ فيما يجتهدونَ فيهِ ، وكانَ البعضُ لا يكتفي بوضعِ أَحكامٍ لِلوقائعِ ، بلْ يَفرضونَ مسائلَ غيرَ واقعةٍ ويضعونَ لَها أحكاماً بآرائِهم مقيَّدَةً بقواعدَ مقتبسةٍ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ .

وأَمَّا ما تتناقلهُ الأَلسنةُ مِنْ أَنَّ أَهلَ الحديثِ أَكثرُهُم بالحجازِ ، وأَكثرَ أَهلِ الرأيِ بالعراقِ ، وأَنَّ أَهلَ الحجازِ كانوا يَرمونَ فقهاءَ العراقِ ببُعدِهم عَنِ السُّنَّةِ وأَنَّهم يُفتون في الدِّينِ بآرائِهم ، وفقهاءَ العراقِ يُنكرونَ ذلكَ . . فبيانُهُ والتحقيقُ فيهِ أَنَّ الرأيَ والحديثَ كانا بالعراقِ وكانا بالمدينةِ كذلكَ إلاَّ أَنَّهما يفترقانِ في أَمرينِ :

أحدُهما : أَنَّ مقدارَ الرأيِ كانَ عندَ أَهلِ العراقِ أَكثرَ منهُ عندَ أَهلِ الحجازِ وكانوا يجنحون إلى منهاج القياس فيه .

والثاني : أَنَّ الرأيَ عندَ أهلِ الحجازِ كانَ يسيرُ علىٰ منهاجِ المصلحةِ ، ونتجَ عنْ ذلكَ :

كثرةُ التفريعاتِ الفقهيَّةِ عندَ أَهلِ العراقِ ، والإفتاءُ بِما لم يقعْ مِنْ مسائِلَ مفترضةٍ

---

(١) قال د . فؤاد سزكين ٢/ ١٣ : قد وصلت إلينا من هذه الفترة الأولى ـ في تاريخ الفقه ـ كتب قليلة نادرة ، وهي :

ـ الكتاب المنسوب لسليم بن قيس الهلالي كان يعيش في عهد الحجاج بن يوسف المتوفى سنة : (٩٥) هـ .

ـ كتاب « المناسك » لقتادة بن دعامة ت سنة : (١١٨) هـ .

ـ كتاب « مناسك الحج وآدابه » لزيد بن علي ت سنة : (١٢٢) هـ .

ـ كتاب « المجموع » لزيد بن علي أيضاً .

لاختبارِ الأَقيسَةِ ، وذلكَ ما يُسمَّىٰ بالفقهِ التقديريِّ ، ولم يُوجَدْ ذلكَ النوعُ مِنَ الفقهِ بالمدينةِ ؛ لأنَّ الأَساسَ في منهجِهم كانَ المصلحةَ ، وهيَ لا تتحقَّقُ إلاَّ في الوقائعِ فلا يجيءُ فِيها الفَرْضُ والتقديرُ .

وبذلكَ نشأَتْ مدرستانِ فقهِيّتانِ عظيمتانِ لكلٍّ منهُما خواصُّها ، وإِلىٰ جانِبهما مدرسةٌ فقهيَّةٌ في مكَّةَ تقارِبُ مدرسةَ العراقِ ، وهكذا تكونتْ مذاهبُ فقهيَّةٌ في كلِّ قُطْرٍ مِنَ الأقطارِ حتَّىٰ صارَ لكلِّ عالِمٍ مِنْ علماءِ التابعِينَ وتلاميذِهم مِنَ الأَئمَّةِ المجتهدِينَ مذهبٌ ، وانتصبَ في كلِّ بلدٍ إمامٌ ؛ مثلُ : شريحٍ ، وقبيصةَ ، ومكحولٍ ، وحمَّادٍ ، وزيدِ بن أسلمَ ، ويحيىٰ بن سعيدِ بن قيسٍ الأنصاري ، والشعبيِّ ، وسعيدِ بن المسيِّبِ ، وسالمِ بنِ عبد اللهِ ، والزهريِّ ، وربيعةَ ، والنخعيِّ ، والبصريِّ ، وابنِ كيسانَ ، والأَوزاعيِّ . وغيرُهم كثيرٌ ممَّنْ لَم يأذنِ اللهُ عزَّ وجلَّ لمذاهبِهم بالبقاءِ لعِدَّةِ أسبابٍ **أهمُّها** :

١ـ عدمُ توفُّرِ البيئةِ العلميةِ الصالحةِ لاحتضانِها .

٢ـ لِمَا تتَّسمُ بهِ بعضُ هذهِ المذاهبِ مِنْ عجزٍ في أُصولِ استنباطاتِها ؛ كإِنكارِ القياسِ مثلاً ، فظلَّتْ حبيسةَ الكتبِ والمصنفاتِ ، تَتناقُلُها أَلسنةُ العلماءِ علىٰ سبيلِ التنويه والاستشهادِ .

ومِنْ أصحابِ هذهِ المذاهبِ علىٰ سبيلِ الذكرِ لا الحصر :

١ـ شريحُ بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ الكنديِّ ، أبو أمية ، أصله من اليمن ، ولد في حياة الرسول ﷺ ولكنه لم يره . تولّىٰ القضاء في عهد الخليفتين عمر وعثمان ، ثم في العصر الأموي ، ظلَّ سنة واحدة في الكوفة ، ثم عاش في البصرة إلى أن عزله الحجاج بن يوسف سنة : (٧٧) هـ . روى شريح عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه الشعبيُّ ، وابنُ سيرينَ ، وإبراهيمُ النخَعيُّ وغيرهم . ويعد من الفقهاء والقضاة المبرِّزين في صدر الإسلام .

٢ـ قبيصةُ بنُ ذؤيبِ بنِ حَلْحَلةَ الخزاعي ، ولد سنة : (٨) هـ بالمدينة ، وكان صحابياً رأى النبي ﷺ ، ولكنه لم يتكلم معه . روى عن قدامى الصحابة ، وعلى

الأخص : عن زيد بن ثابت . واتفقت الآراء على أنه كان ذا مكانة رفيعة بين فقهاء الطبقة الأولى ، كما أنه كان عالماً واسع المعرفة . وفي خريف عمره عاش في قصر الخليفة الأموي بدمشق ، وتولّى الكتابة للخليفة عبد الملك ، وختم باسمه . توفي سنة : (٨٦) هـ .

٣ـ أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، أصله من الكوفة ، ولد سنة : (٥٠) هـ كان تابعياً . روى عن عائشة ، وأنس بن مالك ، وعن قدامى التابعين ، وكان يعتمد الرأي[1] وتوفي سنة : (٩٦) هـ .

٤ـ مكحول بن أبي مسلم شهراب الدمشقي ، كان تابعياً روى عن عائشة وأبي هريرة وأُبي بن كعب وغيرهم . ومن رواته الأوزاعي ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما . كان محدثاً قام برحلات كثيرة ، كما كان أحد الفقهاء المشهورين في عصره توفي ما بين سنة : (١١٢) و (١١٩) هـ .

٥ـ حمَّاد بن أبي سليمان الأشعري ، أبو إسماعيل الكوفي ، كان تابعياً . روى عن الصحابي أنس بن مالك ، وعن عدد من قدامىٰ التابعين من بينهم : إبراهيم النخَعيُّ ، والشعبيُّ ، وسعيدُ بن جبير ، وسعيدُ بن المسيب . كان من أوائل من أدخلوا الرأي في الفقه بالكوفة . ويعدُّ إبراهيم النخَعيُّ أهم أساتذته ، وأبو حنيفة أشهر تلاميذِهِ . وتوفي حوالي سنة : (١٢٠) هـ .

٦ـ زيد بن أسلم العدوي ، هو تابعي روى عن عائشة ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله وغيرهم ، ومن رواته ابنه عبد الرحمن ، ومالك بن أنس ، وابن جُريج ، وأيوب السختياني وغيرهم ، وكان من الفقهاء ذوي المكانة العالية بالمدينة ، كما كان مفسراً ، وهو أحد الفقهاء الذين دعاهم الخليفة الوليد بن يزيد إلى دمشق ليسمع آراءهم في قضايا فقهية ، وتوفي سنة : (١٣٦) هـ .

٧ـ ربيعَةُ بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي ، الذي عاش بالمدينة مسقطِ رأسهِ .

---

(١) انظر سلسلة موسوعة فقه السلف للدكتور محمد رواس قلعه جي وفي ذلك « موسوعة فقه إبراهيم النخعي » في مجلدين .

كان تابعياً ، وروى عن الصحابي : أنس بن مالك ، وعن كبار التابعين ، وروى عنه مالكٌ ، وسفيانُ الثوري ، وشعبةُ ، وحمَّادُ بن سلمةَ وغيرهم . كان من أصحاب الرأي الذين استخدموه في الفقه عند عدم وجود نص ، ولقد أُطلِق عليه لذلك ربيعة الرأي تقديراً له ، في حين كان أصحاب الحديث يعدونه من أفضل المحدثين ويعارضون اللَّقب السابق . وكان له طوال حياته حلقة دراسية بالمدينة . ومن أحسن تلاميذه مالك . وتوفي ربيعة سنة (١٣٦) هـ .

٨ـ أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري ، من فقهاء وتابعي المدينةِ ذوي المكانةِ العالية ، روى عن الصحابي أنس بن مالك وعن عدد من كبار التابعين . روى عنه الزهريُّ ، ومالكٌ ، والأوزاعيُّ . وسفيانُ الثوري ، وشعبةُ وغيرهم . كان قاضياً بالمدينة في عهد الوليد بن عبد الملك عام : (٨٦) هـ ، وبالهاشمية في العراق في عهد أبي جعفر المنصور . توفي بالبصرة سنة : (١٤٣) هـ .

٩ـ مذهبُ الحسنِ البصريِّ ، هوَ الإمامُ الفقيهُ ، الحسنُ بنُ يَسارٍ ، مولىٰ زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه . وُلدَ سنة: (٢١) هـ ، وتولىٰ قضاءَ البصرةِ في أيّامِ الخليفةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ثم تركَهُ ونصَّبَ نَفْسَهُ للإفتاءِ .

كان رضي الله عنهُ فقيهاً محدِّثاً ثقةً عظيماً ، شُبِّهَ كلامُهُ بكلامِ الأَنبياءِ . وذكرَ ابنُ القيِّم : أنَّ بعضَهُم جمعَ فتاويهِ في سبعةِ مجلداتٍ ضخمةٍ[1] ، قالَ عنهُ قتادةُ : واللهِ مَا رأَيتُ رجلاً أَشبهُ رأياً بعمرَ بنِ الخطَّابِ منهُ . واشتُهرَ بميلِهِ إلىٰ التصوفِ والزهدِ ، ورُويَ عنهُ الكثيرُ من المواعظِ . توفيَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ سَنةَ: (١١٠) هـ بالبصرةِ .

١٠ـ مذهبُ عامرٍ الشعبيِّ : هوَ الإمامُ الفقيهُ ، عامرُ بنُ شَراحِيل بنِ عبدِ الشعبيُّ ، أَبوهُ عربيٌّ وأُمُّهُ مِنْ سبي جَلولاءَ ، يُكنَّىٰ بأَبي عمرٍو ، ومولدُهُ سَنةَ: (١٧) هـ . كانَ أَلمعيّاً في الفقهِ حتَّىٰ أُطلِقَ عليهِ علاَّمةُ التابعينَ ، قالَ عنهُ مكحولٌ : ما رأَيتُ أَفقهَ منهُ .

---

(١) وانظر لذلك : « موسوعة فقه الحسن البصري » في مجلدين . وله في «أعلام المسلمين» ترجمة وضعها د. مصطفى الخن.

وَلِيَ قضاءَ الكوفةِ ، وكانَ مِنْ ميِّزاتِ أُصولِهِ أَنَّهُ كانَ وَقَّافاً علىٰ النصوصِ شديدَ التمسكِ بِها ، يَكرهُ القولَ بالرأيِ . توفي رحمَهُ اللهُ تعالىٰ سَنَةَ: (١٠٤) هـ .

١١ـ مذهب عروة بن الزبير المتوفى سنة: (٩٤) هـ .

١٢ـ مذهب سعيد بن المسيب المتوفى سنة: (٩٤) هـ .

١٣ـ مذهب الضحاك بن مزاحم المتوفىسنة: (١٠٥) هـ .

١٤ـ مذهب وهب بن منبه المتوفىسنة: (١١٠) هـ .

١٥ـ مذهب محمد بن سيرين المتوفى سنة: (١١٠) هـ .

١٦ـ مذهب عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة: (١١٤) هـ .

١٧ـ مذهب قتادة بن دعامة المتوفى سنة: (١١٨) هـ .

١٨ـ مذهب الزهري المتوفى سنة: (١٢٤) هـ .

١٩ـ مذهب يزيد بن أبي حبيب المتوفىسنة: (١٢٨) هـ .

٢٠ـ مذهب أيوب بن أبي تميمة السختياني المتوفى سنة: (١٣١) هـ .

٢١ـ مذهب عبيد الله بن أبي جعفر المتوفى سنة: (١٣٥) هـ . ثم نشأ بعد تلك الفترة .

٢٢ـ مذهبُ الأَوزاعيِّ ، وهو الإِمامُ الفقيهُ عبدُ الرَّحمن بنُ عمرٍو مِنَ الأَوزاعِ ، قريةٌ بدمشقَ . ولدَ سنةَ: (٨٨) هـ بدمشقَ ونشأَ فيها ، ثم رحلَ إلىٰ بيروتَ وأَقامَ فيها حتَّىٰ وافتْهُ منيتُهُ هناكَ . كانَ فقيهاً مُحدِّثاً روىٰ عَنْ عطاءِ بنِ أَبي رباحٍ والزهريِّ وابنِ سيرينَ وغيرِهم مِنْ كبارِ التابعينَ ، عاصرَ الإِمامَ مالكاً ، وكلاهُما مِنْ مدرسةِ الحديثِ .

وهوَ مِمن يُبغضُ القولَ بالرأيِ كغيرِهِ مِنَ الأئمةِ الأَجلَّةِ . وقد نالَ مذهبُه شهرةً عظيمةً في ديارِ الشامِ والأَندلسِ مِنْ أَوائلِ القرنِ الثاني ، وحتَّىٰ منتصفِ القرن الثالثِ .

قالَ عنهُ ابنُ سعدٍ : كانَ ثقةً مأموناً فاضلاً خيِّراً كثيرَ الحديثِ والعِلمِ والفقهِ . توفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ: (١٥٧) هـ ببيروتَ كما مرَّ .

٢٣ـ مذهبُ اللَّيثِ : هوَ الإِمامُ العلامةُ الفقيهُ ، أَبو الحارثِ اللَّيْثُ بنُ سعْدٍ ،

ولدَ بمصرَ بناحيةِ قرقشندةَ سنةَ : (٩٤) هـ ، وأَصلُهُ مِنْ أَصفهانَ في فارسٍ .

كانَ زاهداً ورعاً لا يَسعىٰ إِلىٰ المناصبِ ، بل تسعىٰ إِليهِ ويَرفضُها ، فقيهاً حافظاً حُجَّةً ثبتاً ثقةً في علمِهِ وأَخلاقهِ ومبادئهِ ، حتَّىٰ قالَ عنهُ الشافعيُّ رحمه الله : (الليثُ بنُ سعدٍ أَفقهُ مِنْ مالكٍ إِلاَّ أَنَّ أَصحابَهُ لَم يَقوموا بهِ) تروي الكتبُ أَنَّ لَه سجالاتٍ معَ الإِمامِ مالكٍ رحمَهُ اللهِ ، يُنكرُ عليهِ الإِمامُ مالكٌ الأَخذَ بخبرِ الآحادِ إِذا خالفَ عَمَلَ أَهلِ المدينةِ . توفيَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ بمصر سنةَ : (١٧٥) هـ .

٢٤ـ مذهبُ سفيانَ الثوريِّ : هوَ الإِمامُ المحدِّثُ الفقيهُ الثقةُ سفيانُ بنُ سعيدِ بنِ مسروقٍ الثوريُّ الكوفيُّ . ولدَ بالكوفةِ سنةَ : (٩٧) هـ ، فهوَ معاصرٌ للإِمامِ أَبي حنيفةَ ، كانَ إِماماً حُجَّةً طَبَّقتْ شهرتُهُ الآفاقَ بفقههِ وحديثِهِ ، لَه مذهبُهُ الخاصُّ علىٰ قلَّةِ أَتباعهِ يومَها ، فظلَّ طويَّ الكتب وحبيسَها[1] . توفيَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ سنةَ : (١٦١) هـ .

٢٥ـ مذهبُ داودِ الظاهريِّ : هوَ الإِمامُ أَبو سليمانَ ، داودُ بنُ عليٍّ الأَصفهانيُّ المشهورُ بالظاهريِّ ، ولدَ سنةَ : (٢٠٠) هـ بالكوفةِ .

كانَ إِماماً عالماً ورعاً حافظاً ثقةً وكانَ مِنْ أَتباعِ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ غيرَ أَنَّه لا يَرىٰ القياسَ ، فلَم يُكتبْ لمذهبهِ الديمومةُ مع كونه مجتهداً لرفضهِ مصدرَ التشريع الحيويِّ في شريعتِنا الإِسلاميَّةِ . توفيَ سنة : (٢٧٠) هـ .

أما تقسيمهم رضي الله عنهم من حيث إقامتهم في البلدان :

فقد كان أعظمهم في المدينة المنورة ومنهم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمَّد ، وخارجة بن زيد ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم .

وفي مكة : عطاء بن أبي رباح ، وطاووس بن كيسان ، ومجاهد بن جبر ، وعمرو بن دينار ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم .

---

(١) وقد جمع د . قلعجي ذلك في « موسوعة فقه سفيان الثوري » ويقع في (٨٣٩) صفحة .

وفي البصرة : الحسن البصري ، وعمرو بن سلمة الجرمي ، وأبو مريم الحنفي ، وغيرهم .

وفي الكوفة : علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، وعمرو بن شرحبيل ، ومسروق ، وغيرهم .

وفي الشام : أبو إدريس الخولاني ، وشرحبيل بن السمط ، وعبد الله بن أبي بكر بن زكريا الخزاعي ، وقبيصة بن ذؤيب ، وغيرهم .

وهكذا في كل قطر وصقع من بلاد الإسلام تجد نخبة من أمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين انتشر على أيديهم العلم ، وذاع صيت الفقه بسببهم ، ثم تفتحت العبقريات أكثر فأكثر في عصر أتباع التابعين .

تبلورُ المذاهبِ الفقهيَّةِ :

معلومٌ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ تكفَّل بحفظِ هذا الدِّينِ الحنيفِ ؛ لذلك قيَّضَ جلَّ ثناؤه رِجالاً أَخلصوا للهِ النيَّةَ ، وعملوا علىٰ تدوينِ الفقهِ الإسلاميِّ ونشرِهِ في البلدانِ والأَمصارِ ، حتَّىٰ وصَلَتْ إلينا سليمةً نقيَّةً صافيةً بعيدةً عَنِ الشوائبِ والأَكدارِ ، وقدْ نالتِ المذاهبُ الفقهيَّةُ الأَربعةُ النصيبَ الأَوفرَ والحظَّ الأَكبرَ مِنْ هذهِ العنايةِ الإلـٰهيَّةِ حتَّىٰ نالتْ قَبولَ الأُمَّةِ فكثُرَ أَشياعُها ، وتكاثَرَ أَتباعُها ، ولا تَزالُ قائمةً قويَّةً باقيةً . وإليكَ أَيُّها الناظرُ الكريمُ عَرضاً سريعاً لهذهِ المذاهبِ المتداولة :

أولاً : المذهبُ الحنفيُّ :

ورائدُهُ الإمامُ الأَعظمُ أَبو حنيفةَ ، النعمانُ بنُ ثابتِ بن زوطىٰ ، مِنْ أَقطابِ مدرسةِ الرأي ، ولدَ سنةَ ثمانينَ للهجرةِ ، قيل إِنَّهُ أَدركَ أَربعةً مِنَ الصحابةِ ، وهُم : أَنسُ بنُ مالكٍ بالبصرةِ ، وعبدُ اللهِ بنُ أَبي أَوفىٰ بالكوفةِ ، وسهلُ بنُ سعدٍ الساعديُّ بالمدينةِ ، وعامرُ بنُ واثلةَ بمكةَ[1] .

---

(١) ذكر من ذلك الذهبي في كتابه « سير أعلام النبلاء » (٦/ ٤٠٣) : أنه رأىٰ أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة . . .

وفي سنةِ ستٍّ وتسعينَ حجَّ معَ أبيهِ ، ولقيَ بالمسجدِ الحرام عبدَ اللهِ بنَ الحارثِ بنَ جَزءٍ الزبيديَّ الصحابيَّ . وقد روىٰ الحديثَ عَنْ عطاءِ بنِ أَبي رباحٍ ، ونافعٍ مولىٰ ابنِ عُمَرَ ، وقتادةَ ، وأخذ الفقه عن حمَّادِ بنِ أَبي سليمانَ الذي لازمَهُ ثمان عشرةَ سنةً ، الذي تلقاه عَنْ إِبراهيمَ النخعيِّ ، عَنْ علقمةَ والأَسودِ بنِ يزيدٍ ، وكلاهما عَنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه .

كانَ أَوَّلَ مَنِ اشتغلَ بالفقهِ التقديريِّ ، فزادَ عِلمَ الفقهِ اتساعاً ، ومجالَهُ انبساطاً .

وله التقدمُ في الفقهِ ، وهذا أَمرٌ لا شكَّ فيهِ .

قالَ فيهِ الإِمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (الناسُ في الفقهِ عيالٌ علىٰ أَبي حنيفةَ) .

مِنْ أَشهرِ أَصحابهِ في المذهبِ : أَبو يوسفَ يعقوبُ بنُ إِبراهيمِ الأَنصاريُّ ، ومحمَّدُ بنُ الحَسَنِ الشيبانيُّ ، وزفر والحسن بن زياد اللؤلؤي . وصنف من الكتب « الفقه الأكبر » و« المسند » و« المخارج في الفقه » .

وانقسمتْ مسائلُ الفقهِ عندَ الحنفيَّةِ إِلىٰ ثلاثةِ أَقسامٍ :

١ـ الأصولُ : وقد جمعَها الإِمامُ محمَّدُ بنُ الحسنِ في كتبٍ ستَّةٍ تُعرفُ : بكتبِ ظاهرِ الروايةِ .

٢ـ النوادرُ : وهيَ مسائلُ مرويةٌ عَنِ الإِمامِ وأَصحابهِ .

٣ـ الفتاوى : وهيَ ما أَفتىٰ بهِ مجتهدوا الحنفيَّةِ المتأخرونَ فيما لَم يُروَ فيهِ روايةٌ عَنِ الإِمامِ وأَصحابهِ ، تخريجاً علىٰ مذهبِهِم . وأَوَّلُ كتابٍ عُرِفَ في فتاوىٰ الحنفيَّةِ كتابُ « النوازلِ » لأَبي اللَّيثِ السمرقنديِّ .

توفيَ الإِمامُ الأَعظمُ رحمَهُ اللهُ سنةَ : (١٥٠) هـ .

ثانياً : المذهبُ المالكيُّ :

ويُنسَبُ إِلىٰ الإِمامِ مالكِ بنِ أَنسِ بنِ مالكِ بنِ أَبي عامرٍ الأَصبحيِّ ، نسبةً إِلىٰ ذي أَصبح ، قبيلةٌ باليمنِ . وُلدَ بالمدينةِ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ ، وأَخذَ العلِمَ عَنْ عُلمائِها ،

وأَوّلُ مَنْ لازمَ منهُم : عبدُ الرحمنِ بنُ هرمزٍ ، كما أَخذَ العِلمَ عَنْ نافعٍ مولىٰ ابنِ عُمَرَ ، وابنِ شهابٍ الزهريِّ . وكانَ شيخُهُ في الفقهِ ربيعةَ بنَ عبدِ الرحمنِ المعروفَ بـ : ربيعةِ الرأي .

تسلَّمَ منصبَ التدريسِ في السابعةَ عشرَ مِنْ عمرِهِ ، وقالَ عَنْ نَفْسِهِ : ما جلستُ للفتيا والحديثِ حتَّىٰ شهدَ لي سبعونَ شيخاً مِنْ أَهلِ العِلمِ أَنِّي مرضاةٌ لذلكَ .

وقد أَجمعَ أَشياخُهُ وأَقرانُهُ ومَنْ بعدَهُم علىٰ أَنَّه إِمامٌ في الحديثِ ، موثوقٌ بصدقِ روايتِهِ قالَ البخاريُّ : أَصحُّ الأَسانيدِ : مالكٌ عَنْ نافعٍ عَنِ ابنِ عُمَرَ ، ثمَّ : مالكٌ عَنِ الزهريِّ ، عَنْ سالمٍ ، عَنْ أَبيهِ ، ثمَّ : مالكٌ ، عَنْ أَبي الزنادِ ، عَنِ الأَعرجِ ، عَنْ أَبي هريرةَ .

امتازَ الإِمامُ مالكٌ بحيازةِ الإِمامةِ في الفقهِ والحديثِ حتَّىٰ روىٰ عنهُ ابنُ شهابٍ الزهريُّ ، وربيعةُ الرأي فقيهُ أَهلِ المدينةِ ، ويحيىٰ بنُ سعيدٍ الأَنصاريُّ ، وموسىٰ بنُ عقبةَ إِمامُ المغازي ، وكلُّهم أَشياخُهُ .

وروىٰ عنهُ مِنْ أَقرانِهِ : الثوريُّ ، واللَّيثُ بنُ سعدٍ ، والأَوزاعيُّ ، وابنُ عيينةَ ، وأَبو يوسفَ وجماعة .

ومِنْ أَعيانِ تلاميذِهِ : الإِمامُ الشافعيُّ ، وابنُ المبارَكِ ، ومحمَّدُ بنُ الحَسَنِ الشيبانيُّ ، وخلق كثيرٌ .

وممَّنْ أَخذَ عنهُ الفقهَ : عبد الرحمن بنُ القاسمِ ، وعبد الله بنُ وهبٍ ، وأَشهبُ ، وعبد الله بن الحكم ، وأسدُ بن الفرات ، وعبدُ السلام بن حبيب المشهور بسُحنُون ، وغيرُهُم .

بنىٰ رحمَهُ اللهُ أُصولَ مذهبِهِ علىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ ، واعتمدَ فيهِما النصَّ الظاهرَ والمفهومَ والبيِّنةَ ، ثمَّ علىٰ الإِجماعِ ، والقياسِ ، وعملِ أَهلِ المدينةِ ، وقولِ الصحابيِّ ، والاستحسانِ ، وسدِّ الذرائعِ ، ومراعاةِ الخلافِ ، والاستصحابِ ، والمصالحِ المرسلَةِ ، وشرعِ مَنْ قَبْلَنا .

ممَّا تميَّزتْ بهِ طريقتُهُ رحمَهُ اللهُ أَنَّ عَمَلَ أَهلِ المدينةِ حُجَّةٌ عندَهُ مقدَّمةٌ علىٰ

القياسِ ، وعلىٰ خَبرِ الآحادِ ، وكذلكَ قولُ الصحابيِّ إذا صحَّ سندُهُ .

لَم يُخالفِ الحديثَ المرفوعَ الصالحَ للحجّية ، وكان لا يَشترطُ في قَبولِ الحديثِ الشهرةَ فيما تعمُّ بهِ البلوى ، ولا يردُّ خبرَ الآحادِ لمخالفتهِ للقياسِ أَو لِعملِ الراوي بخلافهِ ، كما أَنَّه لا يُقدِّمُ القياسَ علىٰ خبرِ الواحدِ علىٰ أَنْ لا يُخالفَ عَمَلَ أَهلِ المدينةِ .

وقدْ قالَ بالاستحسانِ في مسائلَ كثيرةٍ إلاَّ أَنَّه لَم يتوسَّعْ في القَولِ بهِ تَوسُّعَ الحنفيَّةِ .

امتُحنَ الإمامُ مالكٌ سنةَ: (١٤٧) هـ ، وضُربَ بالسياطِ ، وانفكَّتْ ذراعُهُ لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان ، وبقيَ مريضاً إلىٰ وفاتهِ ، فأَقامَ في المدينةِ ولَم يَرحلْ منها ، والناسُ يرحلونَ إليهِ إلىٰ أَنْ تُوفيَ سنةَ: (١٧٩) هـ . وله من الكتب « الموطأ » و« المدونة » و« تفسير غريب القرآن » و« الوعظ » و« المسائل » وغيرها .

ثالثاً : المذهبُ الحنبليُّ :

ويُنسَبُ إلىٰ ناصرِ السُّنَّةِ الإمامِ الحافظِ الورعِ المبجلِ أَبي عبدِ الله أَحمدَ بن محمد بنِ حنبلِ بنِ هلالِ بنِ أَسدِ الشيبانيِّ المروزيِّ ثمَّ البغداديِّ . حَملَتْ بهِ أُمُّهُ في مَرْو ، ووَلدتْهُ ببغدادَ سنةَ: (١٦٤) هـ وفيها نشأَ يجمعُ السُّنَّةَ ويحفَظُها حتَّىٰ صارَ إمامَ المحدِّثِينَ في عصرِهِ ، فروىٰ الحديثَ عَنْ هُشيمٍ ، وإبراهيمَ بنِ سعدٍ ، وسفيانَ بنِ عيينةَ ، وغيرِهم .

قرأَ الفقهَ علىٰ الإمامِ الشافعيِّ حينَ قَدِمَ بغدادَ وكانَ مِنْ أَكبرِ تلاميذهِ البغداديّينَ ، ثمَّ أَصبحَ مجتهِداً مستقِلاً ، قالَ فيهِ الإمامُ الشافعيُّ :

(خَرجتُ مِنْ بغدادَ وما خلَّفتُ فيها أَفقهَ ولا أَورعَ ولا أَزهَد ولا أَعلمَ مِنِ ابنِ حنبلٍ).

بنىٰ أُصولَ مذهبِهِ علىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ ، ولم يُقدِّمْ علىٰ الحديثِ الصحيحِ عملاً ولا رأياً ولا قولَ صحابيٍّ ولا إجماعاً . وكانَ يعتمدُ فتاوىٰ الصحابةِ المتفَقِ عليها فيما بينَهُم ، كما كانَ يأخذُ بالمرسَلِ والحديثِ الضعيفِ إنْ لم يَكنْ في البابِ شيءٌ يدفعُهُ . أَمَّا القياسُ : فكانَ يستعملُهُ للضرورةِ فقطْ ، ويَكرَهُ الفتوىٰ التي لَيس فيها أَثرٌ عَنِ السَّلفِ . دعي إلى القول بخلق القرآن فلم يجب، فضرب وحبس وهو مصرٌّ على الامتناع ، وكان ضربه في العشر الأخير من رمضان سنة : (٢٢٠) هـ.

توفي رحمَهُ اللهُ ببغدادَ سنةَ: (٢٤١) هـ وكان لجنازته شأن كبير أسلم من مظهرها الجم الغفير من أهل الذمة . وله من الكتب: « المسند » و« العلل » و« الزهد » و« فضائل الصحابة » و« الورع » و«الأشربة» وغيرها .

رابعاً : المذهبُ الشافعيُّ :

مؤسِسُهُ أَبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إِدريس بنِ العباسِ بنِ عثمانَ بنِ شافعِ الهاشميِّ المطَّلبي ، وقد صنفنا له ترجمة مستقلة ستأتي بعد هذا البحث .

قال الدكتور محمد سلام مدكور في « مدخل الفقه الإسلامي » (ص/ ٤٢) وما بعدها : يعتبر الشافعي ممن أفادوا كثيراً من المدرستين : مدرسة الحديث ومدرسة الرأي لأخذه عن أئمة كل منهما ، على أنه كان يؤثر الحديث إيثاراً بيِّناً فعُدّ من أهل مدرسته. . . ثم قال : يعتبر مذهب الشافعي أوَّلَ مذهب فقهيٍ منظَّم يقومُ على طرقٍ متميزةٍ ، فقد ضبطَ الأحكام تحت قواعد عامة تحكمها ، ويعتبر مذهبه عند كثير من الباحثين وسطاً بين اتجاهي المنصرفين عن الرأي والمتغالين فيه ، وإن كانت طريقته في الواقع أقرب إلى المحدِّثين ممَّا جذب إليه بعض أتباع المذاهب الأخرىٰ ، ومن أبرز ما يتميَّز به مسلكه الرجوع إلى القرآن والعمل بظاهره ما لم يقم الدليل على وجوب صرفه إلى ما يخالف الظاهر ، ثم السنة التي أُولِع بها ، ووجَّهَ الناسَ إليها حتى كان يقدِّر خبر الواحد الثقة ولو لم يكن مشهوراً خلافاً للأحناف ، ولا موافقاً لعمل أهل المدينة خلافاً لمالك ، ثم ينتقل إلى الإجماع ، ثم إلى القياس ، ويشترط أن يكون له أصل من الكتاب أو السنة على أنه لم يتوسع في القياس توسع غيره ممن أخذوا به ، وأبطل نوعاً منه اشتهر به الأحناف وأطلقوا عليه اسم الاستحسان وأنكره عليهم كما أنكر على مالك الاحتجاج بعمل أهل المدينة ، والقول بالمصالح المرسلة ، والأخذ بقول الصحابي ، ورفض الحديث المرسل في الجملة إلا مراسيل ابن المسيب .

وكان لرحلته أثر فعال حين عاد سنةَ: (١٩٥) هـ إلىٰ العراقِ ـ وكانَ ذلكَ في خلافةِ الأَمينِ ـ واستطاعَ في هذهِ المرَّةِ التأثيرَ بكثيرٍ مِنَ العلماءِ الذينَ اتَّصلوا بهِ ، وأَخذوا عنهُ ، وهَجروا ما كانوا عليهِ مِنْ طريقةِ أَهلِ الرأي . وكانت إقامَته في هذهِ المرَّةَ سنتَينِ ، صنَّفَ خلالَها كتابَهُ في المذهب القديمِ المسمَّىٰ بـ : « الحجَّةِ » .

ثم بعدَ ذلكَ رَجعَ إِلىٰ الحجازِ فترةً ليقدمَ إِلىٰ العراقِ قَدمتَهُ الثالثةَ حيثُ أَقامَ أشهراً ، ثمَّ ارتحلَ إِلىٰ مصرَ حيثُ ظهرتْ مواهبُهُ ومقدرتُهُ الكلاميةُ ، وفيها خالطَ العلماءَ وسمعَ ما عندَهُم مِنْ حديثٍ وفقهٍ ، ورأىٰ عاداتٍ وحالاتٍ اجتماعية تخالفُ ما سمعَ ورأىٰ في الحجازِ والعراقِ ممَّا دَفعَهُ إِلىٰ تغييرِ وَجهِ الاجتهادِ عندَهُ في بعضِ مسائلهِ بما عُرفَ بالمذهبِ الجديدِ وهوَ مجموعٌ في كتابهِ « الأُمِّ » حيث يقول :

(الأَصلُ قرآنٌ أَو سُنَّةٌ ، فإِنْ لَم يَكنْ . . فقياسٌ عليهِما . وإِذا اتصلَ الحديثُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ وصحَّ الإِسنادُ بهِ . . فهوَ المنتهى . والإِجماعُ أَكبَرُ مِنَ الخبرِ المفردِ ، والحديثُ علىٰ ظاهرهِ ، وإِذا احتملَ المعانيَ . . فما أَشبَهَ منها ، ظاهرُهُ أَولاها بهِ . وإِذا تكافأَتِ الأَحاديثُ . . فأَصحُّها إِسناداً أَولاها . وليسَ المنقطعُ بشيءٍ ، ولا يقاسُ أَصلٌ علىٰ أَصل ، ولا يُقالُ للأَصلِ : لِمَ وكيفَ؟ وإِنَّما يقال للفرعِ : لِمَ؟ فإِذا صحَّ قياسُهُ علىٰ الأَصلِ . . صحَّ وقامتْ بهِ الحجَّةُ) اهـ .

خلَّفَ الإِمامُ الكثيرَ مِنَ الكتبِ الأُمَّهاتِ في المذهبِ منها : ما يُمثِّلُ المذهبَ القديمَ ؛ كـ « الأمالي » ، و« مجمعِ الكافي » ، و« عيونِ المسائلِ » ، و« البحرِ المحيطِ » . ومنها : ما يُمثِّلُ المذهبَ الجديدَ ؛ كـ « الأُمِّ » ، و« الإِملاءِ » ، و« المختصراتِ » ، و« الرسالةِ » ، و« الجامعِ الكبيرِ » وغيرها .

وقد ألف أتباع الشافعي كتباً في مذهبه ، وأضافوا إلى ما أورده من الأحكام أحكاماً أخرى استنبطوها على مقتضى قواعد المذهب بحسب ما كان يجدُّ في العصور والبيئات ، ومن أشهر تلك الكتب « المهذب » للشيرازي وأمثالهُ من مؤلفات نقل عنها العمرانيُّ في كتابه «البيان» ، وكتب إمام الحرمين ، و« الوجيز » و«الوسيط» و«البسيط» للغزالي ، و« المحرر » و« فتح العزيز » للرافعي ، و« الروضة » و« المجموع » و« المنهاج » للنواوي وما جدَّ على ذلك من شروح كنحو ما ألفه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والجلال المحلِّي ، وابن حجر الهيتمي ، والشمس الرملي ، والخطيب الشربيني ، والحجازي الفشني ، والحصني الدمشقي ، والمليباري ، وابن النقيب ، والدميري ، وحواشٍ للقليوبي ، وعميرة ، والبجيرمي ، والجَمل ، والمدابغي ، والشرقاوي ، والبيجوري ، والشرواني ،

والعبادي ، وشطا ، والترمسي ، وباعشن ، وبافضل ، والنبراوي ، وأضرابهم رحمهم الله تعالى ، وكتب أخرى إلى وقتنا هذا .

نشأَةُ الفقه والمذهبِ الشافعيِّ في اليمنِ وتطوّرُهُ :

مما يجدر الإشارة إليه أنَّ من الكتب القديمة التي كان عليها مدار الفقه والتشريع في اليمن قبل دخول مصنفات الشافعية « جامع السنن » لمعمر بن راشد البصري وهو أقدم من « الموطأ » ، و« موطأ » الإمام مالك ، و« جامع » عبد الرزاق الصنعاني ، و« جامع السنن » لأبي قرة موسى بن طارق اللحجي الرعرعي الذي كانت له تواليف في الفقه انتزعها من فقه مالك ، وأبي حنيفة ، ومعمر ، وابن جريج ، والثوري ، وابن عيينة ؛ لأنه لقيهم جميعاً .

ومما يروي عن طاووس وابنه والحكم بن أبان وقدماء فقهاء اليمن من التابعين وتابعي التابعين ، من أهل اليمن . . . والذين تحسن الإشارة إلى بعضهم باختصار كما يأتي :

بعض فقهاء التابعين من اليمن :

١ـ **طاووس بن كيسان** : تفقه بابن عمر وابن عباس وأبي هريرة .

٢ـ **وهب بن منبه** : روى عن أبي هريرة وكذا أخوه همام بن منبه .

٣ـ **حنش بن عبد الله الصنعاني**: يكنى : أبا رشدين ، سماه الإمام مسلم أبا رشدين الجندي وكان مع الإمام علي كرم الله وجهه في الكوفة .

٤ـ **الضحاك بن فيروز** : الذي صحب ابن الزبير وعمل له ، روى عن أبي هريرة ، وابن عباس .

٥ـ **صفوان بن يعلى بن أمية** : من رواة الصحيح : روى عن أبيه يعلى بن أمية ، وروى عنه عطاء بن أبي رباح .

٦ـ **عطاء بن أبي رباح** : (من موالي فهر أو جمح) وهو من مولَّدي الجنَدَ . وكان يفتي الحاج في زمن بني أمية .

٧ـ **عمرو بن دينار** : تفقه بابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وطاووس ، وسعيد بن جبير .

ومن فقهاء تابعي التابعين باليمن :

١ـ **مَعْمَر بن راشد البصري** : سكن (صنعاء)، وأخذ عن همَّام بن مُنَبِّه، والزهري ، وارتحل إليه الثوري، وابن عُيينة، وابن المبارك، وغندر، وهشام بن عروة بن يوسف قاضي (صنعاء) وأخذ عنه عبد الرزاق فقيه اليمن، وله «الجامع» المشهور في السنن.

٢ـ **الحَكَم بن أبان العَدَني** : أخذ عن طاووس بن كيسان ، عن ابن عباس ، وليَ قضاء (عدن) ، وابنه إبراهيم بن الحكم روى عنه الحديث ، وارتحل أحمد ابن حنبل إلى ابنه إبراهيم بن الحكم إلى (عدن) في رحلته إلى (صنعاء) وشيوخ اليمن .

٣ـ **عبد الرزاق بن هَمّام** بن نافع الحميري ، فقيه (صنعاء) المرحول إليه من أجل علمه ، أخذ عن معمر، والثوري، وابن جريج، وغيرهم من الحفاظ ، وارتحل إليه إسحاق ابن راهويه، وعلي ابن المديني، ومحمود بن غيلان ، روى عنه الإمام أحمد ابن حنبل «تاريخه» ومفرقات غيره ، وقال له : ولدت سنة ست وعشرين ومئة في آخر أيام بني أمية ، وله تصنيف مليح ترويه الحنابلة في (بغداد) ، مسنداً إلى أحمد رحمهم الله تعالى .

مات عبد الرزاق بن همام سنة اثنتي عشرة ومئتين ، وكان عمره ستاً وثمانين سنة.

وبعد هذه الطبقة من تابعي التابعين رضوان الله عليهم انتقل الفقه إلى طبقة أخرى في المئة الثالثة وكان من بين المشهورين باليمن بالفقه والحديث :

١ـ **موسى بن طارق اللحجي الرعرعي** ، والرعارع في لحج ، ونسبه الدارقطني إلى الجَنَد .

٢ـ **الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العَدَني** ، قاضي (عدن) المكي ، كان من جلّة الحفّاظ وأكابر العلماء وهو يمني ولي قضاء (عدن) . قال الترمذي : وهو مكي بسكنى (مكة) ، سمع منه الإمامان الحافظان مسلم بن الحجاج وفي « الجامع الصحيح » لمسلم رضي الله عنه تخريج حديثه عنه . وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي في « جامعه الصحيح » وروى عنه الترمذي أنه قال : حججت ستين حجة ماشياً على قدمي .

٣ـ **محمد بن كثير الصنعاني** ، روى أبو داود السجستاني عن أحمد بن إبراهيم

عنه ، عن الأوزاعي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ « إذا وطىءَ أحدكُم بخفه الأذىٰ . . فإنَّ الترابَ له طهورٌ » .

وبعد هذه النبذة نعرج إلى ما نحن بصدده من متابعة البحث فنقول :

كانَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ قد زارَ اليمنَ بقَصْدِ طلبِ الرزقِ فتولَّىٰ فيها القضاءَ (بنجران) ساعدَهُ في ذلكَ قاضي اليمنِ مصعبُ بنُ عبدِ اللهِ القرشيّ ، وكانَ لَه مِنَ العمرِ وقتئذٍ ثلاثونَ عاماً بدأَ عندَها الإمامُ يزرعُ بذورَ المذهبِ في تلكَ البلادِ ، وهوَ يَنظرُ إلىٰ اليمنِ نظرةَ عنايةٍ واهتمامٍ يُشجِّعُهُ في ذلكَ زواجُهُ مِنْ أَهلِ صنعاءَ ، ولعلَّ هذا العاملَ مِنْ أَسبابِ انتشارِ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ فيما بعدُ في بلادِ اليمنِ التي كانَ لهَ بها أَصحابٌ وتلاميذُ وأَتباعٌ .

وكانَ قد سبقَ انتشارَ المذهبِ الشافعيِّ في اليمنِ شيوعُ المذهبِ المالكيِّ والحنفيِّ ، وذلكَ حتَّىٰ أواخرِ القرنِ الثالثِ الهجريِّ قُبيلَ مجيءِ الإمامِ الهادي يحيىٰ بنِ الحسينِ وتأسيسهِ للدولةِ الزيديَّةِ في بلادِ اليمنِ ، حيثُ بدأَ المذهبانِ الشافعيِّ والزيديِّ يأخذانِ بالانتشارِ ، حتَّىٰ أَصبحا هُما المذهبانِ السائدانِ في عمومِ اليمنِ .

قالَ الإمامُ السبكيُّ : إنَّ الغالبَ علىٰ أَهلِ اليمنِ الشافعيةُ ، فلا يُوجدُ غير شافعيٍّ إلاَّ أَنْ يكونَ بعضُ الزيديَّةِ . واستُدلَّ علىٰ صحَّةِ هذا المذهبِ بِما رويَ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قولهِ : « الإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ »[1] . . . ثم قالَ : في اقتصارِ أهلِ اليمنِ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ دليلٌ واضحٌ علىٰ أَنَّ الحقَّ في هذا المذهبِ المُطَّلِبي .

وممَّا مهَّدَ السبيلَ لانتشارِ المذهبِ الشافعيِّ في بلادِ اليمنِ عدمُ رسوخِ مدرسةِ أَهلِ الحديثِ من أهل المدينةِ ، وعدم وجود المذهب الحنفي والمالكي في اليمنِ وقد مهَّدَ ذلكَ للشافعيَّةِ والزيديَّةِ كبدائلَ لمذهب فقهي آخرمعَ الأيَّامِ ، وتأكد ذلك علىٰ أَيدي علماءَ ودعاةٍ وأَنصارٍ ومناظِرينَ ينقلونَ كتبَ الشافعيَّةِ وينشرونَ المذهبَ

---

(١) رواه عن أبي هريرة مسلم (٥٢) في الإيمان ، وانظر للسبكي « الطبقات الكبرىٰ » (٣٢٧/٨) .

كالعِمراني وابن المقري وأمثالهم . وممّا زاد ذلكَ رسوخاً حيازةَ الشافعيِّ فِقْهَ الحجازيِّينَ والعراقيِّينَ معَ فصاحةِ البدوِ ، وقوّةِ الحُجّةِ ، وعذوبةِ المنطقِ ، وحُسنِ المناظرةِ ، حتَّىٰ صارَ وحيدَ عَصْرِهِ وأَقبلَ الناسُ علىٰ انتحالِ طريقتهِ ، وشُغفوا بها إلىٰ أنِ انتشرَ مذهبُهُ دونَ أنْ يعتمدَ علىٰ تأييدِ حاكمٍ أو نفوذِ سلطانٍ .

وممّا زادَ مذهبَ الشافعيِّ ثباتاً وذيوعاً في اليمنِ أنَّ هذا المذهبَ أصبحَ مذهبَ الدويلاتِ والأُسرِ الحاكمةِ التي قامتْ هناكَ منذُ القرنِ الخامسِ الهجريِّ .

وكانَ مِنَ أَوائلِ الفقهاء الذينَ نَشروا مذهبَ الشافعيِّ العلامةُ القاسمُ بنُ محمَّدَ بنِ عبدِ اللهِ الجمحيّ القرشيّ المتوفَّىٰ سنةَ : (٤٣٧) هـ الذي بثَّ المذهب في (الجَندِ وصنعاءَ وعدنٍ)، وازداد انتشار المذهب بواسطة تلاميذه وكذلك أفادَ فقهاءَ المذهبِ في اليمن .

وكانَ مذهبُ الشافعيِّ قد عُرفَ بـ (زبيدَ) التي أَصبحَتْ مركزاً للشافعيَّةِ بشكلٍ خاصٍّ ، ومصدرَ إشعاعٍ علميٍّ ودراسيٍّ إسلاميٍّ هامٍّ لعدَّةِ عصورٍ .

وانتشرَ في (تهامةَ) بفضلِ جهودِ الفقهاءِ من بني أَبي عقامةَ ، وفي (زبيدَ) كانَ تَتَلْمُذُ العلاَّمةِ الجمحيِّ ، وكانتْ لَه مدرسةٌ في (سهفنةَ) تخرَّجَ منها تلاميذُ وفقهاءُ نَشروا المذهبَ في المناطقِ الجنوبيَّة كـ (المعافرِ ولَحْجٍ وأَبينَ) ، وغيرِها .

ومن علماء اليمن : العلاَّمةُ جعفرُ بنُ عبدِ الرحيمِ المحابيّ ت سنة : (٤٦٠) هـ ، صاحبُ مصنفِ « الجامع » .

والمحدِّثُ الحافظُ الرَّحالةُ عبدُ الملكِ بنِ محمَّدِ بنِ أَبي ميسرةَ ت سنة : (٤٩٣) هـ .

والإمامُ العمرانيُّ صاحبُ « البيانِ » ت سنة : (٥٥٨) هـ .

وابنهُ العلاَّمةُ : أبو الطيِّبِ طاهرُ بنُ يحيىٰ العمرانيُّ ت سنة : (٥٨٧) هـ . وتلاميذُ مدرستهِما .

فكانَ لهؤلاءِ الأَعلامِ الدَورُ الكبيرُ في نشرِ المذهبِ وتدريسهِ ، والرحلةُ في نقلِ كتبِ مذهبِ الشافعيَّةِ مِنَ الحجازِ ومصرَ .

وكانَ مِنَ أَهمِّ كتبِ الشافعيَّةِ التي كانَ يَتفقَّهُ بها أَهلُ اليمنِ في القرنِ الخامسِ

الهجريِّ وما قَبْلَهُ . . كتابُ المُزنيِّ ، وأَخذوا أُصولَ الفقهِ عَنِ كتابِ « الرسالة » للشافعيِّ ، كما أَفادوا مِنْ مصنَّفاتِ القاضي أَبي الطيِّبِ والشيخِ أَبي حامدٍ ، وكتبِ أَبي عليٍّ الطبريّ وكتبِ ٱبنِ القطَّان ، ومصنَّفات المحامليِّ ، وشروحِ «مختصر المزنيِّ» المشهورة ومنها : « الفروعُ » لسُليمِ بنِ أيوبَ الرازيِّ .

ولمَّا دَخلَ « المهذَّبُ » اليمنَ في آخِرِ القَرْنِ الخامسِ الهجريِّ . . اغتبط به أهل اليمن فكانَ غايةَ المجتهدينَ ونهايةَ المؤثرينَ ، به تفقَّهَ المصنفون ، وعليهِ ٱعتمدَ المفتونَ[1] .

وقد كانَ مِنْ آثارِ الفقهِ الشافعيِّ في بلادِ اليمنِ ظهورُ نتاجٍ فقهيٍّ وأَدبيٍّ كثيرٍ وغزيرٍ ، كانَ في بداياتهِ الأُولىٰ يعتمدُ علىٰ التقليدِ المذهبي ، ومعَ ذٰلكَ فقد وَجدَتْ بعضُ المصنَّفاتِ اليمنيةِ قَبولاً وٱنتشاراً ككتاب « تيسيرُ الوصولِ إلىٰ جامعِ الأُصولِ » الذي صنفه المحدث العلاَّمةِ ٱبنِ الديبعِ ت سنة : (٩٤٤) هـ ، الذي ٱختصرَ فيهِ « جامع الأصول » لابنِ الأَثيرِ ، وقد لاقىٰ هٰذا الكتابُ ٱنتشاراً كبيراً في العالَمِ الإِسلاميِّ .

وكذلك كتاب (مختصر صحيح البخاري ـ المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) لأحمد بن أحمد الزبيدي ت : ٨٩٣هـ.

وكذلك كتاب (الإرشاد) لابن المقرىء ت : ٨٣٧هـ.

ولعلّ في هذه العجالة بغية و كفاية لمن أراد التعرف على مذاهب السلف رضي الله عنهم وأرضاهم ، وممَّا يفرضهُ الحالُ وضعُ ترجمةٍ للإمام الشافعي صاحب المذهب ، وللإمام الشيرازي صاحب «المهذب» ، اللّذين كان لهما الأثر الأكبر في تأليف العمراني لكتاب «البيان»، ثمَّ نعقب الكلام على صاحب الكتاب والله الموفق للصواب.

* * *

---

(١) انظر « الطبقات الكبرىٰ » للسبكي ص (٨/ ١١٨ـ ١٢٦) . . .

الإمامُ الشّافِعيّ(1)
وَطَرَفٌ مِنْ حَيَاتِه
(١٥٠-٢٠٤هـ)

هو أبو عبدِ اللهِ مُحمَّدُ بنُ إدريسَ بنِ العباسِ بن عثمانَ بن شافعٍ بن السائبِ بنِ

---

(١) **مصادر ترجمة الشافعي :**

اـ **من أفردوه بالترجمة** : داودُ بن عليٍّ الأصفهانيُّ ، وزكريا الساجيُّ ، ونصر المقدسيُّ ، وعبدُ الرحمٰن بن أبي حاتم ، ويحيىٰ بن سالم أبي الخير العمراني ، ومُحمَّدُ بن الحسين الآبريُّ ، والآجرِّي محمد بن الحسين ، والمرزُبانيّ ، والدارقطنيّ ، والقضاعيّ ، والصاحب بن عباد ، والحاكمُ أبو عبد الله ابنُ البيِّع ، والحسنُ بن الحسين بن حكمانٍ ، وأبو عبد الله بنُ شاكرٍ القطانُ ، وإسماعيل بن محمد السرخسيُّ ، وعبد القاهر البغدادي ، وأبو بكر أحمد البيهقيّ ، وأبو بكر الخطيب البغداديّ ، والفخر الرازيّ ، وأبو عبيد الله محمد الأصفهانيّ ، وابن عصرون ، والخزرجيّ في « الانتصار الشريف لجناب محمد بن إدريس »، والصنهاجيّ في « التأنيس بالاحتجاج بابن إدريس » ، وأبو الحسن بن أبي القاسم البيهقيّ ، وإمام الحرمين ، وابن حجر العسقلانيّ ، « والمفيد في الاستبصار فيما جمعه الشافعيّ من الآثار » ، والواسطيّ في « المطالب العليّة » ، والعلويّ في « نسب الإمام الشافعيّ » ، ومصطفى العروس في « الأنوار البهية » ، وحسين الرفاعيّ ، ومحمد أبو زهرة ، ومحمد لبيب البوهيّ ، وأبو بكر أحمد ابن قاضي شهبة ، ومحمَّد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر ، وعمر بن زيد الرعينيّ ، وأبو جعفر بن محمد الخلديّ ، وطاهر بن عبد الله الطبريّ ، وأبو عمرو عثمان بن صلاح الشهرزوريّ ، والتنوخيّ في « التنبيه في ردِّ الشافعي فيما خالف من النصوص » ، والشاذليّ في « الجوهر النفيس في أشعار محمد بن إدريس » ، ومحمد بن محمد بن النقيب ، ويحيىٰ بن إبراهيم السلماسي ، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلونيّ ، وعبد الغني الدقر ، ومحمد بن محمد أدهم ، ومحمد مصطفى في « الجوهر النفيس في تاريخ محمد بن إدريس » ، وآخرون كالهرويّ وابن النجار والبوشنجيّ ، والنواويّ ، وابن كثير ، والجعبريّ ، والزواوي ، وابن الجنيد الرازيّ ، والسجستانيّ ، وابن فهد ، والخلديّ .

ب ـ **وممن ترجمه في مصنفاته** : البخاريّ في « التاريخ الكبير » (١/ ٤٢) و « التاريخ الصغير » (٢/ ٣٠٢) ، وابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٠١) ، وأبو نعيم في=

= « حلية الأولياء » (٩/ ٦٣ـ١٦١) ، وابن النديم في « الفهرست » (ص/ ٤٤١ـ٤٤٧) ، وابن عبد البر في « الانتقاء » (ص/ ٦٥ـ١٢١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ٥٦ـ٧٣) ، والشيرازي في « طبقات الفقهاء » (ص/ ٤٨ـ٥٠) ، وأبو يعلىٰ في « طبقات الحنابلة » (١/ ٢٨٠) ، والقاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٢/ ٣٨٢) ، والسمعانيّ في « الأنساب » (٧/ ٢٥١ـ٢٥٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٢٩٥ـ ٤١٨) و (١٥/ ١ـ٢٥) ، وابن الجوزي في « صفوة الصفوة » ت : (٢٢٠) ، و« مناقب الإمام أحمد » (ص/ ١١٦ـ١٤٥) ، والمراغي في « طبقات الأصوليين » (١/ ٢٠) ، وياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (١٧/ ٢٨١ـ٣٢٧) ، والنواوي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٤٤ـ٦٧) ، و« المجموع » (١/ ١١ـ٢٣) ، وابن خلِّكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٦٣ـ ١٦٩) ، وابن الجزري في « اللباب » (٢/ ١٧٥ـ١٧٦) وفي « الكامل في التاريخ » (٦/ ٢٥٩) ، وأبو الفداء في « المختصر في أخبار البشر » (٢/ ٢٨ـ٢٩) ، وابن الورديّ في « تتمة المختصر » (١/ ٣٢٢ـ٣٢٣) ، والعامريّ في « غربال الزمان » (وفيات/ ٢٠٤ هـ) ، وابن منظور في « تهذيب تاريخ ابن عساكر » (٢١/ ٥٥٣ـ٤١٥) ، والمزّيّ في « تهذيب الكمال » ، ت : (٥٧١٧) ، والذهبي في « تهذيب التهذيب » (٣/ ق ١٨٠/ ٢) و« تاريخ الإسلام » وفيات : (٢٠٤) هـ و« سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٥ـ٩٩) و« تذكرة الحفاظ » (١/ ٣٦١ـ٣٦٣) و« الكاشف » (٣/ ١٧) و« دول الإسلام » (١/ ١٢٧) و« العبر » (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤) ، وابن شاكر في « عيون التواريخ » (٧/ ق ١٧٢ـ١٨٣) ، والصفديّ في « الوافي بالوفيات » (٢/ ١٧١ـ١٨١) ، واليافعيّ في « مرآة الجنان » (٢/ ١٣ـ ٢٨) ، وابن مفلح في « المقصد الأرشد » (٢/ ٣٦٨) ، وابن الملقن في « العقد المذهَّب » خ ، والفيروزآبادي في « المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية » خ ، والبهنسيّ في « الكافي » ، والسبكيّ في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (المجلد الأول) ، والإسنويّ في « طبقات الشافعية » (١/ ١١ـ١٤) ، وابن كثير في « البداية » (١٠/ ٢٥١ـ٢٥٤) ، وابن فرحون في « الديباج المذهَّب » (٢/ ١٥٦ـ١٦١) ، وابن الجزريّ في « غاية النهاية » (٢/ ٩٥) ، وابن قاضي شهبة في « طبقات النحاة » (١/ ٢١) ، وابن قنفذ القسنطيني في « الوفيات » (ص/ ١٥١ـ١٥٢) ، ومجير الدين الحنبلي في « الأنس الجليل » (١/ ٢٩٤) ، وابن حجر في « تهذيب التهذيب » (٩/ ٢٥) ، وابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (٢/ ١٧٦ـ١٧٧) ، والداووديّ في « طبقات المفسرين » (٢/ ٩٨) ، والسيوطيّ في « حسن المحاضرة » (١/ ٣٠٣ـ٣٠٤) ، و« طبقات الحفاظ » ت : (٣٣٦) ، والخزرجيّ في « خلاصة تذهيب تهذيب الكمال » (ص/ ٣٢٦) ، والعليمي في « المنهج الأحمد » (١/ ١٤٠ـ١٥٤) ،

عُبيدِ بن عَبدِ يَزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المطَّلبِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ القرشيُّ المطَّلِبيُّ الشافعيُّ الحجازيُّ المكيُّ[1] . .

هو المجتهدُ الأعظمُ ، والحبرُ المكرَّمُ ، إمامُ الأنامِ ، ونظامُ الإسلامِ ، عالم قريش وفخرها ، وإمام الشريعة وخبيرها ، أحدُ الأئمَّةِ الأربعةِ الأطوادِ ، أفضلُ العلماءِ ، وأعلمُ الفضلاءِ ، وصدرُ البدورِ ، وبدرُ الصدورِ ، وهادي الدُّعاةِ ، وداعي الهداةِ ، عقائدُ أهلِ الأصولِ مُقتدَحَةٌ من زِنادِ كلماتِهِ ، وقواعدُ الفروعِ مُقترَحةٌ من عِدادِ نَغَماتِهِ ، فَازَ بطهارةِ الأَعراقِ ، ودماثةِ الأخلاقِ ، دُرَّةُ الأصدافِ ، وغُرَّةُ الألطافِ ، مِنْ صميمِ آلِ عبدِ منافٍ . كَشَفَ الغُمَّةَ عن الأمَّةِ ، وصرفَ عنهم الملمَّةَ المدلَهِمَّةَ ، بعلمٍ كالبحرِ اللُّجِّيِّ ، ورأيٍ كالبدرِ في اللَّيلِ الدجوجيِّ ، كثيرُ المناقبِ ، جمُّ المفاخرِ ، منقطع القرين ، مذهبُهُ مؤيَّدٌ بنصوصِ القرآنِ ، وسنةِ

= وطاش كبري زادة في « مفتاح السعادة » (٢/ ٨٨ـ٩٤) ، وحسين الديار بكري في « تاريخ الخميس » (٢/ ٣٣٥) ، ومحمد البركوي في « إشراق التواريخ » خ ، وابن هداية الله في « طبقات الشافعية » (ص/ ١١ـ١٤) ، وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (٣/ ١٩ـ٢٤) ، والزبيديّ في « إتحاف السادة المتقين » (١/ ١٩١ـ٢٠١) ، والكتّانيّ في « الرسالة المستطرفة » (ص/ ١٧) ، و « دائرة المعارف الإسلامية بالألمانية » (٤/ ٢٧١ـ٢٧٣) ، وبالعربية (١٣/ ٧٢ـ٧٧) ، والزركليّ في « الأعلام » (٦/ ٢٦ـ٢٧) ، والموسويّ في « نزهة الجليس » (٢/ ١٣٥) ، وحاجي خليفة في « كشف الظنون » (ص/ ١٣٩٧) ، وصديق حسن خان في « التاج المكلل » ت : (٧٨) ، وفريد وجدي في « دائرة معارف القرن العشرين » (٥/ ٤٠٣ـ٤٠٥) ، وفؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي » (٢/ ١٦٥ـ١٧٦) ، وإليان سركيس في « معجم المطبوعات العربية » ، والهاشمي في «جواهر الأدب» (٢/ ١٨٢) ، ورضا كحالة في « معجم المؤلفين » ، وغيرها . . ؛ لأنه ممَّا يصعب استقصاؤها ، وفيما ذكر كفاية .

وترجمة الشافعي هذه اقتطفت من كتاب : « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » للشريف محمد بن الحسن الواسطي ت : (٧٧٦) هـ مع تصرف وتعديل وإضافة ، وهو من منشوراتنا التي هي تحت الطبع .

(١) وقد نظم الرافعيّ ـ من الكامل ـ نسبه رضي الله عنه فقال :

محمَّــدُ إدريــسُ عبَّــاسٌ ومِــنْ ... بعــدِهِــم عثمــانُ إبــنُ شــافــعْ
وســائــبٌ إبــنُ عبيــدٍ ســابــعٌ ... عبــدُ يــزَيــدَ ثــامــنٌ والتَّــاســعْ
هــاشــمٌ المــولــودُ إبــنُ المطَّلِــبْ ... عبــدُ منــافٍ للجميــعِ تــابــعْ

محمَّدٍ ﷺ سيِّد رسلِ الرحمٰنِ ، قد أسَّسَ بنيانَهُ على تقوىٰ من الله عزَّ وجلَّ ورضوانٍ ، واتَّفقَ كلُّ مَنْ قَرُبَ من الإنصافِ ، وبَعُدَ من الاعتسافِ ، مِنَ الأئمةِ العاملينَ ، والعلماءِ الرّاسخينَ : أَنَّهُ المعنيُّ في الحديثِ الثابتِ مِنْ غيرِ ما طريقٍ . منها : ما رواه وهبُ بنُ كيسانَ ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما ، عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال : « اللهمَّ اْهدِ قُريشاً ، فإنَّ عِلْمَ العالِمِ مِنهُمْ يملأُ طباقَ الأرضِ علماً »[1] . لأنَّ الشافعيَّ المطلبيَّ كانَ سيِّدَ فقهاءِ عصرِهِ ، فَاقَ العالَمينَ فطنةً وذكاءً ، وصارتِ المشكلاتُ بإيضاحِهِ منحلَّةَ العُقَدِ ، منفلَّةَ العددِ ، وعاد ليلُ المعضلاتِ المنسدِفُ المغدِرُ ، بأنوار أدلَّتهِ كالنهارِ المشرقِ المسفِرِ ، رموزُه مفاتيحُ الكنوزِ ، وكنوزهُ مصابيحُ الرموزِ ، دلائلُه نفائسُ الأدلَّةِ ، وفضائلُه عرائِسُ الأكِلَّةِ ، نَشرَ العلومَ الشرعيةَ ، وطوى الرسومَ البِدعيةَ ، وانتشرَ مذهبُه في الآفاقِ ، فصار كالنّورِ في الأحداقِ ، بلغ في غُلَواءِ[2] الشبابِ رتبةَ الاجتهادِ ، بملابسةِ الجِدِّ والاجتهادِ .

ومصنَّفاته : في علومِ التّوحيدِ ، ومؤلَّفاته : في قواعدِ الفقهِ والتَّمهيدِ ، وأماليهِ : في الأصولِ والفروعِ ، وأحكامِ العباداتِ ، والجراحِ ، والبيوعِ[3] ، وتوضيحِ المسانيدِ ، وتوشيحِ الأسانيدِ ، وتعديلِ الرجالِ النَّقَلَةِ ، وتصنيفِ الرواةِ الحَمَلَةِ ، وكلُّ ذلك بالنظرِ والاستدلال ، ومناقشةِ الكماةِ[4] الأبطالِ ، والمحاوراتِ في العلومِ ، والمناظراتِ مع الخصومِ ، فاستحقَّ بهذه الفواضل والفضائلِ : أن يكون هو المرادَ بهذا الحديث ، كما أَوْلَتْهُ الأفاضلُ ، دونَ غيرِهِ مِنْ سائرِ العلماءِ الأماثلِ ، مِمَّنْ رُزقَ علماً غزيراً : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

---

(١) أخرجه عن ابن عباس أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ٦٥) .

(٢) **غلواء الشباب** : شرخه وأوله .

(٣) جمع له ابن النديم في « الفهرست » (ص٤٤٢ـ٤٤٥) من الكتب مئة وخمسة كتب . وقال د. فؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي » (٢/ ١٦٩) عن آثاره : تبلغ كتب الشافعي حوالي (١١٣ـ١٤٠) كتاباً . وانظر للتوسُّع في ذلك أيضاً « مناقب الشافعي » للبيهقي ، و« توالي التأسيس » لابن حجر العسقلاني وأمثالها ممّا اعتنت بذكر مصنفاته .

(٤) **الكماة** ـ جمع كمي ـ : لابس السلاح ، والشجاع المِقدام الجريء .

يجتمعُ معَ النبيِّ ﷺ في جدِّه عبدِ منافٍ ، وهو رابعُ أبٍ لرسولِ اللهِ ﷺ ، وعاشرُ أبٍ للشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ ولقي جدُّه شافعٌ رسولَ الله ﷺ وهو مُتَرَعْرِعٌ ، وكان أبوه السائبُ صاحبَ رايةِ بني هاشمٍ يومَ بدرٍ ، فأُسِرَ ، وفَدَىٰ نفسَه ، ثمَّ أسلمَ[1] .

وذكرَ العلماءُ : أنَّ هاشماً ولدَ الشافعيَّ ثلاثَ مراتٍ ؛ لأنَّ أمَّ السائبِ : هي الشفاءُ بنتُ الأرقمِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ وهي أختُ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ ، وأمُّ الشفاءِ : هي خَلِيدَةُ بنتُ أسدِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ أختُ فاطمةَ بنتِ أسدٍ أمِّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

فهو ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وابنُ عمَّتِهِ ، وهو ابنُ خالةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

قال النواويُّ : وقد أكثرَ من المصنَّفاتِ في مناقبِ الشَّافعيِّ وأحوالِهِ من المتقدِّمينَ والمتأخِّرينَ خلائِقُ مِنَ العلماءِ لا يحصَوْنَ . . وكتبُهم في مناقبهِ مشهورةٌ ، ومِنْ أحسنِها وأتقنِها : كتابُ البيهقيِّ[2] وهو مجلّدانِ ؛ اشتملا على نفائِسَ مِنْ كلِّ فنٍّ ، استوعبَ فيه معظمَ أحوالِهِ ومناقبِهِ بالأسانيدِ الصحيحةِ ، والدلائلِ الصريحةِ ، والترجمةُ هنا مبنيَّةٌ على الاختصارِ ، فلا يليقُ بها البسطُ والإكثارُ ، فنقتصرُ فيها إن شاء الله تعالى على الإشارةِ إلى نُبَذٍ من تلك المقاصدِ ، والرمز إلى جُمَلٍ من تلك الكلِّيَّاتِ والمعاقدِ ، فأقولُ مستعيناً بالله ومتوكِّلاً عليه :

الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ قرشيٌّ مطَّلِبيٌّ بإجماعِ أهلِ النقلِ ، وقد تظاهرتِ الأحاديثُ الصحيحةُ في فضلِ قريشٍ وتفضيلِهم على جميعِ قبائلِ العربِ وغيرِهم ، وفي « مسند » الطيالسي (٩٢٦) : عن رسول الله ﷺ قال : « الأئمَّةُ مِنْ قريشٍ »[3] .

---

(١) جاء في « التاج المكلل » : قيل له : لِمَ لم تسلم قبل أن تفدي نفسك ؟ قال : ما كنت أحرم المؤمنين مطمعاً لهم فيَّ .
(٢) مطبوع بتحقيق سيد صقر في مجلدين نافع متداول .
(٣) أخرجه أيضاً من طرق عن أنس النسائي والطبراني في « الدعاء » ، والبزار ، والبيهقي . كما في « تلخيص الجبير » (٣/ ٤٩) وقال : قد جمعت طرقه في « جزء » مفرد عن نحو أربعين صحابياً وفي الباب : =

وفي « صحيح مسلم » (١٨١٩) : عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « الناسُ تبعٌ لقريشٍ في الخيرِ والشرِّ » .

وفي مسلم (٢٦٣٨) (١٦٠) : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الناسُ معادنُ ؛ خيارُهم في الجاهليَّة خيارُهم في الإسلامِ إذا فقُهوا » .

وفي مسلم (٢٢٧٦) : عن واثلةَ بنِ الأسقعِ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ اصطفىٰ قُريشاً من كِنانةَ ، واصطفى مِنْ قريشٍ بنِي هاشمٍ ، واصطفاني مِنْ بنِي هاشمٍ » .

وفي البخاري (٣١٤٠) و (٣٥٠٢) و (٤٢٢٩) : عن جبيرِ بنِ مُطعِمٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّما بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ شيءٌ واحدٌ » .

وقد قال الساجيُّ في كتابه المشهورِ « اختلافُ العلماءِ » : إنما بدأتُ بالشافعيِّ قبلَ جميعِ الفقهاءِ وقدَّمتُهُ عليهِم وإنْ كانَ فيهم مَنْ هوَ أقدمُ مِنهُ اتباعاً للسنَّةِ ؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « قدِّموا قريشاً ، وتعلَّموا من قريش »[1] .

وقال الإمامُ أبو نعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ محمَّدِ بنِ عَديٍّ الاستراباذيُّ صاحبُ الربيعِ بن سليمانَ المراديِّ :

في هذا الحديثِ علامةٌ بيِّنةٌ : إذا تأملَ الناظرُ المميِّزُ . . عَلِمَ أَنَّ المرادَ بهِ : رجلٌ مِنْ علماءِ هذِه الأُمةِ مِنْ قريشٍ ، ظهرَ علمُهُ وانتشرَ في البلادِ ذِكرُهُ ، وكُتبتْ ـ كما تكتبُ المصاحفُ ـ كتبُه ، ودرسَها المشايخُ والشبَّانُ في مجالسِهم ، وصدَّروا أقوالَه في مجالسِ الحكَّامِ والأمراءِ والقرَّاءِ وأهلِ الآثارِ وغيرِهم . قال : وهذه صفةٌ لا نعلمُها في غيرِ الشافعيِّ .

= رواه عن أبي هريرة البخاري (٣٤٩٥) في المناقب ، ومسلم (١٨١٨) في الإمارة بلفظ : « الناس تبع لقريش في هذا الشأن ، مسلمهم لمسلمهم ، وكافرهم لكافرهم » .

(١) قال عنه الحافظ في « الفتح » (٦/٦١٣) في المناقب أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح ، لكنه مرسل ، وله شواهد .

قال : فهو عالمُ قريشٍ الذي دوَّنَ العلمَ وشرحَ الأصولَ والفروعَ ومهّدَ القواعدَ .

وقال البيهقيُّ بعدَ روايتهِ كلامَ أبي نعيمٍ : وإلى هذا ذهبَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ في تأويلِ الخبرِ .

وانظر : كيفَ حملَهُ العلماءُ المتقدمونَ والمتأخرونَ على الشافعيِّ ، واستدلوا له : بأنَّه لم يُنقلْ عنِ الصحابةِ رضي الله عنهم إلا مسائلَ معدودةً ، إذ كانتْ فتاويهِم مقصورةً على الوقائعِ بلْ كانوا يَنهونَ عنِ السؤالِ عمَّا لم يقعْ ، وكانتْ هِمَمُهم مصروفةً إلى جهادِ الكفارِ لإعلاءِ كلمةِ الإسلامِ ، وإلىٰ مجاهدةِ النفوسِ بالعبادةِ ، فلم يتفرغُوا للتصنيفِ ، وكذلك التابعونَ لم يصنِّفوا ، وأما من جاءَ بعدَهم وصنَّفَ الكتبَ . . فلم يكنْ فيهم قرشيٌّ يتصفُ بهذه الصفةِ قبلَ الشافعيِّ ولا بعدَهُ إلاَّ هُوَ .

مولدُه :

أَجمَعوا : أنه ولدَ سنةَ خمسينَ ومئةٍ ، وهي السنةُ التي توفيَ فيها أبو حنيفةَ رحمه الله ، وقيل : إنه ولد في اليومِ الذي توفي فيه أبو حنيفةَ[١] .

قال البيهقيُّ : ولم يُثبَتِ اليومُ ، ثم المشهورُ الذي عليه الجمهورُ : أن الشافعيَّ ولدَ بغزةَ ، وقيل : بعسقلانَ ، وهما مِنَ الأرضِ المقدسةِ التي باركَ اللهُ فيها ، ثُمَّ حُملَ إلىٰ مكَّةَ وهو ابنُ سنتينِ .

نشأتُهُ وشيوخُه :

نشأَ يتيماً في حِجْرِ أُمِّهِ في قلَّةِ عيشٍ وضِيقِ حالةٍ[٢] ، وكانَ في صباهُ يجالسُ العلماءَ ، ويكتبُ ما يستفيدُهُ في العظامِ ونحوِها ؛ لعجزِهِ عن شراءِ الورقِ ، حتى ملأَ منها حِباباً[٣] .

---

(١) لذا قالوا : كُسف قمر ، وبزغ قمر .

(٢) روي أنَّ أمَّه كانت تقول له : اطلب العلم يا بنيَّ وأنا أكفيك بمغزلي . وكان يقول عن نفسه : **لو كلِّفت بصلة ما تعلمت مسألة .**

(٣) **الحِباب** ـ جمع حُبٍّ ـ : الجرار الكبيرة .

وقال مصعبُ بنُ عبدِ الله الزبيريُّ : كانَ الشافعيُّ رحمه الله في ابتداءِ أمرِه يطلبُ الشعرَ وأيّامَ العربِ[1] والأدبَ ، ثُمَّ أَخذَ في الفقهِ ، وكان سببُ أخذِه فيهِ : أَنَّهُ كانَ يوماً يسيرُ علىٰ دابّةٍ لهُ وخلفَهُ كاتبٌ ، فتمثَّلَ الشافعيُّ ببيتِ شِعْرٍ ، فقرَعَه الكاتِبُ بسوطِهِ ، ثم قال له : مثلُك يذهبُ بمروءَتِه في مثلِ هذا ؟ أينَ أنتَ منَ الفقهِ ، فهزَّه ذلك ؛ فقصدَ مُجالسَةَ :

مُسلمِ بنِ خالدٍ الزَّنْجيِّ مفتي مكَّةَ ، ثُمَّ قدمَ علينا ـ يعني : المدينةَ ـ **فلزِم مالكاً** رحمه الله تعالىٰ .

وعن الشافعيِّ رحمه اللهُ تعالىٰ قال : كنتُ أنظرُ في الشعرِ ، فارتقيْتُ عَقَبةً[2] بمنىً ، فإذا صوتٌ مِنْ خلفي يقولُ : عليكَ بالفقْهِ .

وعن الحميديِّ قال : قال الشافعيُّ : خرجت أطلبُ النحوَ والأدبَ ، فلقيَني مسلمُ بنُ خالدٍ الزنجيُّ فقال : يا فتىٰ مِنْ أينَ أنتَ ؟ قلتُ : من أهلِ مكَّةَ ، قال : أينَ منزلُكَ ؟ قلتُ : بشِعبِ الخَيفِ[3] ، قال : مِنْ أيِّ قبيلةٍ أنتَ ؟ قلتُ : مِن عبدِ منافٍ ، قال : بَخٍ بَخٍ[4] !! لقد شرَّفَكَ اللهُ تعالىٰ في الدنيا والآخرةِ . ألاَ جعلتَ فهمَكَ هذا في الفقهِ ، فكانَ أحسنَ بكَ ؟ فأخذ الشافعيُّ في الفقهِ وحصَّلَ منهُ علىٰ مسلمِ بنِ خالدٍ الزنجيِّ وغيرِه من أئمَّةِ مكَّةَ ما حصَّلَ .

ومِنْ شيوخِه في مكةَ : عليُّ بنُ قسطنطين ؛ قرأ عليه القرآنَ ، وسفيانُ بنُ عيينةَ ، وسعدُ بنُ سالمٍ القداحُ ، وعمُّه محمدُ بنُ عليِّ بنِ شافعٍ ، وداودُ بنُ عبدِ الرحمنِ العطارُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ المليكيُّ ، وعبدُ المجيدِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ أبي داودَ ، والفضيلُ بنُ عياضٍ وغيرهُم .

---

(١) قال الربيع : كان الشافعي إذا خلا في بيته كالسيل يهدر في أيّام العرب . ذكره الشيخ عبد الغني الدقر (ص/ ٢٥٢) .

(٢) عقبة : جبل .

(٣) وهو الذي فيه مسجد الخيف المشهور بمنىً .

(٤) بخ ـ وزان بل ـ : كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء ، وتكرر للمبالغة ، فيقال : بخ بخ ، فإن وُصِلت خُفِضت ونوِّنت ، فقلت : بخٍ بخٍ ، وربما شدِّدت كالاسم ، فقيل : بخٍّ .

ومن شيوخهِ بالمدينةِ : إبراهيمُ بنُ أبي يحيىٰ الأسلميُّ ، وإبراهيمُ بن سعدٍ الأنصاريُّ ، ومحمدُ بنُ سعيدِ بنِ أبي فُدَيْكٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ نافعٍ الصائغُ ، وعبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ الدارَوَرديُّ ، وعطافُ بنُ خالدٍ ، وإسماعيلُ بنُ جعفر .

ومِنْ شيوخِهِ في اليمنِ : مطرِّفُ بنُ مازنٍ ، وهشامُ بنُ يوسفَ القاضي ، وعمرُو بنُ أبي سلمةَ صاحبُ الأوزاعيِّ ، ويحيىٰ بنُ حسان صاحبُ الليثِ بنِ سعدٍ .

ومِنْ شيوخهِ في بغداد : وكيعُ بنُ الجراحِ ، ومحمَّدُ بنُ الحسنِ فقيهُ العراقِ ، وإسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ابنُ عُلَيَّةَ ، وأبو أسامةَ حمادُ بنُ أسامةَ ، وعبدُ الوهّابِ بنُ عبدِ المجيدِ الثقفيُّ ، وأيوبُ بنُ سويدٍ الرمليُّ ، وغيرُهم .

رحلته :

رحلَ إلىٰ المدينةِ قاصداً الأخذَ عنِ الإمامِ مالكٍ ـ ورحلتُه مشهورةٌ ـ فأكرمَه الإمامُ رحمه الله لنسبِهِ وعلمِهِ وفَهمِهِ وعقلِهِ ، وأدَّبهُ بما هو لائقٌ بحالِه ، فقرأَ عليه « الموطأَ » حِفظاً ، فأَعجبَتْه قراءتُهُ ، وكانَ يستزيدُهُ من القراءةِ ، ولازَمَ مالكاً ، فقالَ له مرَّة : اتقِ اللهَ ، فإنَّه سيكونُ لكَ شأنٌ . ـ وفي روايةٍ أنَّه قالَ له ـ : إنَّ الله سبحانه وتعالىٰ قد ألقىٰ في قلبكَ نوراً فلا تطفئْهُ بالمعصيةِ[1] . وكانَ سِنُّ الشافعيِّ حينَ أتىٰ إلى مالكٍ ثلاثَ عشرةَ سنةً .

ثُمَّ رحلَ إلىٰ اليمنِ ، واشتُهرَ بحسنِ سيرتِهِ ، وحملِهِ الناسَ على السنَّةِ والطرائِقِ الجميلةِ بأشياءَ كثيرةٍ معروفةٍ .

ثم **رحلَ إلى العراقِ ثلاث مرات** ، وجَدَّ في الاشتغالِ بالعلمِ ، وناظَرَ محمَّدَ بنَ الحسنِ وغيرَهُ ، ونشرَ علمَ الحديثِ ، وأقامَ مذاهبَ أهلِهِ ، ونشرَ السنَّةَ ، وشاعَ ذكرُهُ وفضلُهُ وتزايدَ تزايداً ملأَ البقاعَ ، وطلبَ منهُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ مهديٍّ ـ إمامُ أهلِ

---

(١) ونحوهُ ما يروى عن الشافعي من الوافر ولم يثبته جماعة :

شكـوت إلـى وكيـعٍ سـوءَ حفظـي ... فـأرشـدنـي إلـى تـرك المعاصـي
وأخبـرنـي بـأنّ العلـم نـورٌ ... ونـور الله لا يُهـدىٰ لعـاصـي

الحديثِ في عصرِه ـ أن يصنِّفَ كتاباً في أصولِ الفقهِ .

وكان عبدُ الرحمٰنِ ويحيىٰ بنُ سعيدٍ القطانُ وأحمدُ ابنُ حنبلٍ يَدْعونَ للشافعيِّ في صلاتِهم ؛ لِما رأَوا مِنِ اهتمامِهِ بإقامَةِ الدينِ ونصرِ السنَّةِ وفهمِها ، وإخراجِ الأحكامِ منها ، وأجمعَ الناسُ : على استحسانِ « رسالتِهِ » . وأقوالُ السلفِ في ذلك مشهورةٌ .

قال المزني : أنا أنظر في « الرسالة » من خمسينَ سنةً . ما أعلمُ أنِّي نظرتُ فيها مرةً إلا واستفدتُ منها فائدةً جديدةً لم أكنْ أعرِفُها[1] .

ولمَّا اشتهرتْ جلالةُ الشافعيِّ بالعراقِ ، وسارَ ذكرُه في الآفاق ، وأَذعَنَ لفضلِهِ الموافقونَ والمخالفونَ ، واعترفَ بِهِ العلماءُ أجمعونَ ، وعظمتْ عندَ الخلائقِ وولاةِ الأمورِ مرتبتُهُ ، واستقرتْ عندَهم جلالتُهُ وإمامتُهُ ، وظهرَ من فضلِهِ في مناظرةِ أهلِ العراقِ وغيرِهم ما لم يظهرْ لسواهُ ، وأظهرَ مِنْ بيانِ القواعدِ ومهمّاتِ الأصولِ ما لا يُعرَفُ لمنْ عَداهُ ، وامتُحِنَ في مواطنَ كثيرةٍ مِنَ المسائلِ بما لا يُحصىٰ ؛ فكانَ جوابُهُ فيها من الصوابِ والسدادِ بالمحلِّ الأعلىٰ . عَكفَ عليهِ للاستفادةِ منه الأصاغرُ والأكابرُ والأئمةُ والأخيارُ من أهل الحديثِ والفقهِ وغيرِهم . ورجع كثيرٌ منهم عن مذاهبَ كانوا عليها إلى مذهبِهِ ، وتمسَّكوا بطريقته ، كأبي ثورٍ وخلائقَ مِنَ الأئمةِ ، وتركَ كثيرٌ منهمُ الأخذَ عنْ شيوخِهِ وكبارِ الأئمةِ ، وذلك بانقطاعِهم إلىٰ الشافعيِّ حينَ رأَوا عندَه ما لا يجدونَهُ عندَ غيرِهِ ، وبارَكَ اللهُ الكريمُ له ولهم في تلك العلومِ

---

(١) وجدت في طرَّة مخطوط حاشية على « الترغيب والترهيب » فائدة أحببت إثباتها وهي : قال الشافعي فيما سمعه منه صاحبه البويطي : قد أَلَّفْتُ هذه الكتب ولم آلُ فيها جُهداً ، ولا بُدَّ أن يوجد فيها الخطأ ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢] ، فما وجدتم في كتبي هذه فيما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه .

وقال الربيع بن سليمان المراديُّ : قرأت كتاب « الرسالة » على الشافعيِّ نيفاً وثلاثين مرَّةً ، فما من مرَّةٍ إلاَّ وكان يصححه ، ثم قال الشافعي في آخره : أبىٰ الله أن يكون كتابٌ صحيحٌ غيرَ كتابه ، يدلُّ على ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ .

الباهرةِ ، والمحاسنِ المتظاهرةِ ، والخيراتِ المتكاثرةِ ، ولله الحمدُ على ذلكَ وعلى سائرِ نِعَمهِ التي لا تحصىٰ .

ثم خرج إلى مصر وسكن الفسطاط في سنة : (١٩٩) أو (٢٠٠) هـ فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبه بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه .

مؤلفاته :

صنَّفَ في العراقِ كتابَه القديمَ ويُسمَّىٰ : كتابَ « الحجة » ، ويرويه أربعةٌ مِنْ كبارِ أصحابِهِ العراقيينَ وهم : أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، وأبو ثورٍ ، والزّعْفرانيُّ ، والكرابيسِيُّ . وأتقنُهم له روايةً الزّعْفَرانيُّ ، ثم خَرَجَ الشافعيُّ إلى مصرَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومئةٍ . وقالَ الربيعُ : سنةَ مئتينِ ، ولعلّهُ قَدِمَ آخرَ سنةِ تسعٍ ، جمعاً بينَ الروايتينِ .

وصنَّفَ كتبَهُ الجديدةَ كلَّها بمصرَ ، وسارَ ذكرُه في البلدانِ ، وقصدَه الناسُ مِنَ الشامِ واليمنِ والعراقِ وسائرِ النواحي والأقطارِ ؛ للتفقُّهِ عليهِ ، والروايةِ عنهُ ، وسماعِ كتبِهِ منه ، وأخذِها عنه ، وسادَ أهلَ مصرَ وغيرَهم ، وابتكرَ كتباً لم يُسبقْ إليها ، منها : أصولُ الفقه ، وكتابُ القسامةِ ، وكتابُ الجزيةِ ، وكتابُ قتالِ أهلِ البغيِ ، وغيرُها مِنَ المصنفاتِ في الأصولِ والفروعِ التي لم يُسبقْ إليها كـ« الأمّ » في نحو خمسةَ عشرَ مجلداً ، وجامِعَي المزنيِّ « الكبيرِ » و « الصغيرِ » ومختصرَيه و«مختصرِ» الربيعِ ، والبويطيِّ ، و«كتابِ حرملةَ» ، و« كتابِ الحجةِ » ، وهو القديمُ ، و« الرسالةِ » الجديدة ، والقديمة ، و « الأمالي » ، و « الإملاءِ » ، وغيرِ ذلك ممَّا هو معروفٌ ، وقد جمعَها البيهقيُّ في « مناقبِ الشافعيِّ » رحمه الله تعالىٰ .

قال القاضي الإمامُ أبو محمَّدٍ الحسينُ بنُ محمّدٍ المروزيُّ في خطبةِ تعليقِه : قيلَ : إنَّ الشافعيَّ صنفَ مئةً وثلاثةَ عشرَ كتاباً في التفسيرِ والفقهِ والأدبِ وغيرِ ذلكَ .

وأَمَّا حسنُها فأمرٌ يُدرَكُ بمطالعتِها ، فلا يَتمارىٰ فيها موافقٌ ولا مخالفٌ . وأَمَّا كتبُ أصحابِهِ التي هي شروحٌ لنصوصِهِ ومخرَّجةٌ على أصولِهِ ومفهومةٌ من قواعدِهِ : فلا يحصرُها إلاَّ اللهُ سبحانه وتعالىٰ ، مع عظيمِ فوائدِها وكثرةِ عوائدِها ، وكِبَرِ حجمِها ، وحسنِ ترتيبِها ونظمِها كـ : « تعليقِ » الشيخِ أبي حامدٍ الإسفرايِيني

وصاحبيه : القاضي أبي الطيِّبِ والطبريِّ ، والماورديِّ صاحبِ « الحاوي » ، و« نهايةِ المطلبِ » لإمامِ الحرمين وغيرِها مما هو معروفٌ[1] ، وكلُّ هذا مُصرِّحٌ بغزارةِ علمهِ ، وجزالةِ كلامهِ ، وبلاغتهِ ، وبراعةِ فهمهِ ، وصحَّةِ نيتهِ ، وحسنِ طويَّتِه .

وقد نُقل عنه في صحَّةِ نيَّتهِ نقولٌ كثيرةٌ مشهورةٌ ؛ وكفىٰ بالاستقراءِ في ذلكَ دليلاً قاطعاً ، وبرهاناً ساطعاً .

قال الساجيُّ في كتابهِ « الاختلاف » : سمعتُ الربيعَ يقولُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : ودِدتُ أَنَّ الخلقَ تعلَّموا هذا العلمَ علىٰ أنْ لا ينسبَ إليَّ منهُ حرفٌ . وهذا إسنادُه لا يُمارىٰ في صحتِهِ .

وقال الشافعيُّ رحمه الله : وددتُ أنِّي إذا ناظرتُ أحداً أنْ يُظهِرَ اللهُ الحقَّ علىٰ يديهِ .

فصلٌ يلخصُ جملةً مِنْ أحوالِ الشافعيِّ :

اعلم : أنه كانَ له رحمه الله مِنْ أنواعِ المحاسنِ المحلُّ الأعلىٰ ، والمقامُ الأسنىٰ ، لمَا جمعَهُ اللهُ الكريمُ لهُ مِنَ الخيراتِ ، ووفقَّهُ لهُ من جميلِ الصفاتِ ، وسهَّلَهُ عليهِ منْ أنواعِ المكرُماتِ ، فمِنْ ذلك :

العنصرُ الباهرُ ، واجتماعُهُ هو ورسولُ اللهِ ﷺ في النسبِ ، وذلكَ غايةُ الشَّرفِ ونهايةُ الحسبِ .

والمولدُ والمنشأ ، فإنه ولدَ بالأرضِ المقدَّسةِ التي بارك الله فيها ، ونشأَ بمكَّةَ خير البقاع .

وأنه قد جاءَ بعدَ أنْ مُهِّدتِ الكتبُ وصنِّفتْ ، وقُرِّرَتِ الأحكامُ ونُقِّحَتْ ، فنظرَ في مذاهبِ المتقدمينَ ، وأخذَ عنْ الأئمةِ المبرِّزينَ ، وناظرَ الحذَّاقَ والمتقِنينَ ،

---

(١) ككتابنا هذا .. الذي نزفه إلى القراء ويطبع لأول مرة ألا وهو كتاب « البيان » للإمام العمراني رحمه الله تعالىٰ .

فبحثَ مذاهبَهم وسبرَها ، وتحقّقها وخبرَها ، فلخَّص منها طريقةً جامعةً للكتابِ والسنّةِ والإجماعِ والقياسِ ، ولم يقتصرْ علىٰ بعضِ ذلكَ ـ كما وقعَ لغيرِه ـ وتفرَّغَ للاختيارِ والتكميلِ والتنقيح ، مع كمالِ قوتِهِ وعلوِّ همتِهِ وبراعته في جميعِ أنواعِ الفنونِ ، واضطلاعِهِ منها أشدَّ اضطلاعٍ ، وهو المبرِّزُ في الاستنباطِ من الكتابِ والسنةِ ، البارعُ في معرفةِ الناسخِ والمنسوخِ والمُجمَلِ والمبيَّنِ والخاصِّ والعامِّ وغيرِها من تقاسيم الأبواب ، فلم يسبقْه أحدٌ إلى فتحِ هذا البابِ ؛ لأنه أوّلُ من صنَّفَ أصولَ الفقهِ بلا خلافٍ ولا ارتيابٍ ، وهو الذي لا يُساوىٰ بل لا يُدانىٰ في معرفةِ كتابِ الله وسنةِ رسولهِ ﷺ ، ورَدِّ بعضِها إلىٰ بعضٍ .

وهو الإمام الحجَّةُ في لغةِ العربِ ، فقدِ اشتغلَ في العربيةِ عشرينَ سنةً مع بلاغتِهِ وفصاحتِهِ ـ معَ أنَّهُ عربيُّ اللِّسان والدارِ والعنصرِ ـ وبها يُعرفُ الكتابُ والسنةُ ، وقد قال عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ صاحبُ « المغازي » إمامُ عصرِهِ في اللُّغةِ والنحوِ : الشافعيُّ حجَّةٌ في اللُّغةِ . . وكان إذا شكَّ في شيءٍ من اللَّغةِ بعثَ إلىٰ الشافعيِّ فسألَهُ عنه[1] .

وقال أبو عثمانَ المازنيُّ : الشافعيُّ عندنا حجَّةٌ في النحوِ ، وقال الزبير بن بكَّارٍ : أخذتُ شعرَ هُذيلٍ ووقائعَها وأيّامَها من عمِّي مصعبٍ ، وقال : أخذتُها عنِ الشافعيِّ حفظاً . وأقاويلُ العلماءِ في ذلك كثيرةٌ وهو الذي قلَّدَ المننَ الجسيمةَ أهلَ الآثارِ ، وحملةَ الحديثِ ونَقَلَةَ الأخبارِ ؛ بتوقيفه إيَّاهم علىٰ معاني السننِ وتبيينِها . وقال محمَّدُ بن الحسنِ : إنْ تكلَّم أصحابُ الحديثِ يوماً فبلسانِ الشافعيِّ رحمه الله ، يعني : لِمَا وضعَ من كتبِهِ .

وقال الإمامُ أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ الرازيُّ في كتابهِ « مناقب الشافعي » سمعتُ أبا عمروٍ أحمدَ بنَ الحسنِ البصريَّ قال : سمعتُ محمَّدَ بنَ حمدانَ بنِ سفيانَ الطرايفيَّ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ الربيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : رأيتُ علىٰ بابِ الشافعيِّ سبعَ مئةِ راحلةٍ تطلبُ سماعَ كتبِهِ .

---

(١) قال ابن خلِّكان وغيره : الأصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ أشعار الهذليين وضبطها على الشافعيِّ .

وقال الحسنُ بن محمَّدٍ الزعفرانيُّ : كانَ أصحابُ الحديثِ رقوداً فأيقظَهمُ الشافعيُّ فتيقَّظوا .

وقالَ الإمامُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمه الله : (ما أحدٌ مسَّ قلماً ولا محبرةً إلا وللشافعيِّ في رقبتهِ منَّةٌ) . فهذا قولُ إمامِ أصحابِ الحديثِ وأهلِهِ ، ومَنْ لا يختلفُ الناسُ في وَرعِهِ وفضلِهِ ، ومِن ذلك :

أنَّ الشافعيَّ مكَّنه الله سبحانه وتعالىٰ مِنْ أنواعِ العلومِ حَتَّىٰ عجزَ لديهِ المناظرونَ ، من أهلِ الطوائفِ من أصحابِ الفنونِ ، وأذعنَ له الموافِقونَ والمخالِفونَ ، في المحافلِ الكثيرةِ المشهورةِ بتقدُّمه على أئمةِ عصرهِ في البلدانِ ، وهذه المناظراتُ موجودةٌ في كتبِ العلماءِ ، وفي كتابِ « الأمِّ » للشافعيِّ مِنْ هذه المناظراتِ جُمَلٌ من العجائبِ والنفائسِ الجليلاتِ ، والقواعدِ المستفاداتِ ، وكم من مناظرةٍ واقعةٍ يقطعُ كلُّ مَنْ وقفَ عليها وأَنصفَ : أَنَّهُ لم يُسبقْ إليها ، ومن ذلك :

أنه تصدرَ في عصرِ الأئمةِ المبرِّزينَ للإفتاءِ والتدريسِ والتصنيفِ ، وقد أَمَرَهُ بذلك شيخُه مُسلمُ بنُ خالدٍ الزنجيُّ إمامُ أهلِ مكَّةَ ومفتيها ، وقال له : أَفْتِ يا أبا عبدِ اللهِ ، فقدْ واللهِ آنَ لكَ أن تُفْتِيَ ، وكان سِنُّهُ إذ ذاك خمسَ عشرةَ سنةً .

وأقاويلُ أهلِ عصرِهِ في هذا كثيرةٌ مشهورةٌ . وأُخذَ عن الشافعيِّ العلمُ في سِنِّ الحداثةِ معَ توفُّرِ العلماءِ في ذلك العصرِ ، وهذا مِنَ الدلائلِ الصريحةِ بِعُظْمِ جلالتهِ وعلوِّ مرتبتِهِ ، ومِنْ ذلك :

شدَّةُ اجتهادِهِ في نصرةِ الحديثِ واتباعِ السنَّةِ وجمعِهِ في مذهبِهِ بينَ أطرافِ الأدِلَّةِ مع الإتقانِ والتحقيقِ ، والغوصِ التامِّ في المعاني والتدقيق ، حتى لُقِّبَ حينَ قدِمَ العراقَ : بناصرِ الحديثِ[1] ، وغلبَ في عرفِ العلماءِ المتقدمينَ والفقهاءِ الخُراسانيينَ علىٰ متبعي مذهبِهِ لَقَبُ : أصحابُ الحديثِ في القديمِ والحديثِ .

وقال النواوي : قد روينا عن إمامِ الأئمةِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ خزيمةَ وكانَ مِنْ

---

(١) ونقل ذلك الذهبي عنه في « العبر » (١/ ٣٤٤) .

حفاظِ الحديثِ ومعرفةِ السُّنَّةِ بالدرجةِ العالية : إِنَّهُ سُئِلَ هلْ تعرفُ سُنَّةً صحيحةً لم يودِعْها الشافعيُّ كُتُبهُ ؟ قالَ : لا . ومع ذلك فاحتاطَ الشافعيُّ رحمه الله لكونِ الإحاطةِ ممتنعةً علىٰ البشرِ بما هو ثابتٌ عنه من أوجهٍ : منها : وصيتُهُ بالعملِ بالحديثِ الصحيحِ وتركِ قولهِ المخالفِ للنصِّ الثابتِ الصريحِ ، وقدِ امتثلَ أصحابُنا رحمهمُ اللهُ وصيَّتَهُ وعملُوا بها في مسائلَ كثيرةٍ قد أوضح ذلك النواويُّ في « مقدمةِ شرح المهذَّب » [١/١٨] . ومن ذلك : تمسُّكهُ بالأحاديثِ الصحيحةِ وإعراضُهُ عن الأخبارِ الواهيةِ والضعيفةِ ، ولا أعلمُ أحداً من الفقهاءِ اعتنىٰ في الاحتجاجِ بالتمييزِ بينَ الصحيحِ والضعيفِ كاعتنائِهِ ولا قريباً منهُ ، وهذا واضحٌ جليٌّ في كتبِهِ ، وإن كانَ أكثرُ أصحابِهِ لم يسلكُوا طريقتَهُ في هذا ، ومن ذلكَ : أخذُهُ بالاحتياطِ في مسائلِ العباداتِ وسلوكِ طرائقِ الورعِ .

ومن محاسِنِهِ أيضاً : السخاءُ والزهادةُ وهذا مِن خُلُقِهِ وسيرتِهِ مشهورٌ ، وكانَ بالمحلِّ الأعلىٰ مِن متانَةِ الدينِ وهذا مقطوعٌ بمعرفتِهِ عندَ الموافقينَ والمخالفينَ .

وليـس يصـحُ فـي الأذهـانِ شـيءٌ   إذا احتـاجَ النهـارُ إلـىٰ دليـلِ

* * *

مِنْ حِكَمِه ونوادرِه رحمه الله :

قال : طلبُ العلمِ أفضلُ من صلاةِ النافلةِ .

وقال : من أرادَ الدنيا . . فعليهِ بالعلمِ ، ومن أرادَ الآخرةَ . . فعليهِ بالعلمِ .

وقال : ما تُقرِّبَ إلىٰ الله تعالىٰ بشيءٍ بعدَ الفرائضِ أفضلَ من طلبِ العلمِ .

وقال : ما أفلحَ في العلمِ إلاَّ مَنْ طلبَهُ في القِلَّةِ ، ولقدْ كنتُ أطلبُ القرطاسَ فيعسرُ عليَّ .

وقال : لا يطلبُ أحدٌ هذا العلمَ بالملكِ وعزِّ النفسِ فيفلحَ ، ولكنْ من طلبَهُ بذلَّةِ النفسِ وضيقِ العيشِ وخدمةِ العلماءِ وتواضعِ النفسِ . . أفلحَ .

وقال : تفقَّهْ قبلَ أنْ تَرَأَسَ ، فإذا رأَسْتَ . . فلا سبيلَ إلى التفقُّهِ .

وقال : من طلبَ علماً . . فليدقِّقْ ؛ لئلا يَضيعَ دقيقُ العلمِ .

وقال : مَنْ لا يحبُّ العلم . . لا خيرَ فيهِ ، ولا يكنْ بينَكَ وبينه صداقةٌ ولا معرفةٌ .

وقال : زينةُ العلماءِ التوفيقُ للعملِ ، وحليتهُم حسنُ الخلقِ ، وجمالُهم كرمُ النفسِ .

وقال : زينةُ المعلِّم الورعُ والحلمُ .

وقال : لا عيبَ بالعلماءِ أقبحُ مِنْ رغبتِهم فيما زهَّدَهُم اللهُ فيهِ ، ومِنْ زهدِهمْ فيما رغَّبَهمُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ فيهِ .

وقال : ليس العلمُ ما حُفِظَ ، إنما العلم ما نَفَعَ[1] .

وقال : فقرُ العلماءِ اختيارٌ ، وفقرُ الجهّالِ اضطرارٌ .

وقال : المراءُ في العلمِ يقسِّي القلبَ ويورثُ الضغائنَ .

وقال : الناسُ في غفلةٍ من هذه السورة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر] وكان قدْ جزَّأَ الليلَ ثلاثةَ أجزاءٍ : الثلثُ الأوَّلُ : يكتبُ ، والثاني : يصلِّي ، والثالثُ : ينامُ .

وقال الربيع : نِمْتُ في منزلِ الشافعيِّ لياليَ ، فلم يكنْ ينامُ مِنَ اللّيلِ إلا يسيراً .

وقال بحرُ بنُ نصرٍ : ما رأيتُ ولا سمعتُ مِمَنْ كانَ في عصرِ الشافعيِّ أنه نظر إلى أتقىٰ للهِ عزَّ وجلَّ ولا أورعَ ولا أحسنَ صوتاً بالقرآنِ منهُ .

وقال الحميدي : كان الشافعيُّ يختم كلَّ يومٍ ختمَةً .

---

(١) وفي نحو هذا قال الشافعي من مجزوء الكامل :

حسبـــي بعلمـــي إن نفـــعْ ... مـــا الـــذلُّ إلا فـــي الطمـــعْ
مَـــنْ راقـــبَ اللهَ رجـــعْ ... عـــن ســـوءِ مـــا كـــانَ صنـــعْ
مـــا طـــارَ طيـــرٌ وارتفـــعْ ... إلا كمـــا طـــارَ وقـــعْ

وقال حرملةُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : وددتُ أنَّ كلَّ علمٍ أعلمُهُ أؤجرُ عليه ولا يحمَدوني .

وقال أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمه الله تعالىٰ : كان الشافعيُّ رضيَ الله عنه قد جمعَ اللهُ تعالىٰ فيه كلَّ خيرٍ .

وقال الشافعيُّ : ما كذبتُ قطُّ ، ولا حلفتُ بالله صادقاً ولا كاذباً .

وقال : ما تركتُ غُسلَ الجمعةِ في بردٍ ولا سفرٍ ولا غيرِهِ .

وقال : ما شبعتُ منذُ ستةَ عشرَ سنةً إلا شبعةً طرحتُها مِنْ ساعتي .

وقال : مَنْ لم تُعِزُّه التقوى . . فلا عزَّ له .

وقال : ما فزعتُ مِنَ الفقرِ قطُّ .

وقال : طلبُ فضولِ الدنيا عقوبةٌ عاقبَ الله تعالىٰ بها أهلَ التوحيد .

وقيل للشافعي : ما لك تدمنُ إمساكَ العصا ولستَ بضعيفٍ ؟ فقال : لأَذكرَ أني مسافرٌ مِنَ الدنيا .

وقال : مَنْ شهدَ الضعفَ مِنْ نفسِهِ . . نالَ الاستقامةَ .

وقال : مَنْ غلبتْهُ شدَّةُ الشهوةِ للدنيا . . لزِمتْهُ العبوديةُ لأهلِها ، ومَنْ رضيَ القنوعَ زالَ عنه الخضوعُ .

وقال : خيرُ الدنيا والآخرةِ في خمسِ خصالٍ : غنىٰ النفسِ ، وكفِّ الأذى ، وكسبِ الحلالِ ، ولباسِ التقوى ، والثقةِ بالله تعالىٰ علىٰ كلِّ حالٍ .

وقال : أنفعُ الذخائرِ التقوىٰ وأضرُّها العدوانُ .

وقال : مَنْ أحبَّ أن يفتحَ اللهُ قلبَهُ وينوِّرَهُ . . فعليه بتركِ الكلامِ فيما لا يَعنيهِ ، ويجتنبُ المعاصيَ ، ويكونَ له وردٌ مِنَ الأعمالِ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، وفي رواية : فعليه بالخلوةِ ، وقلةِ الأكلِ ، وتركِ مخالطةِ السفهاء ، وبُغضِ أهلِ العلمِ الذين لا يريدونَ بعلمِهم إلا الدنيا ، والذين ليس معهم إنصافٌ ولا أدبٌ .

وقال : يا ربيعُ لا تتكلَّمْ فيما لا يعنيكَ ، فإنَّكَ إذا تكلَّمتَ بالكلمةِ مَلَكَتْكَ ولم تملِكْها .

وقال ليونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ : لو اجتهدتَ كلَّ الجُهدِ علىٰ أن ترضيَ الناسَ كلَّهم . . فلا سبيلَ إليهِ ، فأخلِصْ عملكَ ونيتَكَ للهِ عزَّ وجلَّ .

وقال : لا يَعرفُ الرياءَ إلا المخلصونَ .

وقال : لو أوصي بشيءٍ لأَعقلِ الناسِ . . صُرِفَ إلىٰ الزهادِ .

وقال : سياسةُ الناسِ أشدُّ من سياسةِ الدوابِّ .

وقال : العاقلُ مَنْ عَقَلَهُ عقلُهُ عنْ كلِّ مذمومٍ .

وقال : لو علمتُ أَنَّ شربَ الماءِ الباردِ ينقِّصُ مروءتي . . ما شرِبْتُهُ ، ولو كنتُ اليومَ ممنْ يقولُ الشعرَ . . لرثيتُ المروءةَ .

وقال : للمروءةِ أربعةُ أركانٍ : حسنُ الخلقِ ، والسخاءُ ، والتواضعُ ، والنسكُ .

وقال : المروءةُ : عفَّةُ الجوارحِ عمَّا لا يعنيها .

وقال : أصحابُ المروءاتِ في جَهدٍ .

وقال : من أحبَّ أن يختمَ اللهُ لهُ بالخيرِ . . فليُحسنِ الظنَّ بالناسِ .

وقال : لا يكملُ الرجلُ في الدنيا ، إلا بأربعِ خصالٍ : الديانةِ والأمانةِ والصيانةِ والرزانةِ .

وقال : ليسَ بأخيكَ من احتجتَ إلى مداراتِهِ .

وقال : مَنْ صَدَقَ في أخوَّةِ أخيهِ . . قَبِلَ عِلَلَهُ ، وسدَّ خَلَلَهُ ، وغفرَ زَلَلَهُ .

وقال : من علامةِ الصديقِ : أنْ يكونَ لصديقِ صديقِهِ صديقاً .

وقال : ليسَ سرورٌ يعدلُ صحبةَ الإخوانِ ، ولا غمٌّ يعدلُ فِراقَهم .

وقال : لا تقصِّرْ في حقِّ أخيك اعتماداً على مودَّتِهِ .

وقال : لا تبذلْ وجهكَ إلىٰ مَن يهونُ عليهِ ردُّكَ .

وقال : مَنْ بَرَّكَ . . فقدْ أوثقَكَ ، ومَنْ جفَاكَ . . فقدْ أطلقَكَ .

وقال : مَنْ نَمَّ لك . . نَمَّ عليكَ ، و[دَعْ] مَنْ إذا أرضيتَهُ . . قالَ فيكَ ما ليسَ فيك ، وإذا أغضبتَهُ . . يقولُ فيك ما ليس فيك .

وقال : الكيِّسُ العاقلُ : هو الفَطِن المتغافِلُ .

وقال : مَن وعظَ أخاهُ سرّاً . . فقد نصحَهُ وزانَهُ ، ومَنْ وعظَه علانيةً . . فقد فضحَهُ وشانَهُ .

وقال : من سامَ بنفسِهِ فوقَ ما يساوي . . ردَّه الله إلى قيمتِهِ .

وقال : الفتوةُ حِليةُ الأحرارِ .

وقال : مَن تزيَّن بباطلٍ . . هُتِكَ سرُّهُ .

وقال : التواضعُ من أخلاقِ الكرامِ ، والتكبُّرُ من شِيَمِ اللِّئامِ .

وقال : التواضعُ يورثُ المحبةَ ، والقناعةُ تورثُ الراحةَ .

وقال : أرفعُ الناسِ قدراً مَنْ لا يَرَى قدرَه ، وأكثرُهم فضلاً مَنْ لا يَرَى فضلَه .

وقال : إذا كثرتِ الحوائجُ . . فابدأ بأهمِّها .

وقال : مَن كتمَ سرَّهُ . . كانتِ الخيرةُ في يدِهِ .

وقال : الشفاعاتُ : زكاةُ المروءاتِ .

وقال : ما ضُحِكَ مَن خطإِ رجلٍ إلاَّ ثَبَتَ صوابُه في قلبِهِ .

وقال : أَبْيَنُ ما في الإنسان ضعفُهُ ، فمَنْ شهدَ الضعفَ من نفسِهِ . . نال الاستقامةَ معَ الله تعالىٰ .

وقال : قالَ رجلٌ لأبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه : أوصني ، قال : واخِ الإخوانَ على قدرِ تقواهُم ، ولا تبذلْ علمكَ لمنْ لا يرغبُ فيهِ ، ولا تغبطِ الحيَّ إلاَّ بما تغبطُ به الميِّتَ .

وقال : مَنْ صدقَ اللهَ . . نجا ، ومَنْ أشفقَ على دينه . . سلمَ مِنَ الردىٰ ، ومَنْ زهدَ في الدنيا . . قرَّتْ عيناهُ بما يَرَىٰ من ثواب الله غداً .

وقال : كنْ في الدنيا زاهداً ، وفي الآخرةِ راغباً ، وٱصدُقِ اللهَ تعالىٰ في جميعِ أمورِكَ . . تنجُ غداً معَ الناجينَ .

وقال : من كانَ فيهِ ثلاثُ خِصالٍ . . فقد كَمُلَ إيمانُهُ : يأمرُ بالمعروفِ ويَأْتمرُ بهِ ، وينهىٰ عنِ المنكرِ وينتهي عنه ، ويحافظُ علىٰ حدودِ اللهِ تعالىٰ .

وقال لأخٍ لهُ في اللهِ يعظُهُ ويخوِّفُهُ : يا أخي! إِنَّ الدنيا دحضُ مزلَّةٍ ، ودارُ مذلَّةٍ ، عمرانُها إلى الخرابِ صائِرٌ ، وساكنها إلى القبورِ زائرٌ ، شملُها على الفُرقةِ موقوفٌ ، وغِناها إلىٰ الفقرِ مصروفٌ . الإكثارُ فيها إعسارٌ ، والإعسارُ فيها يسارٌ ، فافزعْ إلىٰ اللهِ ، وارضَ برزقِ اللهِ . ولا تستلفْ مِنْ دارِ بقائِكَ في دارِ فنائِكَ . فإِنَّ حياتَكَ فيها فَيْءٌ زائلٌ وجدارٌ مائلٌ . أكثرْ من عملِكَ ، وقصِّرْ من أملِكَ .

وقال : أرجىٰ حديثٍ للمسلمينَ حديثُ أبي موسىٰ رضي الله عنه : أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا كانَ يومُ القيامةِ دُفعَ إلىٰ كلِّ مسلم يهوديٌّ أو نصرانيٌّ وقيلَ : يا مسلمُ! هذا فداؤكَ من النارِ » [رواه مسلم في « صحيحه » (٢٧٦٧) في التوبة].

وقال الشافعي : الانبساطُ إلى الناسِ مَجلَبَةٌ لقرناءِ السوءِ ، والانقباضُ عنهم مكسَبَةٌ للعداوةِ ؛ فكن بين المنقبضِ والمنبسطِ .

وقال : ما أكرمتُ أحداً فوق قدرِهِ إلا نقصَ من مقداري عندَه بمقدارِ ما زدتُ في إكرامِهِ .

وقال : لا وفاءَ لعبدٍ ، ولا شكرَ للئيمِ ، ولا صنيعةَ عندَ نذلٍ .

وقال : صحبةُ من لا يخافُ العارَ عارٌ يومَ القيامةِ .

وقال : عاشرْ كرامَ الناسِ تعِشْ كريماً ، ولا تعاشرِ اللِّئامَ فتُنسبَ إلىٰ اللؤمِ .

وقال له رجل أوصني فقال : إِنَّ الله تعالىٰ خلقكَ حرّاً ، فكُنْ كما خلقَكَ .

وقال : مَن سمِعَ بأُذُنِهِ . . صارَ حاكياً ، ومن أصغىٰ بقلبهِ . . كانَ واعياً ، ومنْ وعَظَ بفعلِهِ . . كانَ هادِياً .

وقال : مِنَ الذلِّ : حضورُ مجلسِ العلمِ بلا نسخةٍ ، وعبورُ الجسرِ بلا قطعِهِ ،

ودخول الحمام بلا سطلٍ ، وتذلُّلُ الشريف للدنيِّ ؛ لينالَ مِنه شيئاً ، وتذللُ الرجل للمرأةِ لينالَ مِنْ مالِها شيئاً ، ومداراةُ الأحمقِ ؛ فإن مداراتَه غايةٌ لا تدرَكُ .

وقال : مَنْ وليَ القضاءَ فلم يفتقرْ . . فهو لصٌّ .

وقال : لا بأسَ علىٰ الفقيهِ أن يكونَ معَهُ سفيهٌ يسافِهُ بهِ[1] .

وقال : إذا أخطأَتْكَ الصنيعةُ إلىٰ من يتقِ اللهَ . . فاصطنعْها إلى مَنْ يتقي العارَ .

وقال : السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقَهما بدعةٌ .

وأما سخاؤه :

اعلمْ أنَّ سخاءَ الشافعيِّ رحمَه اللهُ تعالىٰ مِمّا اشتهرَ حتىٰ لا يتشكَّكَ فيهِ مَنْ لهُ أدنىٰ أُنسٍ بعلمٍ أو مخالطةِ الناسِ ، ولكني أنثرُ منه أحرفاً :

قال الحميديُّ رحمه الله : قدمَ الشافعيُّ من صنعاءَ إلى مكَّةَ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فضُرِبَ خباؤُهُ خارجاً مِنْ مكةَ ، فكانَ الناسُ يأتونَهُ ، فما برِحَ حَتَّىٰ فرَّقَها كلَّها .

وقال عمروُ بنُ سوادٍ : كان الشافعيُّ أسخىٰ الناسِ بالدينارِ والدرهمِ والطعامِ .

وقال الربيعُ : كانَ الشافعيُّ راكباً على حمارٍ ، فمرَّ على سوقِ الحدادينَ ، فسقطَ سوطُهُ مِنْ يدِهِ فوثِبَ غلامٌ مِنَ الحدادينَ فأخذَ السوطَ ومسحَهُ بكفِّهِ وناولَهُ إيّاهُ ، فقال لغلامِه : ادفعْ إليه الدنانير التي معكَ ، فما أدري كانت سبعةً أو تسعةً ؟! .

وقال : كنّا يوماً عندَ الشافعيِّ ، فانقطعَ شِسْعُ نعلِهِ ، فأَصلحَهُ لهُ رجلٌ فقال : يا ربيعُ ، أمعكَ مِنْ نَفقتِنا شيءٌ ؟ قلتُ : نعم ، قالَ كَمْ ؟ قلتُ : سبعةُ دنانيرَ ، قال : ادفعْها إليه .

وقال أبو سعيدٍ : كانَ الشافعيُّ من أجودِ الناسِ وأسمحِهِم كفّاً ؛ كان يَشْتري الجاريةَ الصَّناعَ ـ التي تطبخُ وتعملُ الحَلْواء ـ ويقول لنا : تَشَهَّوا ما أَحْبَبْتُم ، فقد اشتريتُ جاريةً تُحسِنُ أنْ تعمَلَ ما تريدونَ ، فيقول لها بعضُ أصحابِنا : اعملي لنا

---

(١) وهذا كقولهم : (خاب قوم لا سفيه لهم) .

اليومَ كذا وكذا ، فكُنّا نحنُ الذينَ نأمرُها بما نُريدُ ، وهو مسرورٌ بذلكَ .

قال الربيع : كان الشافعيُّ رحمه الله تعالى : إذا سأله إنسان شيئاً . . يحمرُّ وجهُهُ حياءً مِنَ السائلِ ويبادرُ بإعطائِهِ رحمه الله ورضيَ عنه .

شهادةُ أئمةِ الإسلامِ المتقدمينَ فَمَنْ بعدَهم للشافعي رضي الله عنهم :

وهذا الباب ربما يتسعُ جدّاً لكنّا نرمُزُ إلى أحرفٍ منه تنبيهاً بها على ما سواها ، فمِنْ ذلك : ما قاله شيخُهُ شيخُ الإسلامِ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ رحمه الله تعالىٰ : إِنَّ الله عز وجل قد ألقىٰ علىٰ قلبكَ نوراً ، فلا تُطفِئْهُ بالمعصيةِ .

وقالَ الشافعيُّ رحمه الله : لمَّا رحلتُ إلى مالكٍ ، فسمعَ كلاميَ . . نظرَ إليَّ ساعةً ، وكانتْ لمالكٍ فِراسةٌ ، قال : ما اسمك ؟ قلت : محمَّدٌ ، قال : يا محمَّدُ ، اتقِ اللهَ واجتنبِ المعاصيَ ، فإِنَّه سيكونُ لكَ شأنٌ عظيمٌ ، فقلت له : نَعم ، وكرامةً . . ثُمَّ قالَ : إذا كان غداً . . تجيءُ ويجيءُ مَنْ يقرأُ لكَ « الموطأ » ، فقلتُ : إنّي أَقْرَؤُهُ ظاهراً ، فغدوتُ إليه ، وابتدأتُ فكلَّما تهيَّبْتُ مالكاً وأردتُ أنْ أقطعَ . . أعجبتْهُ قراءتي وإعرابي ، يقول : يا فتىٰ زِدْني ، حتى قرأتُه عليه في أيَّامٍ يسيرةٍ ، ثم ذكرَ خروجَه إلى اليمنِ ، وفي رواية : فقرأتُ عليه ، وربَّما قال لي في شيءٍ قد مرَّ : أَعِدْ حديثَ كذا ، فأعيدُه حِفظاً ، فكان يُعجِبُه ، فقال : أنت تحبُّ أن تكونَ قاضياً . وفي روايةٍ : أتيتُهُ وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً .

وكان شيخُهُ سفيانُ بنُ عيينةَ قد قرأَ عليهِ حديثاً في الرقائقِ ، فغُشيَ علىٰ الشافعيِّ ـ فقيل : قد مات الشافعيُّ ـ فقال سفيانُ رحمه الله تعالىٰ : إن كانَ قد ماتَ الشافعيُّ . . فقد مات أفضلُ أهلِ زمانِهِ .

وقال ابنُ بنتِ الشافعيِّ : سمعتُ أبي وعمِّي يقولانِ : كانَ ابنُ عيينةَ إذا جاءَهُ شيءٌ مِنَ التفسيرِ والفُتيا . . التفتَ إلىٰ الشافعيِّ وقالَ : سلوا هذا .

وفسَّر الشافعيُّ بحضرةِ سفيانَ بنِ عيينةَ حديثاً أشكلَ علىٰ سفيانَ ، فقال له سفيانُ : جزاكَ اللهُ خيراً ما يجيئُنا منكَ إلاَّ ما نحبُّ .

وقال الحميديُّ صاحبُ سفيانَ : كانَ سفيانُ بنُ عيينةَ ومسلمُ بنُ خالدٍ وسعيدُ بنُ سالمٍ وعبدُ الحميدِ بنُ عبدِ العزيزِ وشيوخُ مكَّةَ يصفونَ الشافعيَّ ويعرفونَهُ مِنْ صغرِهِ ، مقدَّماً عندهم بالذكاءِ والعقلِ والصيانةِ ، ويقولونَ : لم نعرفْ لهُ صبوةً .

وقال الحميديُّ : سمعتُ مسلمَ بنَ خالدٍ يقولُ للشافعيِّ : أَفْتِ ، قد واللهِ آنَ لكَ أنْ تُفتيَ . والشافعي ابنُ خمسَ عشرةَ سنةً .

وقال يحيىٰ بنُ سعيدِ القطانُ إمامُ المحدثينَ في زمنِهِ : أنا أدعو اللهَ تعالىٰ للشافعيِّ في صلاتي مِنْ أربعينَ سنةً .

وقال القطان حينَ عُرِضَ عليهِ كتابُ « الرسالةِ » للشافعيِّ : ما رأيتُ أعقلَ منهُ أو أفقهَ .

وقالَ ابنُ مهديٍّ : المقدَّمُ في عصرِهِ في علمَيِ الحديثِ والفقهِ حينَ جاءَتْهُ « رسالةُ » الشافعيِّ وكانَ قد طلبَ مِنَ الشافعيِّ أن يصنِّفَ كتابَ « الرسالةِ » ، فلمّا وقفَ عليها . . أثنىٰ عليه ثناءً جميلاً وأعجبَ بـ « الرسالةِ » إعجاباً شديداً ، وقال : ما أصلِّي صلاةً إلاَّ وأنا أدعو للشافعيِّ .

وقال أَبو حسَّان الرازيُّ : ما رأيتُ محمَّدَ بنَ الحسنِ يُعظِّمُ أحداً مِنْ أهلِ العلمِ تعظيمَهُ للشافعيِّ .

وقال أيوبُ بنُ سويدٍ الرمليُّ ـ وهو أحدُ شيوخِ الشافعيِّ ، وماتَ قبلَ الشافعيِّ بإحدىٰ عشرةَ سنةً ـ : ما ظننتُ أني أعيشُ حَتَّىٰ أرىٰ مثلَ الشافعيِّ .

وقال البويطيُّ : قال يحيىٰ بنُ حسَّانَ : ما رأيتُ مثلَ الشافعيِّ ، وكانَ شديدَ المحبةِ للشافعيِّ ، قدمَ مصرَ وقالَ : إنما جئتُ للسلامِ علىٰ الشافعيِّ .

وقال قتيبةُ بنُ سعيدٍ : ماتَ الثوريُّ وماتَ الورعُ ، وماتَ الشافعيُّ وماتتِ السننُ ، وبموتِ أحمدَ ابنِ حنبل تظهرُ البدعُ ؟!

وقال أحمدُ ابنُ حنبل : إذا جاءتِ المسألةُ ليسَ فيها أثرٌ . . فإنَّما أُفتي فيها بقولِ الشافعيِّ .

وقال أحمدُ أيضاً : ما تكلَّم أحدٌ في العلمِ أقلُّ خطأً ولا أشدُّ أخذاً بسنَّةِ النبيِّ ﷺ مِنَ الشافعيِّ .

وقال أحمدُ ـ وقد سُئل عن الشافعيِّ ـ : لقدْ منَّ اللهُ بهِ علينا ، لقدْ كنَّا تَعلَّمْنا كلامَ القومِ وكتبْنا كتبَهُم حَتَّىٰ قدمَ علينا الشافعيُّ ، فلمَّا سمعنا كلامَهُ . . عَلِمْنا أنَّه أعلمُ مِنْ غيرِهِ . وقدْ جالسناهُ الأيامَ واللَّياليَ فما رأينا منه إلا كلَّ خيرٍ ، رحمةُ اللهِ تعالىٰ عليه .

وقال صالحُ بنُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ : ركبَ الشافعيُّ حمارَهُ ، فسارَ أبي يمشي معَهُ إلى جانبِهِ وهو يذاكِرهُ ، فبلغَ ذلك يحيىٰ بنَ معينٍ ، فبعثَ إلىٰ أبي في ذلك ، فبعثَ إليه : إنَّكَ لو كنتَ في الجانبِ الآخرِ من الحمارِ . . لكانَ أنفعَ لكَ .

وقال الفضلُ بنُ زيادٍ : قال أحمدُ ابن حنبلٍ : هذا الذي ترَونَهُ كلُّهُ أو عامَّتُهُ مِنَ الشافعيِّ ، ومنذُ أربعينَ ـ أو قالَ : ثلاثينَ ـ سنةً وأنا أدعو للشافعيِّ وأستغفرُ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ لهُ .

وفي روايةِ غيرِ الفضلِ : إنِّي لأدعو للشافعيِّ في صلاتي مِنْ أربعينَ سنةً ؛ أقولُ : اللهمَّ اغفرْ لي ولوالديَّ ولمحمَّدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ ، فما كانَ فيهم أتبعَ لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ منهُ .

وفي روايةٍ : ما أعلمُ أحداً أعْظَمَ مِنَّةً علىٰ الإسلامِ في زمنِ الشافعيِّ منَ الشافعيِّ .

وقال أحمدُ : ما مسَّ أحدٌ بيدِهِ مِحبرَةً ولا قَلماً إلاَّ وللشافعيِّ في عنقهِ مِنَّةٌ .

وقالَ أحمدُ : كانَ الفقهُ قُفلاً علىٰ أهلِهِ حَتَّىٰ فتحَهُ اللهُ تعالىٰ بالشافعيِّ .

وقال أحمدُ : لمَّا قدِمَ علينا الشافعيُّ من صنعاءَ . . صيَّرَنا علىٰ المحجَّةِ البيضاءِ ، وكانَ إقتفاؤنا لأصحابِ أبي حنيفةَ حتى رأينا الشافعيَّ ، وكانَ أفقهَ الناسِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنَّةِ رسولِهِ ﷺ .

وقال أبو ثور : كنت أنا وإسحاقُ بنُ راهويهْ وحسينٌ الكرابيسيُّ وجماعةٌ من العراقيينَ علىٰ بدعةٍ ، فما تركْنا بِدعتَنا حتىٰ جاءنا الشافعيُّ ، وما رأيْنا مثلَ الشافعيِّ ، ولا رأىٰ الشافعيُّ مثلَ نفسِهِ .

وقال الكرابيسيُّ : ما فهمْنا استنباطَ أكثرِ السننِ إلا بتعليمِ الشافعيِّ ، وما كنَّا ندري ما الكتابُ والسنةُ والإجماعُ حتىٰ سمِعْناه مِنَ الشافعيِّ ، وما رأيتُ أفصحَ منهُ ولا أعرفَ ، ولا رأيتُ مجلساً قطُّ أنبلَ من مجلسِ الشافعيِّ ؛ كان يحضرُهُ أهلُ الحديثِ وأهلُ الفقهِ وأهلُ الشعرِ ، وكان يأتيهِ كُبراءُ أهلِ الفقهِ والشعرِ ، وكلٌّ يتعلمُ منهُ .

قال تلميذُهُ الربيعُ بنُ سليمانَ : كانَ الشافعيُّ رحمه الله يجلسُ في حلقتِهِ إذا صلىٰ الصبحَ ، فيجيئُهُ أهلُ القرآنِ ، فإذا طلعتِ الشمسُ . . قاموا ، وجاءَ أهلُ الحديثِ ، فيسألونَهُ تفسيرَهُ ومعانيَهُ ، فإذا ارتفعتِ الشمسُ . . قاموا ، فاستوتِ الحلقةُ للمذاكرةِ والنظرِ ، فإذا ارتفعَ الضحىٰ . . تفرقوا ، وجاءَ أهلُ العربيةِ والعَروضِ والنحوِ والشعرِ ، فلا يزالونَ إلى قربِ انتصافِ النهار ، ثم ينصرفُ رضي الله عنه .

وقال الحميدي : كنَّا نريدُ أنْ نردَّ علىٰ أهلِ الرأي فلا نحسنُ حتىٰ جاءَنا الشافعيُّ فَفَتَحَ لَنا .

وقال المزنيُّ : قدمَ الشافعيُّ مصرَ وبها عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ النَّحويُّ صاحبُ « المغازي » ، وكانَ علاَّمَةَ أهلِ مصرَ في العربيةِ والشعرِ ، فذهبَ إلى الشافعيِّ ثُمَّ قالَ : ما رأيتُ مثلَ الشافعيِّ ، ما ظننتُ أَنَّ اللهَ خلقَ مثلَ الشافعيِّ ، ثُمَّ اتخذَ قولَ الشافعيِّ حجَّةً في اللُّغةِ .

وقال الرَّبيع : قال أبو يعقوبَ البويطيُّ : ما عرَفْنا قدرَ الشافعيِّ حَتَّىٰ رأيتُ أهلَ العراقِ يذكرونَهُ ويصِفونَهُ بوصفٍ ما نحسنُ أنْ نصفَهُ بهِ ، وقد كانَ حذَّاقُ العراقِ بالفقهِ والنَّصِّ وكلِّ صنفٍ من أهلِ الحديثِ وأهلِ العربيةِ والنظَّارِ يقولونَ : إنهم لم يرَوا مثلَ الشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ .

قال الربيعُ : وكان البويطيُّ يقولُ : قد رأيتُ الناسَ ، فواللهِ ما رأيتُ أحداً يشبهُ الشافعيَّ ولا يقاربُهُ في صنفٍ من العلومِ ، واللهِ إِنَّ الشافعيَّ كانَ عندي أورعَ مِنْ كلِّ مَنْ رأيتُهُ يُنسبُ إلىٰ الورعِ ، ومن كثرةِ ما كنتُ أرىٰ البويطيَّ يتأسَّفُ علىٰ الشافعيِّ وما فاتَه قلتُ له : يا أبا يعقوبَ ؛ قد كان الشافعيُّ مُحبّاً لك يقدِّمُكَ على أصحابِهِ ،

وكنتُ أراكَ شديدَ الهيبةِ لهُ ، فما منعكَ أن تسألَهُ عنْ كلِّ ما كنتَ تريدُ ؟ فقالَ لي : قد رأيتُ الشافعيَّ ولِينَهُ وتواضعَهُ ، وواللهِ ما كلَّمتُهُ في شيءٍ قطُّ إلاَّ وأنا كالمقشعرِّ من هَيبتِهِ . وقد رأيتُ ابنَ هرمزَ وكلَّ مَنْ كان في زمانِ الشافعيِّ كيفَ كانوا يهابونَهُ ، وقد رأيتُ هيبةَ السلاطينِ لهُ .

وقال عليٌّ الرازيُّ : حجَّ بشرٌ المريسيُّ[1] ، فلمَّا قدِمَ . . قيلَ له : مَنْ لقِيتَ بمكّةَ ؟ قال : رأيتُ رجلاً إنْ كان منكم . . لن تُغلبَوا ، وإن كانَ عليكم . . فتأهَّبوا وخُذُوا حِذرَكُم ، وهو محمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ .

وقال بِشرُ المريسيُّ : مع الشافعيِّ رضي الله عنه نصفُ عقلِ أهلِ الدنيا .

وقال : ما رأيتُ أعقلَ منَ الشافعيِّ ولا أمهرَ منهُ ، وقال : رأيتُ بمكةَ فتىً ؛ لئنْ بقيَ ليكوننَّ رجلَ الدنيا .

وقال الزعفرانيُّ : اتفقَ العلماءُ من أهلِ الحديثِ والفقهِ والأصولِ واللغةِ والنحوِ على ثقتهِ ، وأمانتهِ ، وعدالتهِ ، وزهدهِ وورعهِ ، ونزاهة عرضهِ ، وعفّةِ نفسِهِ ، وحسن سيرتِهِ ، وعلوِّ قدرهِ ، وسخائِهِ .

وقال المزنيُّ : لو كنَّا نفهمُ عن الشافعيِّ كلَّ ما قالَهُ . . لأتيناكم بصنوفِ العلمِ ، ولكنْ لم نكنْ نفهمُ ، فقصَّرْنا وعاجلَه الموتُ .

وقال الربيع : لو رأيتمُ الشافعيَّ . . لقلتمْ ما هذِهِ كتبُهُ . كانَ واللهِ لسانُهُ أكبرَ مِنْ كتبِهِ .

وقال داودُ بنُ عليٍّ الظاهريُّ : كانَ الشافعيُّ سراجاً لحمَلَةِ الآثارِ ونقلَةِ الأخبارِ ، مَنْ تعلَّقَ بشيءٍ مِنْ بيانِهِ . . صارَ محجَاجاً .

وقال هلالُ بن العَلاءِ[2] : أصحابُ الحديثِ عيالٌ علىٰ الشافعيِّ ، فتحَ لهمُ

---

(١) بشر بن غياث المريسي : فقيه معتزلي عارف بالفلسفة ، يُرمىٰ بالزندقة ، وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء ، عاش سبعين سنة ، ومات في عام : (٢١٨) هـ .

(٢) هلال بن العلاء الباهلي أبو عمر الرقي : صدوق ، روى له النسائي مات سنة : (٢٠٨) هـ وقد قارب المئة .

الأقفالَ ، وفضائِلُهُ أكثرُ مِنْ أن تُحصرَ . وأقوالُ السلفِ في مدحِهِ غيرُ منحصرةٍ رضيَ اللهُ عنه وأرضاه .

شيوخُه في الحديثِ النبويِّ :

* مالكُ بنُ أنسٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ .

* سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عنِ ابنِ عمرَ وابنِ عباسٍ .

* أبو خالد مسلمُ بنُ خالدٍ الزنجيُّ : مفتي مكةَ ، وإمامُ أهلِها ؛ ومسلم ، عن أبي الوليدِ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ جريجٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ .

وقد جمعَ شيوخَه البيهقيُّ في كتاب « المناقب » ، وسلفَ ذكرُ بعضهم .

تلاميذُه :

وأما الذينَ سمعوا منه وتفقَّهوا عليه . . فَهُمْ خلائقُ لا يُحصَونَ مِنْ أعلامِ الأئمةِ كـ : أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، وأبي ثورٍ ، والحميديِّ ، والبويطيِّ ، والمزنيِّ ، والربيعِ بنِ سليمانَ المراديِّ ، والزعفرانيِّ ، والكرابيسيِّ ، ويونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ ، ومحمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، وحرملةَ بنِ يحيىٰ ، وبحرِ بنِ نصرٍ ، والربيعِ بنِ سليمانَ الجيزيِّ ، وأبي عُبيدٍ القاسمِ بنِ سلاّمٍ ، وسليمانَ بنِ داودَ الهاشميِّ ، وموسىٰ بنِ أبي الجارودِ المكيِّ ، وإبراهيم بنِ المنذرِ الحزاميِّ ، وأحمدَ بنِ سعيدٍ الهمدانيِّ ، وأحمدَ بنِ أبي شريحٍ الرازيِّ ، وأحمدَ بنِ يحيىٰ بنِ وزيرٍ المصريِّ ، وأحمدَ بنِ عبد الرحمن الوهبيِّ ، وإبراهيمَ بنِ محمدٍ الشافعيِّ ابنِ عمِّه ، وإسحاقَ بنِ راهويه ، وإسحاقَ بنِ بهلولٍ ، وأحمدَ بنِ يحيىٰ الشافعيِّ المتكلمِ ، وأبي الوليد المكيِّ والحارثِ بن سريجٍ النقّالِ ، وحامدِ بنِ يحيىٰ البلخيِّ ، وسليمانَ بنِ داودَ المهريِّ ، وعبدِ العزيزِ بنِ عمرانَ بنِ مقلاصٍ ، وعليِّ بنِ معبدٍ الرقيِّ ، وعليِّ بنِ سلمةَ اللّبقيِّ ، وعمرو بنِ سوادٍ ، وقحزمَ بنِ عبدِ اللهِ ، ومحمدِ بنِ يحيىٰ العدنيِّ ، ومسعودِ بنِ سهلٍ المصريِّ ، وهارونَ بنِ سعيدٍ الأيليِّ ، وأحمدَ بنِ سنانَ القطانِ ،

وأبي ظاهرٍ أحمدَ بنِ عمرو بنِ السرحِ ، وخلقٍ سواهم .

ولما حضرتِ الشافعيَّ الوفاةُ أوصىٰ أن يكونَ القاعدُ في حلقتِهِ والخليفةُ بعدَهُ البويطيُّ ؛ وهو : أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ يحيىٰ .

حِليتُه الخَلقيةُ :

كان الشافعيُّ يخضبُ لحيتَهُ بالحناءِ حمراءَ قانيةً ، وتارةً بصُفرةٍ اتباعاً للسنَّةِ ، وكان طويلاً ، سايلَ الخدَّيْنِ ، قليلَ لحمِ الوجهِ ، خفيفَ العارضينِ ، طويلَ العنقِ ، طويلَ القصبِ ، آدمَ ، حسنَ الصوتِ ، حسنَ السمتِ ، عظيمَ العقلِ ، حسنَ الوجهِ ، حسنَ الخُلُقِ ، مهيباً ، فصيحاً ، إذا أخرجَ لسانَه . بلغ أرنبةَ أنفِه . وكانَ كثيرَ الأسقامِ .

وقولُهم : (طويلَ القصبِ) : قال الأصمعيُّ : هو عظيمُ العضدِ والفخذِ والساقِ ، وكلُّ عظمٍ فيه قصبةٌ . وقولُهم : (سايلَ الخدّينِ) أي : رقيقُهما مستطيلُهما .

وقال يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ : ما رأيتُ أحداً لقيَ من السَّقمِ ما لقيَ الشافعيُّ رحمه الله ، وسبب هذا ـ والله أعلم ـ : لطفُ اللهِ تعالىٰ به ، ومعاملتُه بمعاملةِ الأولياءِ ؛ لقولِه ﷺ : « نحنُ معاشرَ الأنبياءِ أشدُّ بلاءً ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ »[1] .

---

(١) أخرجه عن سعدِ بن أبي وقاص الترمذي (٢٤٠٠) في الزهد ، وابن ماجه (٤٠٢٣) في الفتن ، وفيه : قلت يا رسول الله : أيُّ الناس أشد بلاءً ؟ قال : « الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلىٰ الرجل على حسَب دينه ، فإن كان دينه صلباً . . اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة . . ابتلي على حسَب دينه ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركَه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب :

عن أبي هريرة ، وأخت حذيفة بن اليمان رواهما الترمذي عَقِبَهُ ، وحديث أبي هريرة حسن صحيح . قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١١٦) : وكذا هو عند النسائي في « الكبرىٰ » ، والدارمي في الرقاق من « سننه » ، وأخرجه أحمد وابن منيع وأبو يعلىٰ وابن أبي عمر في مسانيدهم ، كلهم من حديث عاصم ابن بهدلة ، وهو عند مالك في « الموطأ » وآخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وللطبراني من حديث فاطمة رفعه : « أشد الناس=

وقال الربيعُ : كانَ الشافعيُّ حَسَن الوجهِ ، مهيباً ، محبّباً إلى كُلِّ مَنْ كان بمصرَ في وقتهِ مِنَ الفقهاءِ والنبلاءِ والأمراءِ كلُّهم يجلُّ الشافعيَّ ويعظِّمُهُ ، وكان مقتصداً في لباسِهِ ، ويتختَّمُ في يسارِهِ ونقشُ خاتمِهِ : كفىٰ باللهِ ثقةً لمحمَّدِ بن إدريسَ . وكان مجلسُه مصوناً ، وإذا خيضَ في مجلسه في الكلامِ . نهىٰ عنه .

معرفتُه بالعلومِ وشجاعتُه :

وكان رحمه الله تعالى ذا معرفةٍ تامَّةٍ بالطبِّ [1] ، والرَّمي حتىٰ كانَ يصيبُ عشرةً من عشرةٍ .

وقال الربيعُ : كانَ الشافعيُّ أشجعَ الناسِ وأفرسَهم ، وكانَ يأخذُ بأُذُنِهِ وأُذُنِ فرسِهِ وهي تعدو ، وكان ذا معرفةٍ بالفراسةِ[2] . قال الربيع ـ وهو صاحبه ـ : واللهِ ما اجترأتُ أنْ أشربَ الماءَ والشافعيُّ ينظرُ إليَّ هيبةً لهُ . وقال : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام قبلَ حُلُمي ، فقال : يا غلامُ! فقلتُ : لبيَّك يا رسولَ اللهِ . فقال : مِمَّنْ أنتَ ؟ فقلتُ : مِنْ رهطِك . قال : ادنُ منِّي ، فدنوتُ منه ، ففتحَ فمي ، فأمرَّ مِنْ ريقهِ المباركِ ﷺ على لساني وفمي وشفتيَّ ، وقال : امضِ

= بلاءً ، الأنبياءُ ، ثم الصالحون » ، وأورده الغزالي بلفظ : « البلاء موكل بالأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل » .

(١) قال الشيخ عبد الغني الدقر (ص/ ٢٧٣) : ما عرفنا إماماً من أئمة الدين له عناية كالشافعي بالطب وحضه على تعلمه ، فقد كان يرى فيه شطراً لعلم الدين ، فهذا لإصلاح المعاد ، وذاك لإصلاح الأجساد ، فقد أُثِر عنه أنه قال : إنما العلم علمان : علم الدين ، وعلم الدنيا ، فالعلم الذي للدين هو الفقه ، والعلم الذي للدنيا هو الطب . وقال : لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبلَ من الطب ، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه . فكان رحمه الله يتلهف على ما صنع المسلمون في الطب ويقول : ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارىٰ . وقد وصل به الحال إلى أنه كان يودُّ أن يقرأ على طبيب مصري « كتاب » بقراط .

(٢) الفِراسة : المهارة في تعرُّف بواطن الأمور من ظواهرها ، ويطلق على الرأي المبني على التفرس .

بارك الله تعالىٰ فيكَ ، فما أذكرُ أني لحنْتُ في حديثٍ بعدَ ذلكَ ولا شِعرٍ .

وقال الشافعيُّ : ما ناظرتُ أحداً قطُّ علىٰ الغلَبةِ ، وفي رواية : ما ناظرتُ أحداً قطُّ إلاَّ على النصيحةِ .

وقال الربيعُ : سمعتُ الشافعيَّ يقول : رأيتُ في المنامَ ؛ كأَنَّ آتياً أتاني ، فحمَلَ كتبي فبثَّها في الهواءِ ، فسألتُ بعضَ المعبرينَ فقال : إنْ صدقَتْ رؤياكَ . . لم يبقَ بلدٌ من بلادِ الإسلامِ إلاَّ ودخلَ علمُكَ فيهِ .

وقال حرملةُ : رأيتُ الشافعيَّ يقرئُ الناسَ في المسجدِ الحرامِ وهو ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً .

قراءتُه وخشوعُه :

قالَ بحرُ بنُ نصرٍ : كنّا إذا أردنا أن نبكيَ . . قُمنا إلى الشافعيِّ ، فإذا أتيناه . . استفتحَ القراءةَ حتى يتساقطوا ويكثرَ عجيجُهم بالبكاءِ ، فإذا رأىٰ ذلك أمسكَ عنِ القراءةِ لحسنِ صوتِهِ ، وقال : أحبُّ أن تكثِروا الصَّلاةَ علىٰ رسولِ الله ﷺ .

قال النواويُّ رحمه الله تعالىٰ : هذا آخرُ ما يتعلَّقُ بترجمةِ الإمامِ الشافعيِّ رضي الله عنه ، وهي وإن كانَ فيها طولٌ بالنسبةِ إلى هذا الكتاب فهي مختصرةٌ جداً بالنسبةِ إلى ما ذكرَه البيهقيُّ وغيرُه مِنَ المتقدِّمينَ والمتأخِّرينَ في مناقبِه ، وبالنسبةِ إلىٰ ما أحفظُه مِنْ أحوالِه التي اطلعتُ عليها في غيرِ كتبِ المناقبِ مفرَّقةً في كتبِ العلماءِ ، ولكنْ نبَّهتُ بما ذكرتُهُ علىٰ ما حذفْتُه رضي الله عنه وأرضاه وأكرمَ نُزُلَه ومثواه ، وجمعَ بيننا وبينه في دارِ كرامتِهِ ، ونفعَني بانتسابي إليه وانتمائي إلى صُحبتِهِ ، وحشرَنا في زمرتِهِ ، و « المرءُ معَ مَنْ أحبَّ »[1] وأنا مِنْ أهلِ محبَّتِهِ .

---

(١) أخرجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه البخاري (٦١٦٨) و (٦١٦٩) و(٦١٧٠) في الأدب ، ومسلم (٢٦٤٠) في البر والصلة ، وهو حديث متواتر ، أورده العلامة الكتاني في « نظم المتناثر » (٢٤٦) عن خمسة عشر صحابياً وقال : قال في « الفتح » : جمع أبو نعيم الحافظ طرقه في « كتاب المحبين مع المحبوبين » وبلغ عدد الصحابة فيه نحو العشرين .

ابتلاؤه ومِحَنُهُ :

رویٰ الحافظُ أبو نعيمٍ بإسنادهِ ، عن جبيرِ بنِ مُطْعِمٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « للقرشيِّ مِثْلا قوَّةِ الرجُلينِ مِنْ غيرِهم »[١] . فسألَ ابنَ شهابٍ سائلٌ : ما معنى ذلك ؟ قال : نبلُ الرأْيِ[٢] .

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال : خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ بالجُحْفَةِ فقال : « أيُّها الناسُ! ألستُ أولىٰ بكم مِنْ أنفسِكُم ؟ قالوا : بلى . قال : فإني كائنٌ لكم على الحوضِ فَرَطاً ، وسائلُكم عنِ اثنتينِ : عنِ القرآنِ ، وعن عِترتي ؛ لا تَقدَّموا قريشاً فتهلكوا ، ولا تخلَّفوا عنها فتضِلُّوا ، قوةُ الرجلِ مِنْ قريشٍ قوةُ الرجُلينِ ، لا تُفاقِهوا قريشاً ، فهم أفقَهُ منكم ، لولا أنْ تَبطرَ قريشٌ . . لأخبرتُها بما لها عندَ اللهِ ، خيارُ قريشٍ خيارُ الناسِ ، وشرارُ قريشٍ خيرُ شرارِ الناس »[٣] .

وقال ﷺ : « اللهم أذقتَ أوَّلها نَكالاً ، فأذِقْ آخرها نَوالاً »[٤] .

وقال الشافعيُّ : جئتُ إلى مصعبَ بنِ عبدِ اللهِ ، فكلَّمتُهُ أنْ يكلِّمَ بعضَ أهلِنا فيعطيَنا شيئاً مِنَ الدُّنيا ، فإنه كانَ بي مِنَ الفقرِ والفاقةِ ما اللهُ بهِ عليمٌ ، فقال لي مصعبٌ : أتيتُ فلاناً فكلَّمتُهُ ، فقال : كيفَ تكلِّمُنا في رجلٍ كانَ مِنّا فخالَفَنا ـ يعني : لأجلِ قراءتي على مالكٍ ـ ثم أعطاني مصعبُ مئةَ دينارٍ ، وقالَ لي : إنَّ هارونَ الرشيدَ قد كتبَ إليَّ : أنْ أصيرَ إلى اليمنِ قاضياً ، فاخرجْ معَنا لعلَّ اللهَ يعوِّضُكَ ، فخرجَ قاضياً على اليمنِ وخرجتُ معه ، فلمَّا صِرنا إلى اليمنِ وجَالسْنا النَّاسَ . . كتبَ مطرفُ بنُ مازنٍ إلى هارونَ الرشيدِ : إنْ أردْتَ اليمنَ أَنْ لا يفسدَ عليكَ ولا يخرجَ مِنْ يديكَ . . فأخرِجْ عنه محمَّدَ بنَ إدريسَ ، وذكرَ أقواماً مِنَ

---

(١) أي في « حلية الأولياء » .

(٢) أخرج نحو هذا الإمام أحمد في « المسند » (٤/ ٨١ و٨٣) بلفظ : « نبل الرأي في قريش » .

(٣) لم أقف عليه ، وفيه : حرصهُ على تخلصنا من المهلكات وبيان منزلة قريش .

(٤) لم أجده بما لدي من مصادر ، كسابقه .

الطالبيّينَ ، قال : فبعثَ إلى حمادِ البربريِّ فأُوْثِقتُ بالحديدِ حتى قدِمْتُ علىٰ هارونَ بالرقَّةِ . قالَ الشافعيُّ : وقدمتُ ومعيَ خمسونَ ديناراً ، فأنفقتُها علىٰ كتبِ محمَّدِ بنِ الحسنِ . وسمعتُه غيرَ مرَّةٍ يقولُ : إنْ تابعَكُم محمدٌ الشافعيُّ . . فما عليكم مِنْ حجازيٍّ كُلفةٌ ، فجلستُ إليه وأنا مِنْ أشدِّ الناسِ همّاً وغمّاً ، فلمَّا جلستُ إليهِ . . أقبلَ محمَّدُ بنُ الحسنِ ، فطعَنَ على الحُكمِ بالشّاهدِ واليمينِ ، فسألتُهُ عن ذلك ؟ قال : لأنَّهُ مخالفٌ لكتابِ الله تعالىٰ ، فقلتُ له : فكلُّ خبرٍ يأتيكَ مخالفٌ لكتابِ اللهِ تعالىٰ أتسقِطُهُ ؟ فقال : كذا يجبُ ، فقلتُ له : ما تقولُ في الوصيَّةِ للوالدينِ ؟ فتفكَّر ساعةً فقالَ : لا تجوزُ . قالَ فقلتُ لهُ : هذا مخالفٌ لكتابِ اللهِ تعالىٰ ، لِمَ قلتَ : إنه لا يجوزُ ؟ قال : لأنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا وصيةَ لوارثٍ »[1] . قال : فقلتُ له : أخبرْني عنِ الشاهدَين ؛ حتمٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟ فإن قلتَ : إنه حتمٌ من اللهِ عزَّ وجل . . فكانَ ينبغي أن تقولَ : إذا زنىٰ فشهدَ عليهِ شاهدانِ ، إنْ كانَ محصَناً . . رجمتُهُ ، وإنْ كانَ غيرَ محصنٍ . . جلدتُهُ ، وإن قلتَ : إنه ليسَ حتماً مِنَ الله عزَّ وجلَّ ، فتُنزِّلُ الأحكامَ منازِلَها : في الزنا أربعةٌ ، وفي غيرِه شاهدانِ ، وفي غيره رجلٌ وامرأتانِ ، ثم قلتُ له : ما تقولُ في الرجلِ والمرأةِ إذا اختلفا في متاعِ البيتِ ؟ فقالَ : أصحابُنا يقولونَ فيه : ما كانَ للرجلِ . . فهو للرجلِ ، وما كانَ للنساءِ فهو للنساءِ . . فقلت : أبكتابِ الله تعالىٰ هذا ، أمْ بسنَّةِ رسولِ الله ﷺ ؟!

وما تقول في الرجلينِ إذا اختلفا في الحائطِ ؟ فقال : في قولِ أصحابِنا : إذا لم يكنْ له بيِّنةٌ . . أنظرُ العقدَ : مِنْ أينَ هو البناءُ ؟ فأَحكمُ لصاحبِهِ ، فقلت : أبكتابِ الله تعالىٰ هذا ، أمْ بسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ؟!

وما تقول في رجليْنِ بينَهما خصامٌ فيختلفانِ ، لمن تحكمُ إذا لم تكنْ لهما بيِّنةٌ ؟ قال : أنظرُ إلى معاقِدِهِ : مِنْ أيِّ وجهٍ هو ؟ فأحكمُ له ، فقلت : أبكتابِ الله تعالىٰ هذا ، أم بسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ .

وما تقولُ في ولادةِ المرأةِ إذا لم يكنْ بحضرتِها إلا امرأةٌ واحدةٌ وهي القابلةُ ؟

---

(١) سيأتي تخريجه في الفرائض بإذنه تعالى .

فقال : الشهادةُ جائزةٌ بشهادةِ القابلةِ وحدَها ، فقلتُ : أبكتابِ اللهِ تعالىٰ هذا ، أمْ بسنةِ رسول الله ﷺ ؟!

ثم قلتُ : مَنْ كانَتْ هذه أحكامَه . . فلا يطعنْ على غيرِه .

ثم قلتُ : أتعجبُ من حُكمٍ حكمَ بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ وقضىٰ به شريحٌ رضي الله عنهم ؟! قال الشافعيُّ : وكانَ خلفي رجلٌ يكتبُ ألفاظي ، وأنا لا أعلمُ ، فأُدخلَ إلىٰ هارونَ وقرأَ عليه . قال : فقال هرثمةُ بنُ أعينَ : كان الخليفةُ متكئاً ، فاستوىٰ جالساً ، فقالَ : اقرأْ عليَّ ثانياً ، فلمَّا قرأ . . قال هارونُ : صدقَ اللهُ ورسولهُ ﷺ ، ثلاثَ مراتٍ ، « تعلَّموا مِنْ قريشٍ ولا تعلِّموها ، قدِّموا قريشاً ولا تَقدَّموها » . أَمَا يعلمُ محمَّدُ بنُ الحسنِ : أنه إذا ناظرَ رجلاً مِنْ قريشٍ . . أَنَّهُ يقطعُهُ ، سائلاً كانَ أو مجيباً ، وما أنكرَ : أَنَّ محمدَ بنَ إدريسَ أعلمُ مِن محمَّدِ بنِ الحسنِ .

قال الشافعيُّ : وأمرَ لي بخمسِ مئةِ دينارٍ ، فخرجَ بِها هرثمةُ ، وأشارَ إليَّ فتبِعْتُهُ ، فحدَّثني بالقصةِ وقالَ : قد أمرَ لك بخمسِ مئةِ دينارٍ ، وقد أضفْنا إليها مثلَها . قال الشافعيُّ : فما كنتُ ملكتُ قبلها ألفَ دينارٍ .

قدومُه مِنَ اليمنِ :

وقال الشافعيُّ : كنتُ أكتبُ العلمَ في العظامِ وعلى الخِرَقِ ، وكنتُ أطرحُه في الزيرِ[1] حَتَّىٰ امتلأَ ، وكنتُ يتيماً ، ولم يكنْ لأمِّي شيءٌ ، فوُلِّيَ عمٌّ لي ناحيةَ اليمنِ علىٰ القضاءِ ، فخرجتُ معَهُ ، فلمَّا قدِمتُ من اليمنِ . . أتيتُ مسلمَ بنَ خالدٍ الزنجيَّ ، فسلمتُ عليه ، فلم يردَّ عليَّ السلامَ وقال : أحدُهم يجيئُنا حتى إذا ظَنَنَّا أنه يَصلحُ . . أفسدَ نفسَهُ ، قال : فسِرْتُ إلى سفيانَ بنِ عيينةَ ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلامَ ، وقال : قد بلغني ـ يا أبا عبدِ اللهِ ـ ما كنتَ فيهِ ، وما بلغني إلاَّ خيرٌ ، فلا تعُدْ .

---

(١) الزير : الخابية والحُبُّ من الفخّار ، وسلف نحوه .

لقاؤه معَ محمَّدِ بنِ الحسنِ :

وقال الشافعيُّ : قال لي محمَّدُ بن الحسن : ما تقولُ في رجلٍ ؛ غَصبَ عموداً وبنىٰ عليهِ قصراً فجاءَ المستحِقُّ وأقامَ شاهدينِ واستحقَّهُ ؟ قلتُ : يخيَّرُ بين العمودِ وبينَ قيمتِهِ ، فإن اختارَ العمودَ . . هُدِمَ القصرُ وأخرجَ العمودُ ورُدَّ إلى صاحبِهِ .

قال : فما تقولُ فيمنْ غصبَ خشبَةً وأدرجَهَا في سفينةٍ ثم وَلَجَ بها في البحرِ فجاءَ صاحبُها فاستحقَّها ؟ قلتُ : يقدُمُ إلى أقربِ المراسي ، فيخيَّرُ : بينَ القيمةِ والخشبةِ ، فإن أُخِذتْ قيمتُها وإلا أُخرِجتْ مِنَ السفينةِ وردَّتْ على صاحبِها .

قال فما تقولُ : فيمن غصبَ خيطَ إبْريسَمٍ[1] فخاطَ بهِ جُرحَهُ فاستحقَّه صاحِبُهُ ؟ قلت : قيمتُهُ . قال : اللهُ أكبرُ ، نقضْتَ قولَكَ ، وقال أصحابُهُ : اللهُ أكبرُ ، نقضتَ قولَكَ يا حجازيُّ ، فقلتُ : على رِسلكَ لا تعجلْ ، أرأيتَ : لو أَنَّ صاحبَ القصرِ أرادَ أنْ يهدمَ قصرَهُ ويردَّ العمودَ إلى صاحبِهِ ولا يعطيهِ قيمتَهُ . . أكان للسلطانِ أنْ يمنعَهُ من ذلكَ ؟ قال : لا . فقلت : أرأيتَ : لو أَنَّ صاحبَ السفينةِ أرادَ أن ينقضَ السفينةَ ويردَّ الخشبةَ إلىٰ صاحبِها . . أكانَ للسلطانِ أن يمنعَهُ ؟ قال : لا . قلت : أرأيتَ الخيطَ الذي خاطَ بهِ جرحَ نفسهِ : لو أرادَ أن يُخرجَ الخيطَ ويردَّهُ على صاحبِهِ . . أكانَ للسلطانِ أن يمنعَهُ ؟ قال : نعم . قلت : كيفَ تقيسُ ما هُو محظورٌ علىٰ ما ليسَ بمحظورٍ ؟! . وفي رواية : هذا يُباحُ لهُ ، وهذا محظور عليه ، فأنَّىٰ يقاسُ هذا بهذا ؟ . قال : فكيفَ يُصنعُ بمَنْ في السفينة ؟ قال : آمرهُ أن يقربَ إلى أقربِ المراسي بموضعٍ لا يهلكُ هو فيهِ ولا أصحابُه ، فأنزعَ اللوحَ وأدفعَه إلى صاحبِهِ وأقولُ لَهُ : أصلِحْ سفينتَكَ واذهبْ . قال محمد بن الحسن : أليس قد قال ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » ؟! قلتُ : مَنْ ضَارَّهُ ؟ هو أضرَّ بنفسهِ لم يضرَّ بهِ أحدٌ . ثم قلتُ له : فما تقولُ في رجلٍ غصبَ من رجلٍ جاريةً فأولدَها عشرةً من الولدِ كلُّهم قدْ قرأوا القرآنَ وخطبوا على المنابرِ وقضَوا بينَ المسلمين ، فأثبت

---

(١) إبريسم : الحرير .

صاحبُ الجاريةِ بشاهديْن عدليْن : أَنَّ هذا غصبَ عليَّ هذهِ الجاريةَ وأولدَها هؤلاءِ الأولادَ بمَ كنتَ تحكمُ ؟ قال : أحكمُ بأولادهِ أرقاءَ لصاحبِ الجاريةِ ، وأردُّ الجاريةَ عليهِ ، فقلتُ : نشدتُكَ باللهِ أيُّهم أعظمُ ضرراً : أنْ رددْتَ أولادَهُ أرقاءَ ، أو أن قلعتَ الساجةَ[1] .

أسئلةُ الخليفةِ هارون :

رویٰ الحافظُ البيهقيُّ : أَنَّ الشافعيَّ حضرَ يوماً مجلسَ الخليفةِ ، وكان محمَّدُ بنُ الحسنِ حاضراً ، فالتفتَ الرشيدُ إلى الشافعيِّ وقال : يا ابنَ إدريسَ كيفَ بصرُك بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟ فقال الشافعيُّ : عن أيِّ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ تسألُني ؟ فإنَّ الله سبحانَه وتعالىٰ أنزلَ كتباً ؛ ثمانيةً وخمسينَ كتاباً على سبعةٍ مِنَ الأنبياءِ صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين .

أنزلَ على آدم ، وشيثَ عليهما الصلاة والسلامُ ثلاثين صحيفةً ، كلُّها أمثالٌ .

وأنزلَ على أخنوخَ ـ وهو إدريسُ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ستةَ عشرَ صحيفةً ، كلُّها حِكَمٌ وعلمُ الملكوتِ الأعلىٰ .

وأنزلَ علىٰ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ثمانيةَ صحفٍ ، فيها فرائضُ ونذرٌ .

وأنزلَ علىٰ موسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ التوراةَ ، غالبُها تخويفٌ وموعِظَةٌ .

وأنزلَ علىٰ عيسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ الإنجيلَ ، ليبيِّنَ لبني إسرائيلَ ما اختلفوا فيه مِنَ التوراةِ .

وأنزلَ علىٰ داودَ عليه الصلاةُ والسلامُ كتاباً[2] ، كلُّهُ دعاءٌ وموعظةٌ .

وأنزل على سيِّدِ البشرِ محمَّدٍ ﷺ الفرقانَ جمعَ فيهِ سائرَ الكتبِ ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] ، وقال تعالىٰ :

---

(١) الساج : خشب تصنع منه السفن يجلب من الهند واحدهُ ساجة .

(٢) وهو الزبور قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : ١] .

فقال الرشيد : قد أحسنتَ في تفصيلِكَ ، لكنَّ قصدي القرآنُ الذي أُنزل على سيِّد المرسلينَ محمَّدٍ ﷺ الذي دعانا إلى قبولهِ ، وأَمَرَنا بالعملِ بمُحكَمِهِ والإيمانِ بما تشابَهَ منهُ .

فقال الشافعي : عن أيِّ آيِهِ تسألُني : عن مُحكَمِهِ ، أو متشابِهِهِ ، أو ناسخِهِ ، أو منسوخِهِ ؟ إذ منه ما ثبتَ حكمُهُ وارتفعتْ تلاوتُهُ ، ومنه : ما ثبتتْ تلاوتُهُ وارتفعَ حكمُهُ . أو تسألُني عمَّا ضربَهُ اللهُ تعالىٰ مثلاً واعتباراً ، أو عمَّا أحصىٰ فيه مِنْ أخبارِ الأممِ السالفةِ . فما زالَ يعدُّ حتىٰ ذكرَ ثلاثةً وسبعينَ نوعاً ، فقال له الرشيدُ : ويحكَ يا شافعيُّ أوَ كُلُّ هذا يحيط بهِ علمُكَ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنينَ المحنةُ على القائلِ كالنارِ على الفضةِ تُظهرُ جَودتَها مِنْ رداءَتها ، فقال الرشيدُ : ما أُحسِنُ أنْ أُعيدَ ما قلتَ ، ولكنْ أسأَلُكَ عنه في مجلسٍ آخرَ ، فكيفَ بصرُك بسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ فقالَ الشافعيُّ : إنِّي لأعرِفُ منها ما خرجَ علىٰ وجهِ الإيجابِ ؛ لا يجوزُ تركُهْ كمَا لا يجوزُ تركُ ما أوجبَهُ اللهُ في القرآنِ ، وما خرجَ على وجهِ التأديبِ ، وما خرجَ علىٰ وجهِ النَّدبِ ، وما خرجَ علىٰ وجهِ الخاصِّ . . لا يدخلْ فيه العامُّ ، وما خرجَ علىٰ وجهِ العمومِ . . يدخلْ في الخصوصِ ، وما خرجَ جواباً عن سائلٍ . . ليسَ لغيرِهِ استعمالُهُ ، وما خرجَ ابتداءً . . لازدحامِ العلومِ في صدرِهِ الجليلِ ﷺ ، وما فعله في خاصَّةِ نفسِهِ واقتدىٰ به الخاصَّةُ والعامةُ وما اختصَّ بهِ . . فلا يشاركُهُ فيهِ غيرُهُ .

فقال الرشيدُ : باركَ اللهُ فيكَ يا شافعيُّ ، لقدْ أحسنتَ ، كيفَ بصرُكَ بالعربيةِ ؟ قال : هي مَيْدانُنا ؛ فطباعُنا بها تقدَّمتْ ، وألسنتُنا بها جَرتْ ، فصارتْ كالحياةِ لا تتمُّ إلا بالسلامةِ ، ولقد وُلِدتُ ولا أعرفُ اللَّحنَ ، فقال : أكثَرَ اللهُ في أهلي مثلَكَ ، فأمرَ له بألفِ دينارٍ ، فقبِلَها ، فضحكَ وقال : لله درُّكَ ما أفطنَكَ وأعمقَ عِلْمَكَ ، قاتلَ اللهُ عدوَّكَ ، لقدْ أصبحَ لك وليّاً ، وأمرَ خادِمَهُ أن يتبعَهُ لينظرَ ما يصنعُ بالمالِ ، فما زالَ يفرِّقُهُ قبضَةً قبضةً حَتَّىٰ وصلَ إلىٰ البابِ وما معَهُ إلا قبضةٌ دفعَهَا إلىٰ الخادمِ ، فعرَّفَ الخادمُ الرشيدَ بذلكَ ، فقال الرشيد : بهذا فرغَ همُّهُ وقويتْ منَّتُه .

سؤالُ ابنِ عيينةَ :

روى الحافظ البيهقيُّ رحمه الله تعالىٰ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ الشافعيِّ قال : كنَّا في مجلسِ سفيانَ بنِ عيينةَ والشافعيُّ حاضرٌ ، فحدَّثَ ابنُ عيينةَ ، عن الزهريِّ ، عن عليِّ بن الحسينِ رضي الله عنهم : أَنَّ النبيَّ ﷺ : مَرَّ به رجلٌ في بعضِ اللَّيلِ وهو مع امرأتِهِ صفيَّةَ ، فقال : « هذهِ صفيَّةُ » فقال الرجل : سبحان الله يا رسول الله! فقال النبيُّ ﷺ : « إِنَّ الشيطانَ يجري مِن ابنِ آدمَ مجرىٰ الدمِ » فقال سفيان بن عيينة للشافعي : ما فِقهُ هذا الحديثِ يا أبا عبدِ الله ؟ فقال الشافعيُّ :

إِنَّما هذا مِنَ النبيِّ ﷺ علىٰ وجهِ التعليمِ والتأديبِ لنا ، ولمن بعدَنا ، فكأَنَّهُ ﷺ قال : إذا كنتُم هكذا ، فافعلوا هكذا ؛ حتىٰ لا يُظَنَّ بكمُ السوءُ ، فهو على وجه التأديب ، يقول : إذا مرَّ أحدُكم علىٰ رجلٍ يكلِّمُ امرأةً وهي منهُ بسببٍ ، فليقُلْ : إنها فلانةٌ ، ومعاذَ اللهِ أن يُتَّهَمَ النبيُّ ﷺ وهو أمينُ اللهِ في أرضهِ ﷺ ، فإِنَّ القومَ لم يتهِمُوهُ ، إذ لو اتهمُوهُ . . لصاروا كفَّاراً بتهمِتهم إيَّاهُ ﷺ ، فقالَ ابنُ عيينةَ : جزاكَ اللهُ خيراً يا أبا عبدِ اللهِ ، ما يجيئُنا منكَ إلاَّ كلُّ ما نحبُّ .

وقال الشافعي رحمه الله ، حدَّثنا سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي يزيدَ ، عن أبيه ، عن سِباعِ بنِ ثابتٍ ، عن أم كُرزٍ رضي الله عنها قالت : أتيتُ رسول الله ﷺ فسمعتُه يقول : « أقرّوا الطيرَ على وُكُناتِها »[(١)] فقال الشافعي رضي الله عنه : إِنَّ العربَ كان أحدُهم إذا غدا مِنْ منزلهِ يريدُ أمراً . . نظرَ أوَّلَ طائرٍ يراه ، فإنْ سنحَ عن يسارِهِ فاجتاز عن يمينه . . قال : هذا طائرُ الأيامِنِ ومضىٰ لحاجتِهِ ، ورأى : أنها

---

(١) أخرجه عن أم كرز أبو داود (٢٨٣٥) في العقيقة ، وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » (١٣٥٠) وزاد نسبته للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، لكن أورده في « الميزان » في ترجمة سباع وقال : سباع لا يكاد يعرف ، وأورد له هذا الخبر اهـ مناوي .

الوكنات ـ جمع وَكْنٍ ـ : عش الطائر في جبل أو جدار . قال الأصمعي : **الوَكن** : مأوى الطائر في غير عش . ومنه قول امرىء القيس من الطويل :

وقـدْ أغتـدي والطيـرُ فـي وُكُنـاتهـا ... بمنجـردٍ قيـدِ الأوابـدِ هيكـلِ

ستُنجحُ . وإنْ سنحَ عن يمينهِ فمرَّ عن يساره . . قال : هذا طائرُ الأشائِم ورجع ، وقال : هذه حاجة مشئومة ، وكانت العرب في الجاهلية إذا لم ترَ طائراً سانحاً ورأتْ طائراً في وَكْرِه[1] حَرَّكَتْهُ مِنْ وكرِهِ ليطيرَ فتنظرَ أَسَلَكَ طريقَ الأيامِنِ أم طريقَ الأشائمِ ؟ فيُشبهُ : أن يكونَ ذلكَ معنىٰ قول النبي ﷺ : « أقِرُّوا الطيرَ على وُكُناتِها » أي : لا تحرِّكوها ، فإنَّ تحريكَها وما تعملونَه مِنَ الطِّيَرةِ لا يصنعُ شيئاً ، وإنما يقعُ لكم فيما توجهونَ إليه ما قضاهُ الله عزَّ وجلَّ . وقد سُئلَ النبيُّ ﷺ عن الطِّيرةِ فقال : « إنَّما ذلكَ شيءٌ يجدُهُ أحدكُم في نفسِهِ ، فلا يصدَّنَّكم »[2] .

وكان ابنُ عيينةَ بعدَ ذلكَ إذا سُئلَ عن تفسيرِ هذا الحديثِ يفسِّره على نحوِ ما فسَّرهُ الشافعيُّ .

وقالَ أبو عثمانَ الخوارزميُّ : حدثَنا أبو عبدِ اللهِ التستريُّ ، عن أبي ثورٍ قالَ : لمَّا وردَ الشافعيُّ العراقَ . . جاءني حسينٌ الكرابيسيُّ ، وكان يختلفُ معي إلى أصحابِ الرأيِ ، فقال : قد وردَ رجلٌ مِنْ أصحابِ الحديثِ يتفقَّهُ ، فقُمْ بنا إليه ، فذهبْنا حتى دخلنا عليه ، فسألَه الحسينُ عن مسألةٍ فلم يجبْهُ عنها إذ ذاك واندفع يتكلم في العلمِ ، ولم يزلِ الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ يقولُ : قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ ، قالَ رسول الله ﷺ ، حَتَّىٰ أظلمَ علينا البيتُ ، فتركْنا بدعتَنا واتبعْناهُ .

وروى البيهقيُّ بسندِهِ فقال : سمعتُ داودَ بنَ عليٍّ الأصبهانيَّ يقولُ : اجتمعَ للشافعيِّ مِنَ الفضائلِ ما لم يجتمعْ لغيرِهِ من المميزات :

ـ فأولُ ذلكَ : شرفُ نسبِهِ ومنصبِهِ ، وأنه مِنْ رهطِ النبيِّ ﷺ .

ـ ومنها : صحَّةُ الدينِ ، وسلامةُ المعتقَدِ ، من الأهواءِ والبدعِ .

ـ ومنها : سخاوةُ النفسِ .

ـ ومنها : معرفتُهُ بصحَّةِ الحديثِ وسقيمِهِ .

---

(١) **الوَكْرُ** : العش حيث كان في جبل أو شجر ، يجمع على : وُكور وأوكارٍ .

(٢) أخرجه عن معاوية بن الحكم مسلم (٢٢٢٧) م (١٢١) في السلام ، باب : تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

ـ ومنها : معرفتُهُ بناسخِ الحديثِ ومنسوخِهِ .

ـ ومنها : حفظُه لكتابِ اللهِ تعالىٰ ، وحفظُه لأخبارِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومعرفُتُه بسِيَرِ النبي ﷺ وسِيَرِ خلفائهِ رضي الله عنهم .

ـ ومنها : كشفُهُ لتمويهِ مخالفيهِ .

ـ ومنها : تأليفهُ الكتبَ القديمةَ والجديدةَ .

ـ ومنها : ما اتفقَ له مِنَ الأصحابِ والتلامذَةِ المارِّ ذكرُهم وغيرِهم ، المتَّفقِ على علوِّ رتبتِهم ومكانتهم .

مناظراتُه :

وقال أبو زكريا : أخبرَنا محمَّدٌ قال : ما رأيتُ أحداً يناظرُ الشافعيَّ إلا رحِمتُه .

وقال هارونُ بنُ سعيدٍ : لو أَنَّ الشافعيَّ ناظَرَ علىٰ هذا العمودِ الذي مِنَ الحجارةِ أنه مِنْ خشبٍ . لَغَلَبَ ، مِن شِدَّةِ اقتدارِه علىٰ المناظرةِ .

وقال الشافعيُّ : ناظرتُ يوماً محمَّدَ بن الحسنِ ، فاشتدَّتْ مناظرتي إيَّاهُ ، فجعَلَتْ أوداجُه تنتفخُ وأزرارُهُ تتقطَّع زِرّاً زِرّاً .

وقال الشافعيُّ رضي الله عنه في تفسير : « ليسَ منّا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآنِ »[1] قال : يتحزَّنُ به يترنَّمُ به .

قال الشيخ محمَّدُ بن الحسنِ عفا اللهُ عنه : روىٰ محمَّدُ بنُ يزيدَ بنَ حكيمٍ قال : رأيتُ الشافعيَّ في المسجدِ الحرامِ ، وقد جُعِلتْ له طنافسُ[2] ، فجلسَ عليها وهو يقولُ : سلوني عما شئتُمْ أُخبرْكُم مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأتاه رجلٌ مِنْ أهلِ خراسانَ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ مِنْ أينَ تأخذُ مِنْ كتابِ اللهِ تعالىٰ : أَنَّ المحرمَ لهُ أن

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة البخاري (٧٥٢٧) في التوحيد بلفظه ، وبنحوه عند مسلم (٧٩٢) (٢٣٣) في صلاة المسافرين بلفظ : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنىٰ بالقرآن ، يجهر به » .

(٢) طنافس ـ جمع طنفسة ـ : وهي الوسادة والمخدة والأريكة .

يقتلَ الزنبورَ ؟ فقال : نعمْ مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وسنةِ رسوله ﷺ ، ثم قال : أعوذُ باللهِ السميع العليمِ مِنَ الشيطانِ الرجيم قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر : ٧] ، هذا من كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وحدَّثَنا سفيانُ ، عن زائدةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ ، عن مولىً لربعيٍّ ، عن حذيفةَ رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « اقتدوا باللَّذَيْنِ مِنْ بعدي : أبي بكرٍ وعمرَ »[1] رضي الله عنهما هذه سنَّةُ رسولِ الله ﷺ ، وحدثونا عن إسرائيلَ ، قال أبو بكرٍ الميمليُّ : حدثَنا أبو أحمدَ ، عن إسرائيلَ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الأعلىٰ ، عن سويدِ بنِ غفلةَ : (أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه : أمرَ المحرمَ بقتلِ الزنبورِ)[2] . هذا هو المرويُّ عنِ الشافعيِّ رضي الله عنه ، ولا تغترَّ بما رواه الحافظُ أبو نُعيمٍ في هذه الواقعةِ ، فإِنَّه غلطٌ صريحٌ انتهىٰ .

ورویٰ الحافظُ بإسنادِه ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ قال : سمعتُ الشافعيَّ رضي الله عنه يقول : لأنْ يُبتلىٰ المرء بكلِّ ما نهىٰ اللهُ عنه ما عدا الشركِ خيرٌ له مِنَ النظرِ في الكلامِ ، فإني واللهِ اطَّلعْتُ مِنْ أهلِ الكلامِ على شيءٍ ما ظننتُهُ قطُّ ، وفي روايةٍ : ما ارتدَّ أحدٌ بالكلامِ فأفلحَ ، وفي رواية : لو علمَ الناسُ ما في الكلام والأهواءِ . . لفرُّوا منه كما يفرّونَ مِنَ الأسدِ .

وكان مالكٌ رحمه الله تعالىٰ إذا جاءَهُ بعضُ أهل الأهواءِ . . قال : أمّا أنا . . فعلى بيِّنةٍ مِنْ ربِّي في ديني ، وأما أنتَ . . فشاكٌّ ، اذهب إلى شاكٍّ مثلِكَ ، فخاصِمْه .

وقال محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بن عبدِ الحَكم : سمعتُ الشافعيَّ رضي الله عنه يقولُ في قولِ اللهِ عز وجل : ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الروم : ٢٩] ، قال في العبرةِ عندكم : إنما يقولُ لشيءٍ لم يكنْ :

---

(١) أخرجه من طريقين عن حذيفة بن اليمان الترمذي (٣٦٦٣) في المناقب وحسنه ، وابن ماجه (٩٧) في المقدمة ، وله شاهد عن ابن مسعود ، وزاد نسبته في « الجامع الصغير » (١٣١٨) إلى أحمد . قال المناوي : قد أحسن المصنف حيث عقبه بذكر شاهده .

(٢) أخرج خبرَ الفاروقِ عن سويد بن غفلة عبد الرزاق مطولاً في « المصنف » (٨٣٨٠) وبنحوه (٨٣٨١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/٢١١) .

كُنْ ، فخرج مفصَّلاً بعينيْه وأذنيْه وأنفِهِ وسمعهِ ومفاصلِهِ ، وما خلقَ اللهُ تعالىٰ فيه مِنَ العروقِ والعظامِ فهذا في العبرةِ أشدُّ مِنْ أنْ يقولَ لشيءٍ قد كانَ : عُدْ إلى ما كنْتَ ، فهذا إنَّما هو أهونُ عليه في العبرةِ عندَكم ، ليس أنَّ شيئاً يعظمُ على اللهِ عزَّ وجلَّ .

قالَ الشافعيُّ : ما ساقَ اللهُ تعالىٰ هؤلاءِ الذينَ يتكلَّمونَ في أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وغيرِهم مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضي عنهم إلا ليُجريَ لهمُ الحسناتِ وهمْ أمواتٌ .

وحضرَ الشافعيُّ ميِّتاً ، فلمَّا نظرَ إليه . . قال : اللهمَّ بِغناكَ عنه وفقرِه إليكَ اغفرْ له .

وقال الشافعي : طلبُ العلمِ يحتاجُ إلى ثلاثِ خصالٍ : حُسنُ ذات اليَد ، وطولُ العمُرِ ، وأن يكون ذكياً .

مِن وصاياه :

وصيته ليونس :

قال يونس بن عبد الأعلى : قالَ ليَ الشافعيُّ : يا يونُس ، إذا بلغَكَ عن صديقٍ لكَ ما تكرهُهُ . . فإيّاكَ أنْ تبادرَ بالعداوةِ وقطعِ الولايةِ فتكونَ ممَّنْ أزالَ يقينَه بشكٍّ ، ولكنِ القَهُ وقلْ لهُ : بلغَني عنكَ كذا وكذا ، واحذرْ أنْ تسمِّيَ له المُبلِّغَ ، فإن أنكرَ ذلكَ فقلْ له : أنت أصدقُ ولا تزدْه على ذلك شيئاً وإنِ اعترفَ بذلكَ فرأيتَ له في ذلك وجهاً يُعذرُ فيه . . فاقبلْ منه ، وإن لم ترَ له وجهاً . . فقلْ له : ماذا أردتَ بما بلغَني عنكَ ، فإنْ ذكرَ ما له وجهٌ مِنَ العذرِ . . فاقبلْه ، وإن لم ترَ وجهاً لعذرٍ وضاقَ عليكَ المسلك . . فحينئذٍ أثبتْها عليه سيئةً أتاها ، ثم أنتَ في ذلك بالخيارِ : إنْ شئتَ كافأتَه بمثلِها مِنْ غيرِ زيادةٍ ، وإن شئتَ عفوتَ عنه ، والعفوُ أقربُ للتقوىٰ وأبلغُ في الكرمِ ؛ لقولِه تعالىٰ : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورىٰ : ٤٠] ، فإنْ نازعَتْكَ نفسُك بالمكافأةِ . . ففكِّرْ بما سبقَ له لديكَ مِنَ الإحسانِ فعُدَّها ، ثم اندرْ له حسنةً بهذهِ السيئةِ ، ولا تبخسْ باقيَ إحسانهِ

السالفَ بهذهِ السيئةِ ، فإنَّ ذاك الظلمُ بعينهِ . وقد كانَ الرجلُ الصالحُ يقولُ : رحمَ اللهُ مَنْ كافأني على إساءَتي مِنْ غيرِ أنْ يزيدَ ولا يَنقُصَ حقاً لي .

يا يونُس ، إذا كانَ لكَ صديقٌ . . فَشُدَّ يديكَ به ، فإنَّ اتخاذَ الصديقِ صعبٌ ومفارقتَه سهلةٌ .

وقد كانَ الرجلُ الصالحُ يُشبِّهُ سهولةَ مفارَقةِ الصديقِ بصبيٍّ يَطرحُ في البئرِ حجراً عظيماً ، فيسهُلُ طرحُهُ عليهِ ويصعبُ إخراجُهُ على الرجالِ التُّركِ . فهذه وصيتي لك ، والسلامُ .

وقال الشافعيُّ : قبولُ السّعايةِ شرٌّ مِنَ السّعايةِ ؛ لأنَّ السّعايةَ دِلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، وليسَ مَنْ دلَّ علىٰ شيءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ ، والساعي ممقوتٌ إذا كانَ صادقاً لِهَتْكِهِ العورةَ وإضاعتِهِ لها ، ومعاقَبٌ إذا كان كاذباً بالمبارزة للهِ عز وجلَّ بقولِ البهتانِ وشهادةِ الزورِ .

وصيَّتُهُ للربيعِ وقوله في مكانةِ العلومِ :

قال الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ : يا ربيعُ ، رِضاءُ الناسِ غايةٌ لا تدركُ ، فعليكَ بما يُصلحُكَ فالزمْهُ ، فإنَّهُ لا سبيلَ إلىٰ رضاهُم ، واعلمْ : أَنَّ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ . . جَلَّ في أعينِ الناسِ ، ومَنْ تعلَّمَ الحديثَ . . قويتْ حجتُهُ ، ومَنْ تعلَّمَ النحوَ . . هِيبَ ، ومَنْ تعلَّم العربيةَ . . رقَّ طبعُهُ ، ومَنْ تعلَّمَ الحسابَ . . جَزُلَ رأيُهُ ، ومَنْ تعلَّمَ الفقهَ . . نَبُلَ مقدارُهُ ، ومن لم يصُنْ نفسَهُ . . لم ينفعْهُ علمُهُ ، وملاكُ ذلكَ كلِّه التقوىٰ .

وقال الربيعُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : لا يحلُّ لأحدٍ أن يكتنيَ بأبي القاسمِ سواءٌ كانَ اسمُهُ محمّداً أو غيرَهُ .

مجاهدته وتلاوتُه لكتابِ اللهِ تعالىٰ ومكانته :

كان الشافعيُّ يختِمُ في رمضانَ ستِّينَ ختمةً ، ما منها شيءٌ إلا في صلاةٍ ، وذلك في حالِ رِباطِهِ بالثغرِ في الإسكندريةِ .

وقال الربيع : كان الشافعيُّ إذا حدَّثَ . . فكأنَّما يقرأُ سورةً من القرآنِ ، وكان

فصيحاً ، فمرضَ مرضةً شديدةً فقال : اللهمَّ إنْ كانَ هذا لكَ فيهِ رضاً . . فَزِدْ ، فبلغَ ذلكَ إدريسَ بنَ يحيىٰ الخولانيَّ ، فبعثَ إليهِ : يا أبا عبدِ الله ، لستُ أنا ولا أنتَ مِنْ رجالِ البلاءِ ، سَلِ اللهَ تعالىٰ العافيةَ ، فبعثَ إليه : يا أبا عمرٍو ، اُدعُ اللهَ لي بالعافيةِ .

وقال يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ : كانَ الشافعيُّ يكلِّمُنا بقدْرِ ما نفهمُ عنه ، ولو كلَّمَنا بحسَبِ فهمِهِ . . ما عقَلْنا عنهُ[1] .

وقال الشافعيُّ : ما رأيتُ شيئاً أنفعَ للوباءِ من التَّسبيحِ .

وقال الشافعيُّ : نزلَ قومٌ بامرأةٍ مِنْ أهلِ اليمنِ ، فأخرجتْ لهم شيئاً ، فقالوا لها : إنَّ معَنا ما يكفينا ، فقالت : فما تريدونَ ؟ أتنزلونَ عندي وتأكلونَ طعامَكم ؟! واللهِ لا كان هذا أبداً ، واللهِ لو فعلتُم هذا . . لرأيتُم متاعَكم في الصحراءِ .

وقال الشافعيُّ : سمعتُ رجلاً يمدحُ أخاً له فقال : إن كانَ لَيملأُ العينَ جَمالاً والأذنَ بياناً .

وقال الشافعيُّ : منِ استُغضبَ فلم يغضبْ . . فهو حمارٌ ، ومن استُرضيَ فلم يرضَ . . فهو شيطانٌ .

وقال حرملةُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : احذروا الأعورَ والأحولَ والأعرجَ والأحدبَ والأشقرَ والكوسجَ وكلَّ من به عاهةٌ في بدنِهِ ، فإنَّ فيه التواءً ومعاملتُه عَسِرةٌ[2] .

وقال الشافعيُّ : كتبَ حكيمٌ إلىٰ حكيمٍ ، يا أخي : قد أوتيتَ علماً ، فلا تدنِّس علمَكَ بظُلمةِ الذنوبِ ، فتبقى في الظلمةِ يومَ يسعىٰ أهلُ العلمِ بنورِ علمِهم .

---

(١) ولعله أخذه من قول علي رضي الله عنه كما في « صحيح البخاري » قبل (١٢٧) في العلم : (حدِّثوا الناسَ بما يعرفون أتُحبونَ أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولهُ) . وذكر السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٨٠) عن ابن عباس مرفوعاً: «أُمِرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» بسند ضعيف جداً. ونحوه قول الغزالي حيث يقول : زِن لكلِّ إنسان بمقدار فهمه ، وكِلْ له على مقدار عقله ، وإلا حصل الإنكار لتفاوت المعيار .

(٢) قال ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي ومناقبه » (ص/ ١٣٢) : إنما يعني : إذا كان أولادُهم بهذه الحالة ، فأمّا من حدث فيه شيء من هذه العلل وكان في الأصل صحيح التركيب . . لم تضرَّ مخالطته .

فُتيا للشافعيِّ :

قال الربيع : كنتُ عندَ الشافعيِّ إذ جاءَه رجلٌ بِرُقعةٍ ، فقرأَها ، ووقَّعَ فيها ، فمضىٰ الرجلُ ، فتبعته إلىٰ باب المسجدِ ، فقلتُ : والله لا يفوتُني فتيا الشافعيِّ ، فأخذتُ الرقعةَ من يدِهِ ، فوجدتُ فيها ـ من بحر الطويل ـ :

سَلِ العالِمَ المكيَّ هلْ في تَزاوُرٍ ... وضمَّةِ مشتاقِ الفؤادِ جُناحُ ؟

فإذا قد وَقَّعَ الشافعيُّ فيها :

فقلتُ : معاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التُّقىٰ ... تلاصقُ أكبادٍ بهنَّ جِراحُ

قال الربيع : فرجعتُ إلى الشافعيِّ وسألته كيف أفتىٰ لحَدَثٍ بمثلِ هذا ؟ فقال : يا أبا محمَّدٍ هذا رجلٌ هاشميٌّ ، قد أعرسَ في هذا الشهرِ شهرِ رمضانَ ، وهو حديثُ سِنٍّ ، فسألَ : هلْ عليهِ مِنْ جُناحٍ أنْ يقبِّلَ أو يضُمَّ مِنْ غيرِ وطءٍ ، فأفتيتُهُ بهذِهِ الفُتيا . قال الربيع : فسألتُ الشابَّ بعدَ ذلك ، فذكرَ لي مثلَ ما قالَ الشافعيُّ ، فما أصدَقَ من فراسَتِهِ .

وعنِ المزنيِّ قالَ : دخلتُ على الشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ في علَّتِهِ التي توفيَ فيها ، فقلتُ له : كيفَ أصبحتَ ؟ قالَ أصبحتُ مِنَ الدُّنيا راحلاً ، ولإخواني مفارِقاً ، ولِكأسِ المنيّةِ شارِباً ، ولسيِّءِ أعمالي ملاقياً ، وعلىٰ اللهِ الكريمِ وارِداً ، فلا أدري : أروحي تصيرُ إلى الجنةِ فأهنِّيها ، أو إلىٰ النار فأعزِّيها ؟ ثمَّ بكىٰ ، وأنشدَ ـ من بحر الطويل ـ :

ولمَّا قَسا قلبي وضاقتْ مذاهبي ... جعلتُ الرجا منِّي لعفوِكَ سُلَّما

تعاظَمَني ذنبي فلمَّا قرنتُهُ ... بعفوكَ ربي كانَ عفوُكَ أعظَمَا

وما زِلتَ ذا عفوٍ عنِ الذَّنبِ لم تزلْ ... تجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

فإن تعفُ عنِّي . . تعفُ عَن ذي إساءةٍ ... ظَلومٍ غَشومٍ لا يُزايلُ مأْثما

وإنْ تنتقمْ منِّي . . فلستُ بآيسٍ ... ولو دخلَتْ روحي بجرمي جهنَّما

وقال الشافعيُّ : حفظتُ « القرآنَ » وأنا ابنُ سبعِ سنينَ ، و« الموطَّأَ » وأنا ابنُ عشرٍ .

وقال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، قلتُ لأبي : يا أبتِ أيَّ رجلٍ كان الشافعيُّ ؟ فإني رأيتُكَ تكثرُ من الدعاءِ لهُ ، فقال له : يا بنيَّ ، كان الشافعيُّ كالشمسِ للدنيا ، والعافيةِ للبدنِ ، فهل ترىٰ لهذينِ مِنْ خَلَفٍ ، أو عنهما مِنْ عوضٍ .

وقال الشافعيُّ : ما ناظرتُ أحداً إلا وأحببتُ أن يكونَ الحقُّ علىٰ لسانِهِ .

وفي روايةٍ : إلا وأحببتُ أن لا يُخطِىءَ ، وفي روايةٍ : إلا وأحببتُ أن يوفَّقَ ويسدَّدَ ويعانَ ويكونَ عليهِ رعايةٌ مِنَ اللهِ عز وجلَّ وحِفْظٌ .

وقال الربيعُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ : الجودُ من قلَّةٍ ، والورعُ في خَلوةٍ ، وكلمةُ حقٍّ عند من يُخافُ ويُرجىٰ .

وقال الشافعيُّ : مَنْ طلبَ الرئاسةَ . . فَرَّتْ منه .

وقال الربيعُ : سُئِلَ الشافعيُّ عن سِنِّهِ فقالَ : ليسَ من المروءَةِ أن يخبرَ الرجلُ بسنِّهِ ، سألَ رجلٌ مالكاً عن سنِّهِ ، فقال : ليس من المروءة أن يخبرَ الرجلُ بسنِّهِ ؛ لأنه إنْ كان صغيراً . . استحقروه ، وإنْ كان كبيراً . . استهرمُوه .

ودخل الشافعيُّ يوماً على بعض حَجَبِ هارونَ الرشيدِ ؛ ليستأذنَ لهُ ومعَهُ سراجٌ الخادمُ ، فأقعدَهُ عندَ أبي عبد الصمدِ مؤدِّبِ أولادِ الرشيدِ ، فقال سراجٌ للشافعيِّ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ هؤلاءِ أولادُ أميرِ المؤمنينَ وهذا مؤدِّبُهم ، فلو وصّيتَهُ بِهم ، فأقبلَ عليه وقال : لِيكنْ أوّلَ ما تبدأُ به مِنْ إصلاحِ أولادِ أميرِ المؤمنينَ إصلاحُ نفسِكَ ، فإنَّ أعيُنَهم معقودةٌ بعينِك ، فالحسنُ عندَهم ما استحسنْتَهُ والقبيحُ عندَهم ما كرِهتَهُ ، علِّمْهم كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولا تُكرهْهم عليهم فيمَلُّوه ولا تترکْهم منه فيهجُروه ، ثم زوِّدْهمْ مِنَ الشِّعرِ أعقلَهُ ، ومن الحديثِ أشرفَهُ ، ولا تُخرجْهم مِنْ علمٍ إلىٰ غيرِهِ حتىٰ يُحكِمُوه ، فإنَّ ازدحامَ الكلامِ في السمَعِ مضلَّةٌ للفهمِ .

وقال الشافعي : من نظَّفَ ثوبَهُ . . قلَّ همُّه ، ومن طابَ ريحُهُ . . زادَ عقلُهُ .

وقال : لِنْ لمَنْ يجفُو . . فَقَلَّ مَنْ يصفو .

ذكر رُؤًى بعدَ موته :

روىٰ الحافظُ الخطيبُ البغداديُّ رحمه الله تعالىٰ بسندِهِ عن سفيانَ بنِ وكيعٍ قال : رأيتُ فيما يرىٰ النائمُ : كأَنَّ القيامةَ قد قامتْ ، والناسُ في أمرٍ عظيمٍ ، إذ بدرَ إليَّ أخي ، فقلتُ : ما حالُكم ؟ قال : عُرِضْنا على ربِّنا تبارك وتعالىٰ ، فقلت : ما حالُ أبي ؟ قال : غُفرَ له وأمرَ بهِ إلىٰ الجنَّةِ ، قلت : فمحمدُ بنُ إدريسَ قال : حُشِرَ إلى الرَّحمنِ وفداً ، وأُلبسَ حُلَلَ الكرامةِ وتوِّجَ بتاجِ البهاءِ .

وقال الربيعُ : رأيتُ الشافعيَّ في المنامِ بعدَ موتِهِ فقلتُ لهُ : يا أبا عبدِ اللهِ! ما صنعَ اللهُ تعالىٰ بكَ ؟ فقال : أَجلسَني على كرسيٍّ مِنْ ذهبٍ ، ونثرَ عليَّ اللؤلؤَ الرَّطبَ .

وقال بنانٌ الأصفهانيُّ : رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنامِ ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ! محمَّدُ بنُ إدريسَ ابنُ عمِّكَ هل خصصْتَهُ بشيءٍ ؟ قال : نعم ، سألتُ اللهَ عزَّ وجلَّ : أنْ لا يحاسبَهُ ، فقلتُ له : بماذا يا رسولَ الله ، فقال : إنه كانَ يصلِّي عليَّ صلاةً لم يُصلَّ عليَّ بمثلِها ، فقلتُ : وما تلكَ الصلاةُ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : كان يقولُ : اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ كلَّما ذكرَكَ الذاكرونَ ، وصلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ كلَّما غَفَلَ عنْ ذكرِكَ الغافلونَ .

وقال الغزاليُّ رحمَ اللهُ روحَه : قال الشافعيُّ : العلمُ بينَ أهلِ العلمِ والعقلِ ، رَحمٌ متَّصلٌ . وقال : إذا خفتَ على عملِكَ العُجْبَ . . فاذكرْ رِضىٰ مَنْ تطلبُ ، وفي أيِّ نعيمٍ ترغبُ ، وفي أيِّ عاقبةٍ تُشكرُ ، وفي أيِّ بلاءٍ تُذكرُ ، فإِنَّكَ إذا فكَّرتَ في إحدىٰ هذه الخصالِ . . صغُرَ عملُكَ عندَكَ .

قال الغزاليُّ رحمه الله تعالىٰ : انظر : كيف ذَكَرَ الشافعيُّ حقيقةَ الرِّياءِ وعلاجَ العُجْبِ وهما مِنْ كبائرِ آفاتِ القلبِ .

قال : وسُئل الشافعيُّ : أيُّما أفضلُ : الصبرُ مع المحنةِ أوِ التّمكينُ ؟ فقالَ الشافعيُّ : التّمكينُ درجةُ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعينَ ، والتمكينُ

لا يكونُ إلاَّ بعدَ المحنةِ ، ألا ترىٰ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ امتحنَ إبراهيمَ الخليلَ عليه الصلاةُ والسلامُ ، ثُمَّ مكَّنَهُ ، وموسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ ثُمَّ مكَّنهُ ، وأيُّوبَ عليه الصلاةُ والسلامُ ثُمَّ مكَّنَهُ ، وهكذا سائرُ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، فالتمكينُ أفضلُ الدرجاتِ .

قال الغزاليُّ : فهذا الكلامُ يدلُّ علىٰ : تبحُّرِ علمِ الشَّافعيِّ في أسرارِ القرآنِ واطِّلاعِهِ علىٰ مقاماتِ السائِرينَ إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وأَمَّا قولُهُ : وددتُ أَنَّ الناسَ أخذوا هذا العلمَ ولا يُنسَبُ إليَّ منهُ حرفٌ . . فانظرْ : كيفَ اطَّلعَ علىٰ آفةِ العلمِ وطلبِ الاسمِ لهُ ، وكيفَ كانَ ينزِّهُ القلبَ عنِ الالتفاتِ إليهِ ، متجرِّدَ النيةِ فيهِ للهِ عزَّ وجلَّ .

وقال الشافعيُّ : ما أوردتُ علىٰ أحدٍ الحجَّةَ فقبِلَها منِّي إلا هِبتُهُ واعتقدتُ مودَّتَهُ ، ولا كابَرني أحدٌ على الحقِّ إلا سقطَ مِنْ عيني ورفضْتُهُ .

وقال : مِن شرفِ العلمِ : أَنَّ كلَّ من يُنسَبُ إليه ولو في شيءٍ يسيرٍ فَرِحَ ، ومَن دُفعَ عنه حَزِنَ .

قال الشيخُ محمدُ بن الحسنِ عفا الله عنه : روَيْنا عنِ الخطيبِ الحافظِ البغداديِّ رحمه الله بإسنادِهِ إلى الربيعِ بنِ سليمانَ قال : كنا جلوساً في حلقةِ الشافعيِّ بعد موتهِ ، فجاءَ أعرابيٌّ فوقفَ علينا وسلَّمَ ، ثُمَّ قالَ : أينُ قمرُ هذهِ الحلقةِ وشمسُها ؟ فقلنا له : ماتَ رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه ، قال : فبكىٰ بكاءاً شديداً ، ثم قال : رحمةُ الله تعالىٰ وغفرَ لهُ ، فلقدْ كانَ يفتحُ ببيانهِ منغلِقَ الحجَّةِ ، ويسدُّ علىٰ خصمِهِ واضحَ المحجَّةِ ، ويغسلُ منَ العارِ وجوهاً مسودَّةً ، ويوسِّعُ بالرأيِ أبواباً مُنسدَّةً ، ثم انصرفَ .

تعريفاتٌ بألفاظِ للشافعيِّ :

قال الشيخ محمدُ بن الحسنِ رحمه الله : قال شيخُنا شيخُ الإسلامِ برهانُ الدينِ الفزاريُّ ، قال الربيعُ بنُ سليمانَ : إذا قالَ الشافعيُّ أخبرَنا الثقةُ عن حميدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : (كان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ينتظرونَ العِشَاءَ فينامونَ ، أحسبُهُ

قال : قُعوداً حتى تخفقَ رؤوسُهم) ثم قال : الثقةُ في هذا الحديثِ هو إسماعيلُ ابنُ عليَّةَ ، وقال الحاكمُ : إذا قالَ الشافعيُّ : أخبرَنا الثّقةُ عن حميدٍ الطويلِ . . فإنما يريدُ **بالثقةِ** : **إسماعيلَ ابنَ عُليَّةَ** ، وقال الماورديُّ في « الحاوي » : كلُّ موضعٍ يقولُ فيهِ الشافعيُّ : قالَ **بعضُ الناسِ** : يريدُ : أبا حنيفةَ ، وكلُّ موضعٍ يقولُ فيهِ : قالَ **بعضُ أصحابنا** . . يريدُ : مالكاً ، وإذا أرادَ غيرَه ذكرَه باسمهِ .

وروَينا عن الحافظِ أبي القاسمِ بنِ عساكرَ رحمه الله تعالىٰ بإسنادهِ عن الربيعِ قالَ : كنتُ عندَ الشافعيِّ أنا والمزنيُّ وأبو يعقوبَ البويطيُّ ، فنظرَ إلينا ، فقالَ لي : أنتَ تموتُ في هذا الحديثِ ، وقال للمزنيِّ : هذا لو ناظرَ الشيطانَ قطعَهُ أو خَذَلَهُ ، وقال للبويطيِّ : أنتَ تموتُ في الحديدِ . قال الرَّبيعُ : فدخلتُ على البويطيِّ أيامَ المحنةِ ، فرأيتُهُ مقيَّداً إلى أنصافِ ساقَيْه مغلولةً يدُه إلى عنقِهِ . قال الحافظُ البيهقيُّ رحمه الله تعالىٰ : فكان كما تفرَّسَ رضي الله عنه .

وقال الرَّبيع حجَجْنا مع الشافعيِّ ؛ فما ارتقىٰ رَبوةً ولا هبطَ وادياً إلاَّ وهو يبكي ويُنشدُ [مجزوء الرجز] :

آلُ النبـــــــيِّ ذريعتـــــــي وبهـــــم إليـــــه وسيلتـــــي

أرجـــــو بـــأن أعطـــىٰ غـــداً بيـــدي اليميـــنِ صحيفتـــي

وكان مِنْ دعائِه رضي الله عنه :

اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنْ مقالِ الكذَّابينَ ، وإعراضِ الغافلينَ ، إلٰهي لكَ خضعَتْ قلوبُ العارفينَ ، وولهتْ بكَ فهومُ المشتاقينَ ، إلـٰهي هَبْ لي جودَكَ ، واسترني بسترِكَ ، واعفُ عني بكرمِكَ ، يا أرحمَ الراحمينَ .

وسألَ بعضُ العلماءِ رويماً فقال له : بِمَ ظهرَ الشافعيُّ رحمه الله ، فقالَ : بثلاثٍ :

الأولىٰ : أَنَّهُ جهرَ بـ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، فجهرَ اللهُ تعالىٰ باسمهِ .

والثانيةِ : ما أَحَبَّ أَنْ يكونَ لهُ مذهبٌ ، بلْ جعلَ مذهبَهُ الحديثَ حيثُ صحَّ .

والثالثةِ : مَحا نفسَهُ فأثبتَهُ اللهُ تعالىٰ .

وقدْ حكيَ : أنَّهُ وُجِدَ تحتَ فراشِ الشافعيِّ لمَّا ماتَ التفويضُ إليهِ بقضاءِ مصرَ من الخليفةِ المأمونِ ، وأنَّهُ لم يقبلِ التفويضَ ، ولم يُظهرِ الردَّ ، بلْ أخفىٰ التفويضَ ، فانظرْ إلىٰ هذا المقصودِ العظيمِ الذي فعلَهُ مِنَ الردِّ وإخفائِهِ ، وما فيهِ منْ تقوىٰ اللهِ تعالىٰ والإخلاصِ بأعمالهِ كلِّها للهِ سبحانهُ وتعالىٰ ، واللهُ أعلم .

واعلم : أنَّ هذا العلم ـ الذي يُؤخَذُ عنه ، وقدْ ملأَ الدنيا شرقاً وغرباً ـ صنَّفهُ في أربعِ سنينَ أو نحوِها ؛ لأنَّ كُتُبَهُ القديمةَ رجعَ عنها ، وكتبُه الجديدةُ هي التي صنَّفها بمصرَ ، ومُقامُه بمصرَ إنَّما كانَ هذه المدَّةَ ، وقد قيل : إنَّ الحكمةَ في قِصَرِ عُمْرِ الشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ ـ والله أعلم ـ : أنَّه لو طالَ عمرُهُ . . لارتفعَ الخلافُ ، وكانَ يرجعُ خلائِقُ عن مذاهبِهم لمذهبِهِ ، وبهذا يرتفع الخلافُ ولكنْ ما شاءَ اللهُ . . كانَ ، وما لم يشأ . . لم يكنْ ، وللشافعيِّ رضي الله عنه في هذا المعنىٰ أبيات ، فمنها قوله [من بحر المتقارب] :

فمـا شئـتَ كـان وإنْ لـم أَشـأْ ... ومـا شئـتُ إنْ لـمْ تشـأْ لـم يكُـنْ

خلقـتَ العبـادَ علـىٰ مـا أَردتَ ... فمنهـم شقِـيٌّ ومنهـم حسـنْ

علـى ذا مَنَنْـتَ وهـذا خَـذَلْـتَ ... وهـذا أعَنْـتَ وذا لـم يُعَـنْ

فائدة :

يعدُّ الشافعيُّ مجدِّدَ القرنِ الثاني .

لما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ اللهَ يبعثُ لهذهِ الأمَّةِ علىٰ رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يجدِّدُ لهَا دينَها »[1] . فقد ذكره الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله . . وقال عقيبَهُ :

نظرتُ في سَنة مئةٍ ، فإذا هو رجلٌ مِنْ آلِ رسولِ اللهِ ﷺ عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ .

---

(١) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أبو داود (٤٢٩١) في الملاحم بإسناد قوي .

ونظرت في رأس المئة الثانية ، فإذا هو رجلٌ مِنْ آلِ رسولِ اللهِ ﷺ محمدِ بن إدريسَ الشافعيُّ .

يقولُ السبكيُّ : وهذا ثابتٌ عنِ الإمامِ أحمدَ ، سقىٰ اللهُ عهدَه[1] .

وفاته رحمه الله تعالىٰ :

قال الربيعُ : توفيَ الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ وهو ابنُ أربعٍ وخمسينَ سنةً ليلةَ الجمعةِ بعدَ المغربِ ، وأنا عنده ، ودُفنَ بعدَ العصرِ يومَ الجمعةِ آخرَ يومٍ مِنْ رجبِ الفرد سنة أربع ومئتين وقبرُه بمصرَ ـ في ميدانِ الشافعيِّ ، بما يسمَّىٰ اليوم بالبساتين الجديدة بمسجدِهِ ـ وعليه مِنَ الهَيبةِ والجلالِ ، وله مِنَ الاحترامِ ما هو لائقٌ بمنصِبِ ذلك الإمامِ .

وقال الربيعُ : رأيت في النوم أنَّ آدمَ عليه الصلاةُ والسلامُ ؛ قد ماتَ ، فسألتُ عنْ ذلكَ ، فقيلَ : هذا موتُ أعلم أهل الأرضِ ، لأنَّ اللهَ تعالى ، قالَ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ٣١] ، فما كان إلا يسيرٌ فماتَ الشافعيُّ رحمة الله عليه .

ورأى غيرهُ ليلةَ موتِ الشافعيِّ رحمه الله قائلاً يقولُ : الليلةَ ماتَ النبيُّ ﷺ ، فلما أصبحَ . . وجدَ الشافعيَّ رحمه الله تعالىٰ قد ماتَ وحزِنَ الناسُ لموتِهِ الحزنَ الذي يوازي رزيَّتَهم به .

قال ابن دريد في حقِّه رضي الله عنه وأرضاه [من بحر الطويل] :

ألـم تـر آثـارَ ابـنِ إدريـسَ بعـدَه ... دلائـلَ عنـدَ المشكـلاتِ لـوامـعُ

معـالـمُ يفنـىٰ الـدهـرُ وهـي خـوالـدٌ ... وتنخفـضُ الأعـلامُ وهـي روافـعُ

تـرىٰ اِبـنَ إدريـسَ اَبـنَ عـمِّ محمَّـدٍ ... ضيـاءً إذا مـا أظلـمَ الليـلُ سـاطـعُ

---

(١) ونقله عن الإمام المبجل أحمد ابن حنبل السبكي في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٠٠) ، والسيوطي في « المنهاج السويِّ » (ص/ ٩٥) أيضاً .

مناهجُ فيها للهُدىٰ متصرفٌ   مواردُ فيها للرشادِ شرائعُ
إذا المفظعاتُ المشكلاتُ تشابهتْ   سَما منه نور في دُجاهُنَّ لامعُ
لئن فَجَعَتْنا الحادثاتُ بشخصِهِ   لهن لِما حُكِّمن فيه فواجعُ
فأحكامُهُ فينا بدورٌ زواهرٌ   وآثارُهُ فينا نجوم طوالعُ

وأنشد ابن المقري لبعضهم [من بحر الكامل] :

الشافعيُّ إمامُ كلِّ أئمةٍ   تُربي فضائِلُهُ علىٰ الآلافِ
ختمَ النبوةَ والإمامةَ في الهُدىٰ   بمحمَّدينِ هُما لعبدِ منافِ

أما شعره :

فله « ديوان » رحمه الله تعالىٰ ، جمع فيه من الحماسةِ ، والرصانةِ ، وحسنِ السبكِ معَ الفوائدِ والمواعظِ واللطائفِ ، والحضِّ على فعلِ الخيراتِ ، وتركِ المنكراتِ الشيءَ الكثيرَ ، وهو متداوَلٌ متوافرٌ[1] فلم أرَ حاجةً لأَنْ نوردَ هاهنا مِنْ شِعرهِ خشيةَ الإطالة والملالةِ ، وفي هذا القدرِ كفايةٌ .

وأختتمُ هذه الكلماتِ بالتضرُّعِ إلى اللهِ جلَّ شأنُهُ أَنْ يرحمَنا وأئمتَنا ويغفرَ لنا ذنوبَنا ، ويثبتَ أقدامنا ، ويديمَ إسباغَ رحمتِهِ ونعمتِهِ وغفرانهِ وسَترِهِ علينا وعلىٰ والدِينا ومشايخِنا وجميعِ المسلمين ، وأن يجعلَنا مخلصينَ لوجههِ الكريمِ ، ويتقبلَ أعمالَنا ، وينشرَ نفعَها في جميعِ بلادِ المسلمينَ . آمين .

---

(١) بلغ عدد أبياته : نحو من (٤٥٦) بيتاً وجمعها عددٌ من الناشرين قديماً وحديثاً ، وأخص منهم بالذكر حسين عبد الله باسلامة وسماه : « الجوهر اللَّماع فيما ثبت بالسماع » من حكم الإمام الشافعي المنظومة والمنثورة الثابتة بالأسانيد المأثورة . وهو متداول . ومن ذلك قوله [من بحر الكامل] :

أَكَلَ العُقَابُ بقوةٍ جيفَ الفلا   وجنىٰ الذبابُ الشهدَ وهو ضعيفُ

وقال أيضاً [من بحر الكامل] :

وأحقُّ خلقِ اللهِ بالهمِّ امرؤٌ   ذو همّةٍ يُبْلَىٰ بعيشٍ ضَيِّقِ

الإِمَامُ أَبو إِسْحَاق الشِّيرَازِيّ[1]

صَاحِبُ المهذّب

(٣٩٣هـ - ٤٧٦هـ)

هوَ الإِمامُ المحقِّقُ ، المتقنُ المدقِّقُ ، القدوةُ المجتهدُ ، الناسكُ الزاهدُ ، المُعرِضُ عَنِ ٱلدنيا ، المجانبُ للهوىٰ ، أَحدُ العلماءِ العاملين الصالحينَ ، وعبادِ اللهِ العارفينَ الورعينَ ، المتَّبعينَ لهدي سيِّدِ المرسلينَ ، السائِرُ في الدنيا ذِكرهُ ، العالي في الدِّينِ قَدْرُهُ ، مفتي الدهرِ ، وعلاّمةُ العصرِ ، أَحَدُ أَساطينِ المعارفِ والعوارفِ الجليلاتِ ، ذو الفنونِ منَ العلومِ المتكاثِراتِ ، والتصانيفِ النافعةِ المستجاداتِ ،

---

(١) أورد ترجمته السمعانيُّ في « الأنساب » (٩/ ٣٦١_٣٦٢) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري »(ص/ ٢٧٦_ ٢٧٨) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٩/ ٧_ ٨) و« صفة الصفوة » (٤/ ٦٦_٦٧) ، وابن الأثير في « الكامل » (١٠/ ١٣٢_١٣٣) و« اللباب » (٢/ ٤٥١) ، وابن الصلاح في « طبقات الشافعية » ت : (٨٥) ، والنواوي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٧٢_١٧٤) و« المجموع » (١/ ٢٣_٢٦) و« طبقات الشافعية » ت : (٨٥) ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » (١/ ٢٩_٣١) ، وياقوت الحموي في « معجم البلدان » (٣/ ٣٨١) ، وأبو الفداء في « المختصر في أخبار البشر » (٢/ ١٩٤_١٩٥) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » وفيات[٤٧١_٤٨٠] (ص/ ١٤٩) و« سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٥٢_٤٦٤) و« العبر في أخبار من غبر » (٣/ ٢٨٣_٢٨٤) و« دول الإسلام » (٢/ ٧) ، والدمياطي في « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (ص/ ٤٢_٤٦) ، وابن الوردي في « تتمة المختصر » (١/ ٥٧٣_٥٧٤) ، والصفدي في « الوافي بالوفيات » (٦/ ٦٢_ ٦٦) ، واليافعي في « مرآة الجنان » (٣/ ١١٠_١١٩) ، والسبكي في « طبقات الشافعية » (٤/ ٢١٥_٢٥٦) ، والإسنوي في « طبقات الشافعية » (٢/ ٨٣_٨٥) ، وابن كثير في « البداية » (١٢/ ١٢٤_ ١٢٥) و« طبقات الشافعية » خ : (٩١/ب) ومقدمته على « شرح التنبيه » خ ، وابن قنفذ في « الوفيات » (ص/ ٣٥٦) ، وابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية »(١/ ٢٥١_٢٥٤) ، وابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (٥/ ١١٧_١١٨) ، وطاش كبري زاده في « مفتاح السعادة » (٢/ ٣١٨_٣٢١) ، =

المناظرُ المفضالُ في قوّةِ حُجّةٍ ، الباذلُ نفسَهُ في نُصرةِ دينِ اللهِ والدعوةِ ، شيخُ الإسلامِ ، الذي انتهتْ إليهِ رئاسةُ مذهبِ الشافعيِّ في وقتهِ ، الأشعريُّ ، المتكلِّمُ ، الأصوليُّ ، الموفَّقُ ، الملقَّبُ بـ : جمالِ الدينِ ؛ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ عبدِاللهِ الفيروزآبادي[1] صاحبُ الأَشعارِ الحسنةِ ، والتواليفِ المستحسَنةِ ، بعذوبةِ لفظٍ أحلىٰ منَ الشهدِ بلا شمعهِ ، وجودةِ رصفٍ كأنَّما عناها البحتريُّ بوصفهِ[2] .

= وحسين ديار بكري في « تاريخ الخميس » (٢/ ٣٥٩ـ٣٦٠) ، وابن هداية الله في « طبقات الشافعية » (ص/ ١٧٠ـ١٧١) ، وحاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٣٩٩) وغيرها ، وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (٣/ ٣٤٩ـ٣٥١) ، والبغدادي في « هدية العارفين » (١/ ٨) ، والمراغي في « الفتح المبين في طبقات الأصوليين » (١/ ٢٥٥ـ٢٥٧) ، و« فهرس المخطوطات المصورة » (١/ ٢٤٢ـ٢٩٦و٣٣٣) ، وبروكلمان « تاريخ الأدب » (١/ ٤٨٤) ، ويوسف إليان سركيس في « معجم المطبوعات العربية » (٢/ ١١٧١) ، و« دائرة المعارف الإسلامية » (١٤/ ٢٢ـ٢٣) ، والزركلي في « الأعلام » (١/ ١٥) ، ورضا كحالة في « معجم المؤلفين » (١/ ٤٨) ، ومقدمات مؤلفاته « المهذب » ، و« التنبيه » ، و« التبصرة » ، و« شرح اللُّمع » لعبد المجيد التركي ، ومقدمة « عقيدة السلف » لماري برناند بالفرنسية ، ومقدمة « الإشارة إلى مذهب أهل الحق » (ص/ ٩٣ـ١٦٥) أ . د : محمد الزبيدي .

وقد أفرده بالتأليف الدكتور حسن هيتو في : « الإمام الشيرازي حياته وآراؤه الأصولية » ، وزكريا المصري في « الإمام الشيرازي بين العلم والعمل والمعتقد والسلوك » ، والدكتور محمد عقلة إبراهيم في « الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأثره في الفقه » ، وغيرها .

(١) فيروزآباد ـ بكسر الفاء أو فتحها ـ : هي مدينة جور اليوم ، تقع على بعد (١١٥) كم إلى الجنوب من مدينة شيراز من بلاد إيران الإسلامية .

(٢) أي بقوله من بحر الرجز :

وإذا دجــتْ أقــلامُــهُ ثــمَّ انتهــتْ	بـرقـتْ مصابيـحُ الـدجىٰ فـي كُتْبِـهِ
بــاللَّفــظ يقــرُبُ فهمُــهُ فــي بُعــدِهِ	فُتيـا ويبعــدُ نيلُــهُ فــي قــربـهِ
حِكَــمٌ سحــائبهــا خــلالَ بنــانــهِ	هطّــالــةٌ وقَليبُهــا فــي قلبــهِ
فــالــروضُ مختلــفٌ بحمــرةِ نــورهِ	وبيــاضِ زهــرتــهِ وخضــرةِ عشبــهِ
وكــأنهــا والسمــعُ معقــودٌ بهــا	شخـصُ الحبيـبِ بـدا لعيـنِ محبِّـهِ

السائرةِ مسيرةَ الشَمسِ مِنْ مشرقِها إِلى مغربِها ، لا يَجحدُ فضلَها إِلاَّ متعنِّتٌ مكابرٌ ، ولا يبخسُ حقَّها إِلا حاقدٌ خاسرٌ .

مولدُهُ :

اختُلفَ في سنةِ ولادتهِ ، والأَرجحُ : أَنَّه ولِدَ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ وثلاثِ مئةٍ كما في أكثرِ المصادرِ .

نسبتُهُ :

وينسبُ أبو إِسحاقَ إِلى مسقطِ رأسهِ فيروزآباد ، فيقال لَه : الفيروزآبادي ، ويُعرفُ أَيضاً بالشيرازيِّ وهيَ النسبةُ الأَشهرُ ، لتلكَ المدينةِ المشهورةِ لتلقيهِ العِلمَ بها ، وملازمتِهِ لشيوخِها قَبْلَ رحلتهِ العلميَّةِ إِلىٰ العراقِ ، ويُميَّزُ في كتبِ الشافعيَّةِ ، بالشيخِ أَبي إِسحاقَ لجلالةِ قدرهِ عنِ الأُستاذِ أَبي إِسحاقَ الأصوليّ المتكلِّمِ .

رحلتُهُ العلميةُ وشيوخُه :

نشأَ أَبو إِسحاقَ في فيروزآباد ، وبها بدأَ بتحصيلهِ العلميِّ ؛ إذ علّق فيها عَنْ أبي عبدِ اللهِ محمّد بنِ عُمرَ الشيرازيّ ، وبعدَ أَن آستكملَ ما يُمكنُ تحصيلُه في بلدتهِ أغتربَ ـ متابعاً لطلبه العلمَ ـ إِلىٰ مدينةِ شيرازَ ، وعمرُهُ وقتئذٍ سبعَ عشرةَ سنةً ، وفيها تفقّهَ علىٰ جماعةٍ مِنَ الأَعيانِ ، منهُم :

ـ أَبو أَحمدَ الغندجانيّ عبدُ الرحمٰنِ بنُ الحسينِ علّق عنهُ بشيراز .

ـ أَبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ البيضاويُّ البغداديُّ ت : (٤٢٤) هـ وبيضاءُ مِنْ مدنِ فارس .

ـ أَبو أَحمدَ عبدُ الوهَّابِ بنُ رامين ت : (٤٣٠) هـ .

ـ أَبو عبدِ اللهِ الجلاَّبُ خطيبُ شيرازَ الفقيهُ النظّارُ ، ذكرت ترجمتهُ في « طبقات الفقهاء » (ص/ ١٣٣) .

ـ أَبو الفرَجِ الفاميُّ ت : (٤١٤) هـ . أَخذَ عنهُ المذهبَ الظاهريَّ ، وكانَ يناظرهُ وهوَ صبيٌّ .

ـ وأبو القاسمِ الداركيُّ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللهِ ت : (٣٧٥) هـ .

ـ أَبو القاسمِ منصورُ بنُ عُمرَ الكرخيُّ ، وغيرُهُم .

ثمَّ انصرفَ مرتحلاً إِلىٰ مدينةِ البصرةِ ، فأخذَ عنِ الشيخِ الخرزيِّ ، ولَم تدُمْ إقامتُهُ فيها طويلاً ، ثمَّ قَدِمَ بغدادَ ـ وهي عاصمةُ الخلافةِ العبَّاسيَّةِ إبَّان ازدهارها العلميِّ وأوجِ نضجها الفكريِّ ـ في شوالٍ مِنْ عامِ (٤١٥) هـ ، ويكونُ إِلىٰ وقتِها قد مضىٰ علىٰ طلبهِ في العلمِ خمسةُ أَعوامٍ ، فأتمَّ بها ما بدأَ بهِ مِنَ ٱلدّرسِ والبحثِ .

فأَخذَ الحديثَ عَنْ أَعلامٍ وجهابذةٍ ، منهُم :

ـ أَبو عليٍّ الحسنُ بنُ أَحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ شاذانَ البغداديُّ البزَّارُ المحدِّثُ ت : (٤٢٦) هـ .

ـ أَبو بكرٍ البرقانيُّ أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ الخوارزميُّ صاحبُ « المسنَدِ » ت : (٤٢٥) هـ .

ـ أَبو الفرَجِ الخركوشيّ محمدُ بنُ عبدِاللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عبيدِاللهِ الشيرازيُّ أَخذَ عنهُ الحديثَ ت : (٤٢٢) هـ .

وأَخذَ الفقهَ عَنْ جماعةٍ ؛ منهُم :

ـ أَبو القاسمِ الكرخيُّ منصورُ بنُ عُمَرَ بنُ عليٍّ البغداديُّ ، مِنْ فقهاءِ الشافعيَّةِ صاحبُ « الغنيةِ » في المذهبِ ت : (٤٤٧) هـ .

ـ أَبو عليٍّ الزجَّاجيُّ أَخذَ عنهُ الفقهَ ، وهوَ مصنِّفُ « زيادةِ المفتاحِ » المتوفَّىٰ : (٤٤٧) هـ .

ـ أَبو الطيِّبِ الطبريُّ القاضي المعمّرُ طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ ، أَحَدُ أَعلامِ الشافعيَّةِ ت : (٤٥٠) هـ فانتفعَ بهِ بضعَ عشرةَ سنةً ، نابَ عنهُ في مجلسهِ ، ورتَّبهُ معيداً في حلقتهِ .

ـ أَبو عليٍّ الزجَّاجيُّ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ العبَّاسِ الفقيهُ الشافعيُّ ت : (٤٠٠) هـ .

ـ أبو حاتمِ القزوينيُّ محمودُ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدِ المعروفُ بقوَّةِ المناظرةِ ت : (٤٤٠) هـ .

ـ أبو عليٍّ الهاشميُّ الحنبليُّ القاضي ، حضرَ في حلقتهِ وٱنتفعَ بهِ كثيراً .

ـ رافعُ بنُ نصرِ البغداديُّ الحمّالُ الفقيهُ الأصوليُّ نزيلُ مكَّةَ ، أَخذَ عنهُ وكانَ يُجلّهُ إِجلالَ الوالدِ والشيخِ ت : (٤٤٧) هـ .

اشتغالُهُ بالتعليمِ :

تنامتْ قدراتُ الشيرازيِّ الفكريةُ مع تطلُّعِهِ إلى شأوِ العلىٰ وثباتِهِ علىٰ التحصيلِ والمتابعةِ ، فنالَ إِعجابَ أُستاذهِ أَبي الطيِّبِ ، وٱطمأَنَّ إِلىٰ كفاءتهِ العلميَّةِ ، وتوطدتْ ثقتُهُ بهِ في وقتٍ غيرِ طويلٍ .

فأَخذَ الأُستاذُ يأذنُ لَه بتدريسِ أَصحابهِ في مسجدهِ بعدَ أَن رتَّبهُ معيداً في مجلسِهِ ، فامتثل أَمرَهُ ، وكانَ ذلكَ في سنةِ ثلاثينَ وأربعِ مئةٍ ، ثمَّ ٱختارَ لَهُ أَنْ يُدَرِّسَ في مسجدِ ببابِ المراتبِ ، فلبَّىٰ طلبَ الشيخِ أَبي الطيِّبِ وزاولَ مهنةَ التدريسِ ، وبها يكونُ الشيرازيُّ قد أَنهىٰ فترةَ تلقِّيهِ للعلمِ .

أَخذَ الشيرازيُّ علىٰ نفسهِ بخطَّةٍ صارمةٍ قلَّما يستطيعُها طالبُ علمٍ تَثبُّتاً وتحقُّقاً ، تحدَّثَ عنها فقالَ : كنتُ في تلكَ الفترةِ أُعيدُ كلَّ قياسٍ أَلفَ مرَّةٍ ، فإِذا فرغتُ منهُ . . أَخذتُ قياساً آخَرَ ، وكنتُ أُعيدُ كلَّ درسٍ أَلفَ مرَّةٍ ، فإِذا كانَ في المسأَلةِ بيتٌ يُستشهدُ بهِ . . حفظتُ القصيدةَ . !

وما لبثَ الشيرازيُّ طويلاً في بغدادَ حتَّىٰ ٱشتهرَ أَمرُهُ ، وبَعُدَ صِيتُهُ ، وٱنتشرَ ذِكرُهُ في الأَصقاعِ ، فهرعَ إِليهِ الطلبةُ مِنْ كلِّ حَدبٍ وصَوبٍ ، وشرقٍ وغربٍ ، وأَخذتِ ٱلفتاوىٰ تُحملُ إِليهِ مِنْ جميعِ الجهاتِ ، والفقهُ تتلاطمُ أَمواجُ بحارهِ ولا تستقرُّ إِلا لديه .

صارَ في حياةِ شيخهِ أَبي الطيِّبِ مِنْ أكبرِ الفقهاءِ والأصوليِّينَ البارعينَ المعتدِّينَ في مسائلِ الخلافِ ، حتَّىٰ إِنَّهُ ليحفظُها كما يَحفظُ أَحدُنا الفاتحةَ ، وكانَ غضنفراً في المناظرةِ ، وبارعاً في المحاضرةِ ، لا يُصطلىٰ لهُ بنارٍ ، ولا يشقُّ له غبار ، فَوَجَدَ به رَغْبَةَ الأملِ ، معَ قوَّةِ العارضةِ في البحثِ والجَدَلِ ، فأَرجأ أَمرَهُ إِليهِ في هٰذه الوظائفِ ، ونابَ عنهُ في هاتيكَ المواقفِ ، وقد قدَّمَهُ لذٰلكَ .

قالَ الحافظُ أَبو سعدٍ السمعانيُّ عَنْ أَبي إِسحاقَ :

كانَ إِمامَ الشافعيَّةِ ، والمُدرِّسَ ببغدادَ في النظاميَّةِ ، رحلَ الناسُ إِليهِ مِنَ الأَمصارِ ، وقصدوهُ مِنْ كلِّ الجوانبِ والأَقطارِ ، زاهداً ورعاً ، متواضعاً متخلِّقاً ، ظريفاً كريماً ، سخيّاً جواداً ، طَلْقَ الوَجهِ ، دائمَ البِشْرِ ، حسَنَ المجالَسةِ ، مليحَ المحاوَرةِ ، يحكي الحكاياتِ الحسنةَ ، والأَشعارَ المستبدَعةَ المليحةَ ، ويَحفظُ منها كثيراً ، تفرَّدَ بالعلمِ الوافرِ ، كالبحرِ الزاخرِ ، معَ السيرةِ الجميلةِ ، والطريقةِ المَرضِيَّةِ ، جاءَتْهُ الدنيا فأَباها ، واَطَّرحها وقلاَها . وكانَ يُضربُ به المثلُ في الفصاحةِ والمناظرةِ ، وأَقربُ شاهدٍ علىٰ ذٰلكَ قولُ سَلاَّرٍ العقيلي أَوحدِ شعراءِ عصرِهِ [من الطويل] :

كفـانـي إذا عَـنَّ الحـوادثُ صَـارمٌ ... يُنيلُنِـيَ المـأمـولَ بـالإِثْـرِ والأَثَـرْ
يَقُـدُّ ويَفـري فـي اللِّقـاءِ كـأَنَّـهُ ... لسانُ أَبي اسحاقَ في مجلس النظَرْ

حتَّى ذكَروا : أَنَّه يَجري مَجرىٰ اَبن سُريجٍ في تأَصيلِ الفقهِ وتفريعهِ ، ويحاكيهِ في اَنتشارِ الطلبةِ في الربعِ العامرِ جميعهِ .

وقال التاج السبكيُّ في « الطبقاتِ الكبرىٰ » :

كانَ الشيخُ أَوَّلاً يُدرِّسُ في مسجدٍ ببابِ المراتبِ إِلىٰ أَنْ بنىٰ لَه الوزيرُ نِظامُ الملكِ الحسنُ بنُ عليٍّ ت : (٤٨٥) هـ . المدرسةَ النظاميَّةَ[1] علىٰ شاطىءِ دِجلةَ ، فاَنتقلَ

---

(١) المدرسة النظامية تعدُّ أوَّل مدرسة عامَّة أنشئت كجامعة تضمُّ كليات رفيعة المستوى في بغداد ، وعمل فيها إلى أن أدركته المنيَّة .

إِليها ودرَّسَ فيها بعدَ تمنُّعٍ شديدٍ في يومِ السبتِ مستهلِّ ذي الحجةِ سنةَ تسعٍ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ .

زهدُهُ وسلوكُهُ :

كانَ مثالَ الورعِ المتينِ ، وسالكاً سبيلَ المُتَّقِينَ ، علىٰ سَنَنِ السادةِ السالِفينَ ، ولا يُنكَرُ تقلُّبُ وجههِ في الساجِدِينَ ، ولا قيامُهُ في جوفِ الدجىٰ والنجومُ مِنَ الشاهِدينَ كما قيل من [بحر البسيط] :

يَهوىٰ الدَّيَاجِي إِذا المَغْرُورُ أَغْفَلَهَا　　　كأَنَّ شُهْبَ الدياجي أعينٌ نُجُلُ

وقالَ القاضي محمَّدُ بنُ محمَّدٍ الماهانيُّ : إمامانِ ما اتفقَ لهُما الحجُّ : الشيخُ أَبو إِسحاقَ الشيرازيُّ ، وقاضي القضاةِ أَبو عَبدِاللهِ الدامغانيُّ ، فأَمَّا الشيخُ أَبو إِسحاقَ : فما كانتْ لَه ٱستطاعةُ الزادِ والراحلةِ ، ولٰكنْ لَو أَرادَ الحجَّ . . لحملوهُ علىٰ الأحداقِ إِلىٰ مكَّةَ ، والدامغانيُّ : لو أَرادَ أَنْ يَحجَّ على السندسِ والإستبرقِ . . أَمكنَهُ ، ومعَ ذلكَ ما حجّا .

قالَ القاضي أَبو العبَّاسِ الجرجانيُّ : كانَ أَبو إِسحاقَ لا يملكُ شيئاً مِنَ الدنيا ، فبلغَ بِهِ الفقرُ حتَّى لا يَجدُ قوتاً ولا ملبساً . وكُنَّا نأتيهِ وهوَ ساكنٌ في القطيعةِ ، فيقومُ لنا نصفَ قومةٍ ليسَ يعتدلُ قائماً مِنَ العُري ؛ لكي لا يظْهرَ منهُ شيءٌ .

وقيلَ : كانَ إِذا بقيَ مدَّةً لا يَأكلُ شيئاً . . جاءَ إِلىٰ صديقٍ لَه باقلانيٍّ ، فكانَ يثردُ لَه رغيفاً ويُثَرِّيهِ بماءِ الباقِلاءِ ، فربَّما أَتاهُ وكان قد فرغ من بيعِ الباقِلاءِ فيقفُ أَبو إِسحاقَ ويقولُ : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ [النازعات: ١٢] ويَرجعُ .

فقدْ كانَ الشيخُ فقيراً صابراً ، حَسَنَ المجالَسةِ ، غايةً في الورَعِ والتشدُّدِ في الدِّينِ ، طَلْقَ الوجهِ ، محاسنُهُ أَكثرُ مِنْ أَنْ تُحصرَ ، وخطُّهُ في غايةِ الرداءَةِ .

وقالَ أَبو بكر ابنُ الخاضبةِ : كانَ ٱبنُ أَبي عقيل يبعثُ مِنْ صُورَ إِلىٰ الشيخِ أَبي إِسحاقَ البدلةَ والعِمامةَ المُثْمَنَةَ فكانَ لا يَلبَسُها إِلاَّ بعدَ أَنْ يَغْسلَها ، ويَقصدُ طهارَتَها .

أقولُ : لَعلَّهُ لا يُريدُ لبسَها إلاَّ بعدَ إزالةِ جمالِها ورونقِها ، أو خشيةَ الخُيلاءِ ، أَوِ ٱستبقاءَ لحالهِ علىٰ مظهرِ زهدهِ وفقرهِ الذي ٱعتادَهُ ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ .

وقالَ أيضاً : إِنَّهُ كانَ مُستجابَ الدعوةِ ، وكانَ حريصاً على أن يصلِّيَ ركعتينِ عندَ فراغِ كلِّ فصلٍ مِنَ « المهذَّبِ » .

وخرجَ يوماً مِنَ ٱلمسجدِ ليتغدَّىٰ فنسيَ ديناراً ، ثمَّ ذَكرهُ ، فرجعَ ، فوجدَهُ ، ففكَّرَ وقالَ : لعلَّهُ وقع مِنْ غيري ، فتركَهُ . قالَ السُّبكيُّ : هٰذا هو الوَرَعُ والزهدُ ، هٰكذا . . هٰكذا ، وإلاَّ فلا . . لا ، وٱنتفعَ بهِ الكثيرُ .

تلاميذه :

قالَ الشيخُ أبو إسحاقَ الشيرازيُّ : ما دخلتُ بلدةً ولا قريةً إلاَّ وكانَ قاضيها أَو مفتيها أَو خطيبُها تلميذي أَو مِنْ أَصحابي . وكانَ كثيرٌ مِنْ طلابهِ أَعلاماً مبرِّزينَ في الفنونِ والعلومِ ، نذكرُ ثُلَّةً منهُم :

ـ أَحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الحافظُ أَبو بكرٍ الخطيبُ البغداديُّ ت : (٤٦٣) هـ وقالَ عنهُ : هٰذا دارقطنيُّ عصرِنا .

ـ سليمانُ بنُ خلفِ بنِ سعدونَ أَبو الوليدِ الباجيُّ القرطبيُّ ت : (٤٧٤) هـ أَخذَ عنهُ الأصولَ والفقهَ .

ـ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بن الحسينِ أَبو بكرٍ الشاشيُّ ت : (٥٠٧) هـ لازمَ أَبا إِسحاقَ وصارَ معيداً لدرسهِ .

ـ أَبو العبَّاسِ أَحمدُ بنُ سلامةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الرطبيّ ت : (٥٢٧) هـ مِنْ أَعلامِ الشافعيَّةِ .

ـ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ القاضي الجرجانيُّ أَبو العبَّاسِ ت : (٤٨٢) هـ مِنْ أَعيانِ الشافعيَّةِ .

ـ الحسينُ بنُ عليِّ أَبو عبدِ اللهِ الطبريُّ ، نزيلُ مكَّةَ ومحدِّثُها ت: (٤٩٨) هـ أَخذَ عنهُ الفقهَ وَدرَّسَ بالنظاميَّةِ .

ـ أَبو الحسنِ العبدريُّ البغداديُّ عليُّ بنُ سعيدِ بنِ عبدِ الرحمٰنَ ت : (٤٩٣) هـ تفقَّه بهِ .

ـ أبو القاسمِ الخِرَقيُّ عبدُ الرحمٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ ثابتٍ ت : (٤٩٥) هـ .

ـ أَبو سعدٍ يحيىٰ بنُ عليٍّ البزازُ المعروفُ بابنِ الحلوانيِّ ت : (٥٢٠) هـ .

ـ محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ المظفَّرِ أَبو بكر الشهرزوريُّ ت : (٥٣٨) هـ .

ـ أَبو المظفَّرِ البَروجردي شبيبُ بنُ الحسينِ بنِ عبيدِالله القاضي ت : (٥٣٤) هـ .

ـ عبدُ الجبَّارِ بنُ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ أَبو منصورٍ العكبريُّ ت : (٥٣٥) هـ صَحبهُ وخدمَهُ .

ـ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ الأَسديُّ أَبو الحسنِ العكبريُّ ت : (٥٣٥) هـ تفقَّه عليهِ .

ـ يوسفُ بنُ أَيوبَ الهَمْدانيُّ الزاهدُ ت : (٥٣٥) هـ تفقَّه عليهِ .

ـ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ منصورٍ أَبو البدرِ الكرخيُّ ت : (٥٣٩) هـ قرأَ عليهِ الفقهَ وصحبَهُ .

ـ محمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ أَبو الحسنِ الواسطيُّ ت : (٤٩٨) هـ تفقَّه عليهِ .

ـ أَبو الفضائلِ الربعيُّ محمَّدُ بنُ أَحمد بنِ عبدِ الباقي ت : (٤٩٤) هـ تفقَّه عليهِ .

ـ وآخرونَ كإسماعيلَ ابنِ السمرقندي ، وَأَحمدَ بنِ محمَّدٍ الطوسيِّ ، وأَبي الحسنِ بنِ عبدِ السلامِ ، ومحمَّدِ بنِ أَبي نصرٍ الحميديِّ ، وأَبي الغنائمِ الفارقي ، وأَبي الفتح البروجرديِّ ، ومحمَّدِ بنِ حمزةَ العلويِّ ، وإبراهيمَ الشحّاذيِّ ، وأَبي القاسمِ الحسنِ بنِ الفتحِ الهمذانيِّ ، وأَحمدَ بنِ نَصرِ بنِ حمدانَ الهمدانيِّ ، وهوَ خاتمةُ مَنْ روىٰ عنهُ .

مؤَلَّفاتُهُ :

وكانتْ تصانيفُهُ كلُّها مبارَكةً مفيدةً ، اعتنىٰ بِشأْنِها أكابِرُ الأَئمَّةِ مِنَ الراسخينَ ففي الفقهِ :

● « **التنبيه** » : وهوَ كتابٌ لطيفٌ مختصرٌ مِنْ أَكثرِ الكتبِ تداولاً وشرحاً وحفظاً وتعليقاً وتدليلاً ، وقيل : إنه اختصره من « تعليقة » شيخه أبي حامد ـ وهي ثمانية عشر مجلداً ـ ويحتوي على اثني عشر ألف مسألة .

بدأَ بتصنيفهِ في رمضانَ سنة (٤٥٢) هـ وٱنتهىٰ منهُ في شعبانَ عامِ (٤٥٣) هـ ذَكرَ له صاحبُ « كشف الظنون » ثلاثةً وأَربعينَ شرحاً ، وعَشْرَ مختصراتٍ ، وخمسَ نكاتٍ ، وستَّ منظوماتٍ . ومدَحَهُ كثيرونَ .

قالَ عنهُ أَبو الخطَّابِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمٰنِ رحمه الله [من البسيط] :

سَقياً لمَنْ صنَّفَ التنبيهَ مختصِراً ... أَلفاظَهُ الدرَّ وٱستقصىٰ معانيهِ
إنَّ الإِمامَ أَبا إسحاقَ صنَّفَهُ ... للهِ والدِّينِ لا للكبرِ والتيهِ
رأىٰ علوماً عَنِ ٱلأفهامِ شارِدةً ... فحازها ٱبنُ عليٍّ كلَّها فيهِ
بقيتَ للشرعِ إبراهيمُ منتصِراً ... تَذودُ عنهُ أَعاديهِ وتحميهِ

وقيلَ فيهِ أَيضاً [من الكامل] :

يا كوكباً ملأ البصائرَ نورُهُ ... مَنْ ذا رأَىٰ لكَ في الأَنامِ شبيهاً
كانتْ خواطِرُنا نياماً بُرهةً ... فرُزِقْنَ مَنْ تنبيههِ تنبيهاً

● ـ « **المهذَّبُ** » : وهوَ كتابٌ جليلُ المقدارِ ، عظيمُ الاعتبارِ ، استقصى الفروعَ مع أدلَّتِها ، بترتيبٍ لم يعرِّجْ على مثالِهِ ، ولم يُنسَجْ في فقهِ الشافعيِّ على مِنوالِهِ ، قيلَ في سببِ تصنيفهِ : إنَّه بلغَهُ أَنَّ ٱبنَ الصبَّاغِ قالَ : إذا ٱصطلحَ الشافعيُّ وأبو حنيفةَ ذَهبَ علمُ أَبي إسحاقَ الشيرازيِّ . يريد بذلكَ : أَنَّ عِلمَهُ بمسائلِ الخلافِ ، فإذا ٱتفقا ٱرتفعَ عِلمُهُ ، فَأَثارَ حفيظةَ أَبي إسحاقَ ، فعكفَ علىٰ تأليفهِ ؛ لِيُثْبِتَ تمكُّنَهُ وقدرَتَهُ .

وحكىٰ ٱبنُ سَمرةَ في « طبقاتِ التميز » : أَنَّ الشيرازيَّ صنَّفَ « المهذَّبَ » مراراً ، فلَمَّا لَم يُوافق مقصودَهُ رمىٰ بهِ في دِجلةَ ، ثمَّ أَجمعَ رأيَهُ علىٰ النسخةِ المجمَعِ عليها .

بدأَ بتصنيفهِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وأَربعِ مئةٍ ، وفرغَ منهُ في يوم الأَحدِ آخِرَ رَجبٍ مِنْ عامِ تسعٍ وستِّينَ وأَربعِ مئةٍ .

فكانَ هٰذا الكتابُ على أَتمِّ صورةٍ في مجالِ التحدِّي الذي يَنفي مقولةَ ٱبنِ الصبَّاغِ ، ولشدَّةِ إعجابهِ وشَغَفهِ بهِ قالَ : لَو عُرضَ هٰذا الكتابُ « المهذَّبُ » علىٰ رسولِ الله ﷺ لقالَ : هٰذهِ شريعتي التي أَمَرتُ بها أُمتي[1] .

وقيلَ في مدحهِ [من الطويل] :

رفعتَ عمادَ الدِّينِ بعدَ ٱنخفاضِهِ	وأَحييتَ شرعاً للورىٰ بالمهذَّبِ
يُرىٰ الحقُّ فيهِ واضحاً وكأَنَّما	هوَ الدُّرُّ إِلاَّ أَنَّه لمَ يُثَقَّبِ
يَروقُ ٱقتباسُ المجدِ وهوَ مشيَّدٌ	لديكَ وقد أَظهرتَ كلَّ مغيَّبِ
فِعالُ بني الدنيا تَؤولُ إِلىٰ الفَنا	وفِعلُكَ باقٍ مِثلُ لأْلاءِ كوكبِ
فعِشْ ما بدا ضوءُ النهارِ وما غدا	يَتوبُ إِلىٰ ربِّ الورىٰ كلُّ تائبِ

---

(١) فائدة : عن الإمام أحمد بن حسن العطّاس في « تذكير الناس » (ص/ ٣٩) : قال أهل العلم : في « المهذَّب » أربعون ألف مسألة بدليلها وتعليلها ، ومن كلام الشيخ عبد الرحمن السقاف : من لم يقرأ « المهذَّب » لم يعرف قواعد المذهب ، وقال الشيخ إسماعيل الحضرمي ولما وصل إليَّ كتاب « المهذب » وقرأنا فيه رقدت فرأيت أبا إسحاق مؤلفه داخلاً عليَّ ، فقلت له : شكر الله سعيكم على جمعكم كتاب « المهذب » وما أودعتموه فيه من الدليل والتعليل إلا أنكم قد تحكون القولين أو الوجهين ولا تبيِّنون الراجح من المرجوح ، وإن طلبة العلم الآن ما تطمئن بواطنهم إلا بحكاية ذلك ، فقال أبو إسحاق : هذه صفة لأهل التحكم في الدين ، ونحن نقلنا لكم كما نقلنا .

وهنا يجدر أن يقال : ينبغي لِمَن يُسأل عن فتوى أن يعطيَ جواباً شافياً بيِّناً لا مرية فيه ولا لَبس ؛ لأن السائل يأخذه للعمل والتطبيق ، ولا تصحُّ الإجابة أبداً بقول : في المسألة خلاف أو قولان ، ونحو ذلك ، فلزم أن يجزم بما هو راجح لديه كالقاضي ، أو يمسك عن الإجابة ويرشده إلى عالم خبير بشأنها ، أو يقول : لا أعلم ، والله أعلم .

وقد حفظَ « المهذبَ » عددٌ غيرُ قليلٍ عن ظهرِ قلبٍ منهم العمرانيُّ والنواويُّ وغيرهما لعظيمِ شأنِهِ ووفرة مسائلِهِ وعذوبةِ ألفاظهِ ، لذلك رأينا أنه قامَ مِنْ بعدهِ أَجِلَّةُ أَهْلِ العِلمِ فاعتنَوا بشرحهِ ، واختصارهِ ، وبيانِ غريبِ أَلفاظهِ ، ومشكلاته ، وتخريجِ أَحاديثهِ ، وقد أَحصىٰ عدداً منهُم صاحب « كشف الظنون » و د . حسن هيتو وغيرهما ، وإِليكَ بعضاً مِنْ ذَلكَ علىٰ حسبِ وفياتِهِم ؛ لأنه يصعب حصرها واستقصاؤها :

فمِمَّنْ شَرحَهُ :

(٥٥٨) هـ يحيىٰ بنُ سالمٍ أَبي الخير العمرانيُّ ، الذي حفظَهُ وجمعَ زوائدَهُ وشرحَ غريبه في « البيان » ، وهو كتابنا هذا ولله الحمد والمنة .

(٥٨٥) هـ أَبو سعدٍ عبدُاللهِ ابن عصرون في « المذهَّب في غريبِ المهذَّب » .

(٥٩٦) هـ أبو إِسحاقَ إِبراهيمُ بنُ منصورِ بن المسلم العراقيُّ الشافعيُّ ، شرحه في عشرة أجزاء متوسِّطة .

(٦٠٠) هـ أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلي له « شرح المهذب » .

(٦٠٢) هـ ضياءُ الدِّينِ أَبو عمرٍو عثمانُ بنُ عيسىٰ الهدبانيُّ المارانيُّ بـ : « الاستقصاءِ لمذاهبِ العلماءِ الفقهاءِ » وصل فيه إلى كتاب الشهادة في عشرين مجلداً ، ولم يكملْه .

(٦٣٠) هـ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ بَطَّالٍ الركبيُّ بـ : « النظم المستعذَب في شرحِ غريبِ المهذَّبِ » .

(٦٥٥) هـ عمادُ الدِّينِ إسماعيلُ بنُ هبةِ اللهِ المعروف بابنِ باطيشَ بـ : « المغني » في شرحِ غريبِ « المهذَّبِ » .

(٦٦٥) هـ يعقوبُ بنُ عبدِالرحمٰنِ بنِ أَبي عصرون بـ : « مسائلُ علىٰ المهذَّبِ » .

(٦٧٦) هـ إسماعيلُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِالله الحضرميّ أبو الذبيح بـ : « شرحُ المهذَّبِ » .

(٦٧٦) هـ الإمامُ محيي الدِّينِ أَبو زكريا يحيىٰ بنُ شرفٍ النواويُّ في « المجموعِ » وصَلَ فيهِ إلىٰ أَبوابِ الرِّبا في تسعِ مجلَّداتٍ .

(٧٥٦) هـ الإمامُ تقيُّ الدِّينِ بنُ عبدِ الكافي السُّبكيُّ صنَّفَ في « تكملةِ المجموعِ » ثلاثةَ مجلَّداتٍ ، ولم يوافقِ الأصلَ ، ولَم يُكملْهُ .

(٧٦٩) هـ الشهابُ أَحمدُ بنُ لؤلؤ بنِ النقيبِ أَكملَ « المجموعَ » كما أشارَ إلىٰ ذٰلكَ السخاويُّ . وسمَّاه : « التوشيح المُذْهَب في تصحيح المهذَّب » مخطوط في دار الكتب .

(٧٧٨) هـ إسماعيلُ بنُ خليفةَ بنِ عبدِ العالِ الحسباني .

(٨٠٥) هـ السراجُ البُلقينيّ في « النّبوغُ في تكملةِ المجموعِ » .

(٨٠٦) هـ الزين العراقي . ذكره السخاوي .

(٨٢٦) هـ الشوكانيُّ ، وولدُهُ أَحمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ . ذكرهما السخاوي .

(٩١١) هـ جلالُ الدينِ السيوطيُّ ، صنف كتاب : « الكافي في زوائد المهذب على الوافي » .

الفاربي في « الاستقصاءِ » في شرح « المهذَّبِ » . ذكره السبكي .

أَبو العبّاسِ أَحمدُ بنُ عيسىٰ وله « الوافي بالطَّلَبِ في شرحِ المهذَّبِ » . ذكره السبكي في مقدمته .

وقد أكمل « المجموع » بعد السبكي عدد من أهل العلم والدراية وطبع وصار متداولاً أذكر منهم : نجيب المطيعي ، د . محمود مطرجي .

وممَّنْ شرحَ غريبَهُ :

الإمامُ أَبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ أَبي عليٍّ الشافعيُّ ، له : « اللَّفظُ المستغربُ في شواهدِ المهذَّبِ » شَرحَ فيهِ مشكلاتِ أَلفاظهِ .

(٥٢٨) هـ الشيخُ أَبو عليٍّ حسنُ بنُ إبراهيمَ الفارقيُّ، وله: « فوائدُ المهذَّبِ ».

(٥٥٨) هـ الشيخ أبو الحسين العمرانيُّ يحيى بن سالمٍ ، له : « بيانُ ما أشكلَ مِنَ المهذبِ » و« ردُّ السؤالِ عمَّا في المهذَّبِ » ، وهوَ صاحبُ كتابِ « البيانِ » .

(٦٢٩) هـ الإمامُ صائنُ الدِّينِ عبدُ العزيزِ بن عبدِ الكريمِ الجيليُّ ، وله : « الموضحُ » في شرح « التنبيه » .

(٦٣٠) هـ الشيخُ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ أَبي عليٍّ القلعيُّ في « المستغربُ في المهذَّبِ » . و« كنزُ الحفَّاظِ في غرائبِ الأَلفاظِ » يعَني أَلفاظَ « المهذَّبِ » .

أَبو القاسمِ عُمرُ بنُ محمَّدٍ الجزريُّ ، لَه : شرحٌ في « مشكلاتِ المهذَّبِ »

الإمامُ أَبو الحَسنِ عليُّ بنُ قاسمِ الحَليميُّ ، له : « شرحُ مشكلاتِ المهذَّبِ » . ذكره السبكي .

أبنُ معنٍ في « التعقيب على المهذب » . ذكره السبكي .

الشيخُ أَبو محمَّد بنُ عبدِ اللهِ بنِ يحيىٰ الصعبيّ ، له : « غايةُ المفيدِ ونهايةُ المستفيدِ في احترازاتِ المهذَّبِ » . ذكره السبكي .

جمال الدين البدري وله كتاب « المؤاخذات » . ذكره السبكي .

ابن الدُّري وله كتاب « تفسير مشكلات المهذب » . ذكره السبكي .

وممن نكَّت عليه :

(٦٧٠) هـ حمزة بن يوسف الحموي في كتابه : « المتهب » في الرد على « التنكيت » ، وله : « إزالة التمويه في مشاكل التنبيه » ، وسمَّاه : « المبهت » .

وممن اختصره :

(٦٥٢) هـ عبدُ الحميدِ بن عيسى الخروشاهي التبريزيُّ المتكلمُ . ذكره في « كشف الظنون » .

(٦٩٤) هـ الشيخ محبُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الطبريُّ في مجلدين سماه : « الطراز المذهب » . ذكره في « كشف الظنون » .

ممَّنْ صنَّفَ في شواهدِهِ وأَدلَّتِهِ :

حشد المؤلِّفُ في « المهذَّبِ » للاحتجاج والتدليلِ ـ للأقوال والأوجه كشأن عامَّة الفقهاء ـ كثيراً من الأحاديثِ الصحيحةِ والحسنةِ والضعيفةِ بفروعها ويذكر الإسنادَ والصحابي أحياناً ، وتارةً يغفلهما ، ويكتفي بالمتنِ أحياناً ممَّا يوقعُ القارىءَ في حيرةٍ أحياناً ، فاستدرك ذلك عليه الشرَّاح السالف ذكرهم وكذا المخرِّجون الذين بيَّنوا بعزوهم وحكمهم صحيح الدليل ومعلوله أذكر منهم :

(٥٨٤) هـ أَبو بكرٍ محمَّدُ بنُ موسىٰ الحازميُّ ، وقد تكلَّم عَلىٰ أَحاديثِهِ .

(٦٣٠) هـ أَبو عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ أَبي عليٍّ القلعي ، وله : « تجريدُ شواهدِ المهذَّبِ » . ذكره السبكي .

(٧٤١) هـ محمَّدُ بنُ عبدِ المنعمِ المعروفُ بابنِ المعينِ المنفلوطيّ ، وله : « الطرازُ المذَهَّبُ في الكلامِ علىٰ أَحاديثِ المهذَّبِ » .

(٨٠٤) هـ سراجُ الدِّينِ عُمرُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنِ الملقّنِ ، وله : « المحررُ المُذَهَّبُ في تخريجِ أَحاديثِ المهذبِ » .

وأخيراً يقال لمن يبخس حقَّ مكانة هذا المؤلَّف القيِّم : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ [ق : ٢٢] .

● ـ « **تذكرة المسؤولين** » في الاختلافِ بينَ الشافعيَّةِ والأحنافِ . ذكرهُ حاجي خليفة في « كشف الظنون » (ص/٢٨٤٨) .

مؤلَّفاتُهُ في الأُصولِ :

● ـ « **التبصرةُ** » : كتابٌ فريدٌ في موضوعهِ ، وضَعَهُ للخاصَّةِ منهُم . قامَ بتحقيقهِ د . حَسن هيتو ، طُبِعَ عام (١٤٠٠) هـ .

● ـ « اللُّمَع » : كتابٌ مختصرٌ أَوجزَ فيهِ مسائلَ هٰذا العِلمِ . ٱعتنىٰ بهِ العلماءُ فشرَحوهُ ، وزادَ عددُهُم عَنْ سبعةَ عشرَ شرحاً .

● ـ « شَرحُ اللُّمع » : شرحَ فيهِ كتابَهُ في مجلَّدَيْنِ ، والتزمَ فيهِ بأَنْ يَعرِضَ مسائلَهُ بذكرِ رأيِهِ أَوَّلاً ، ثمَّ يذكرَ آراءَ المخالِفينَ فيردَّ عليها . طُبِعَ الجزءُ الثانيْ منهُ بتحقيقِ عبدِ المجيدِ تركي عام : (١٣٩٩) هـ .

● ـ « القياسُ » : ذكرَهُ في « الملخَّصِ » بعِلمِ الجدلِ .

● ـ « تلخيصُ عِللِ الفقهِ » : ذكرهُ بروكلمان في « تاريخِ الأَدبِ العربي » وأَنَّه موجودٌ في مكتبةِ برلينَ تحت رقمِ (٤٩٨٠) .

قالَ أَبو الخطَّابِ رحِمَهُ اللهُ عَنْ مؤلَّفاتِهِ وخصوصاً كتبُ الأُصولِ [من البسيط] :

أَضْحَتْ بفَضلِ أَبي إِسحاقَ ناطقةً ... صحائفٌ شَهِدتْ بالعلمِ والوَرَعِ
بها المعاني كسِلكِ ٱلعقدِ كامنةٌ ... واللَّفظُ كالدُّرِّ سَهلٌ جِدُّ ممتنعِ
رأىٰ العلومَ وكانتْ قَبلُ شارِدةً ... فحازَها الألمعيُّ الندبُ في « اللُّمعِ »
لا زالَ عِلمُكَ ممدوداً سُرادقُهُ ... علىٰ الشريعةِ منصوراً علىٰ البِدَعِ

وقال أبو الحسن القيروانيُّ [من البسيط] :

إِنْ شئتَ شرعَ رسولِ اللهِ مجتهداً ... تُفتي وتَعلَمُ حقّاً كلَّ ما شُرِعا
فاقصدْ هُديتَ أَبا إِسحاقَ مغتنِماً ... وٱدْرُسْ تصانيفَه ثمَّ ٱحفظِ « اللُّمعا »

مؤلَّفاتُهُ في الخلافِ والجَدَلِ والمناظَرَةِ :

● ـ « الملخَّصُ » ويُقالَ لَه : « التلخيصُ » : قالَ في مقدِّمتهِ : لمَّا رأيتُ النظرَ أَقوىٰ طريقٍ يُدرَكُ به العِلمُ ويُعرفُ بهِ الحقُّ . دَعتني نفسي إلىٰ تصنيفِ كتابٍ ملخّصٍ في الجَدَلِ أُبيِّنُ فيهِ رسومَهُ وأحكامَهُ .

● ـ « المعونةُ » : صنَّفَهُ بعدَ الملخَّصِ ، وبَسَّطَهُ ليكونَ معونةً للمتبدي وتذكرةً للمنتهي . طبع في دار الغرب الإسلامي ، وحققه عبدالمجيد تركي سنة (١٤٠٨) هـ .

● ـ « النُّكَتُ في المسائلِ المختلَفِ فيها بينَ الإمامَينِ الشافعيِّ وأَبي حنيفَةَ » : يُوجدُ في مكتبةِ أَحمدَ الثالثِ برقم (١١٥٤) . ويُقالُ لَه : « النُّكَتُ في علمِ الجَدَلِ » .

● ـ « نُكتُ المسائلِ المحذوفِ منها عيونُ الدلائلِ » ذَكَرَهُ ٱبنُ الورديِّ في « تتمَّةِ المختصرِ » ، وأَشارَ إليهِ د . هِيتو .

● ـ « المناظراتُ » : وفيهِ دوَّنَ مناظَراتهِ معَ فقهاءِ عصرِهِ ، كإمامِ الحرمينِ عبدِ الملكِ الجوينيِّ في مسأَلةِ إِجبارِ البِكرِ ، وعمَّنِ ٱجتهدَ في القِبلةِ وصلَّىٰ ثمَّ تبيَّنَ الخطأَ . ومع شيخ الأحنافِ أَبي عبدِالله الدامغانيِّ في مسألةِ الذميِّ إذا أَسلمَ ، هلْ تَسقطُ عنهُ الجزيةُ ؟ وعَنِ الإعسارِ في النفقةِ ، هلْ يُوجبُ الخيارَ للزوجةِ ؟ .

مؤلَّفاتُهُ في الحديثِ والتراجمِ والعقيدةِ وغيرِها :

● ـ « ملَخصٌ في الحديثِ » : تُوجدُ نسخَةٌ منهُ في المكتبةِ الوطنيةِ بباريسَ ضمنَ مجموعةٍ برقمِ (١٣٩٥) ، وأوردَ لهُ السُّبكيُّ في « طبقاتهِ » (٢٢٩ـ٢٣٠) مِنْ فوائدهِ الحديثيَّةِ مِنْ طريقِ خميسِ الحَوزيِّ إملاءً قالَ : أَخبرَنا أَبو إِسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ شيخُ الشافعيينَ ببغدادَ ، ثَنا أَبو بكرٍ أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ غالبٍ البرقانيُّ ، ثنا أَبو العبَّاسِ أَحمدُ بنُ حمدانَ النيسابوريُّ الحافظُ ، ثنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ البوشنجيُّ ، ثنا يَحيىٰ بنُ عبدِ الله بنِ بُكيرٍ ، ثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ السكندريُّ ، عَنْ موسىٰ بنِ عقبةَ ، عَنْ عبدِ الله بنِ دينارٍ ، عَنِ ٱبنِ عُمَرَ قالَ : كانَ مِنْ دعاءِ رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ مِنْ زوالِ نعمتِكَ ، وتحوُّلِ عافيتِكَ ، ومِنْ فجأَةِ نقمتِكَ ، ومِنْ جميعِ سخطِكَ وغضبِكَ » . صحيحٌ ٱنفردَ مسلمٌ بإخراجهِ في « صحيحه »[٢٧٣٩] عن أبي زرعةَ الرازيِّ الحافظِ ، عَنْ يحيىٰ بنِ عبدِ الله بنِ بكيرٍ ، كما أَخرجْناهُ .

● ـ « طبقاتُ الفقهاءِ » : ترْجمَ فيهِ لبعضِ الصحابةِ والتابعينَ وفقهاءِ المذاهبِ الأَربعةِ وداودَ وأَصحابِهم . حقَّقهُ وقدَّمَ لَهُ د . إِحسان عبَّاس ، وهوَ أَحدُ المصادرِ المهمةِ .

● ـ « **عقيدةُ السلفِ** » : نسبَهُ إليهِ المرتضى الزبيديُّ في « إتحاف السادةِ المتقّين » (٣/٢) ، ومنهُ نسخةٌ في المكتبةِ الوطنيةِ بباريسَ ضمنَ مجموعٍ برقم (١٣٩٦) عشرُ لوحاتٍ ، وقد نشرَهُ عبدُ المجيدِ تركي في مقدّمةِ كتاب : « المعونةُ في الجدلِ » .

● ـ « **الإشارةُ إلىٰ مذهبِ أهلِ الحقِّ** » : وذكرَهُ أيضاً الزبيديُّ في « الإتحافِ » (٣/٢) ، وحاجي خليفة في « كشفِ الظنونِ » بعنوان : « عقيدةُ أَبي إِسحاقَ » ، وثانيةً باسمِ : « عقائدُ الفيروزآباديّ » ، وقد طُبعَ هٰذا الكتابُ بتحقيقِ الدكتور محمَّد الزبيدي .

● ـ « **نُصحُ أَهلِ العِلمِ** » : ذكرَهُ التاجُ السُّبكيُّ في « طبقاتهِ » ، وطاش كُبري زاده في « مفتاحُ السعادةِ » (٢٨٩/٢) . ونُشِرَ باسمِ : « **رسالةُ الشيرازيِّ في علمِ الأخلاقِ** » ، وبعنوانٍ آخرَ هوَ : « **الطبُّ الروحانيُّ** » .

● ـ « **الحدودُ** » : يَبحثُ في التعريفاتِ الفقهيَّةِ وأُصولهِ ؟ ذهبَ إِلىٰ هٰذا د . محمَّد حَسن هيتو حيثُ وُجدَ في مخطوطِ « البحر المحيطِ » للزركشيِّ منقولاً عن الشيرازيِّ يُعرِّفُ فيهِ الفقيهَ والدليلَ ، والكتابُ في عدادِ المفقودِ منَ ٱلكتبِ ، واللهُ أَعلمُ .

نظمُهُ للشعر :

لم ينفكَّ شعره عن طريقةِ الفقهاءِ ، وفيهِ إشاراتٌ إلىٰ جوانبَ مختلفةٍ تدلُّ علىٰ ضروبٍ مِنْ نشاطاتهِ العلميَّةِ والوعظيَّةِ ، فمنها قولُهُ [من الوافر] :

سـألـتُ النـاسَ عَـنْ خِـلٍّ وفـيٍّ   فقـالـوا مـا إلـىٰ هٰـذا سبيـلُ

تمسَّـكْ إِنْ ظفـرتَ بِـوُدِّ حُـرٍّ   فـإِنَّ الحـرَّ فـي الـدنيـا قليـلُ

وقال أيضاً [من البسيط] :

لبِسْتُ ثوبَ الرجا والناسُ قد رقدُوا   وقمتُ[1] أَشكو إِلىٰ مولايَ ما أَجدُ

---

(١) في بعض المصادر : وَبِتُّ .

وَقُلْتُ يَا أَملي[1] في كلِّ نائبةٍ ... ومَنْ عليهِ لكشفِ الضُّرِّ أَعتمدُ
أَشكو إليكَ أُموراً أَنتَ تعلمُها ... مالي علىٰ حملِها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقد مددتُ يَدي بالذُّلِّ مبتهلاً[2] ... إليكَ يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليهِ يدُ
فلا تَرُدَّنَّها يا ربِّ خائبةً ... فبحرُ جودِكِ يُروي كلَّ مَنْ يَردُ

وقال أيضاً [من مخلّع البسيط] :

إذا تخلَّفتَ عَنْ صديقٍ ... ولَم يُعاتبْكَ في التخلُّفْ
فَلا تَعُدْ بعدَها إليهِ ... فإنَّما وِدُّهُ تكلُّفْ

وأَنشدَ أَبو الحسنِ عليُّ بنُ أَحمدَ بنِ الحسينِ الإصطخريُّ ، قالَ : أَنشدَنا الإمامُ أَبو إسحاقَ الشيرازيُّ ببغدادَ ولم يسمِّ قائلاً [من الطويل] :

صَبرتُ علىٰ بعضِ الأَذىٰ خوفَ كُلِّهِ ... وأَلزمتُ نفسِي صبرَها فاستقرَّتِ
وجرَّعْتُها المكروهَ حتَّى تدرَّبَتْ ... ولو حُمِّلَتْهُ جُملةً لاشمأزَّتِ
فيارُبَّ عزٍّ جرَّ للنفسِ ذِلةً ... ويا رُبَّ نفسٍ بالتذلُّلِ عزَّتِ
وما العزُّ إلا خيفةُ اللهِ وحدَهُ ... ومن خافَ مِنهُ خافَهُ ما أقلَّتِ
فيا صِدقَ نفسي إنَّ في الصدقِ حاجتي ... فأرضىٰ بدنيايَ وإنْ هِيَ قلَّتِ
وأهجُرُ أبوابَ الملوكِ فإنَّني ... أرىٰ الحرصَ جَلاَّباً لكلِّ مذلةِ
إذا ما مدَدْتُ الكفَّ ألتمسُ الغنى ... إلىٰ غيرِ مَنْ قال : آسألوني ، فشُلَّتِ
إذا طرَقَتْني الحادثاتُ بنكْبةٍ ... تذكرْتُ ما عُوقِبتُ منه فقَلَّتِ
وما نكبةٌ إلاّ وللهِ مِنّةٌ ... إذا قابَلْتَها أدبرتْ واضمحلَّتِ
تباركَ رزَّاقُ البريةِ كلِّها ... علىٰ ما أرادَ لا علىٰ ما استحقَّتِ
فكم عالِمٍ لا يستبيتُ وجاهلٍ ... ترقَّتْ به أحوالُه وتعَلَّتِ
وكم من جليلٍ لا يرام حِجابهُ ... بدارِ غرورٍ أدبرتْ وتولَّتِ
تشوبُ القذىٰ بالصفوِ والصفْوَ بالقذىٰ ... ولو أَحسنَتْ في كلِّ حالٍ لَمُلَّتِ

---

(١) وفي بعض المصادر : (عدتي) .
(٢) وفي بعض المصادر : (مفتقراً) .

وقال أيضاً [من البسيط] :

يا عبدُ كم لك مِن ذنبٍ ومعصيةٍ ... إن كنتَ ناسِيَها فاللهُ أحصاها
يا عبدُ لا بدَّ مِن ذنبٍ تقومُ له ... ووقْفةٍ منك تُدمي الكفَّ ذِكراها
إذا عَرَضْتُ علىٰ نفسي تَذكُّرَها ... وساءَ ظنِّي قُلتُ : أستغفرُ اللهَ

وقال أيضاً [من الطويل] :

ولمَّا وَقفْنا بالصراةِ عشيةً ... حَيارىٰ لتوديعٍ وردِّ سلامِ
وَقفْنا علىٰ رغمِ الحسودِ وكلُّنا ... نَفُضُّ عنِ الأَبوابِ كلَّ ختامِ
وسوَّغ لي[1] عندَ الوداعِ عِناقَهُ ... فلمَّا رأىٰ وَجْدِي بهِ وغرامي
تلثَّمَ مُرْتاباً بفضلِ ردائهِ ... فقلتُ : هلالٌ بعدَ بدرِ تمامِ
وقبَّلتُهُ فوقَ اللِّثامِ فقالَ لي ... هي الخمرُ إلاَّ أنَّها بفدامِ

وقال في غريقٍ [من الطويل] :

غريقٌ كأنَّ الموتَ رَقَّ لفقدِهِ ... فلانَ له في صورةِ الماءِ جانبُه
أَبىٰ اللهُ أَنْ أَنساهُ دهري لأنَّهُ ... توفَّاهُ في الماءِ الذي أَنا شاربُه

وقالَ أيضاً [من الوافر] :

أُحبُّ الكاسَ مِنْ غيرِ المُدامِ ... وأَلهو بالحسانِ بلا حَرامِ
وما حُبِّي لفاحشةٍ ولٰكنْ ... رأيتُ الحبَّ أَخلاقَ الكرامِ

وقالَ أنوشتكين الرضواني : أنشدني أبو إسحاقَ لنفسه [من الوافر] :

ولو أَنِّي جُعلتُ أَميرَ جيشٍ ... لَمَا قاتَلْتُ إلاَّ بالسؤالِ
لأَنَّ الناسَ يَنهزمونَ منهُ ... وقَد ثَبتوا لأَطرافِ العوالي

وقال أيضاً [من الطويل] :

حكيمٌ رأىٰ أنَّ النجومَ حقيقةٌ ... ويَذهبُ في أَحكامِها كلَّ مَذهبِ
يُخَبِّرُ عَنْ أَفلاكِها وبروجِها ... وما عندَهُ عِلمٌ بما في المُغَيَّبِ

---

(١) قوله : (سوغ لي) : أي : شوقني .

وقالَ عليٌّ بنُ حسكويه : ٱجتمعَ أَبو إِسحاقَ والرئيسُ أَبو الخطابِ ، فأُتيا بثلجيَّةٍ فيها ماءٌ باردٌ ، فقالَ أَبو إسحاقَ [من الرجز] :

مُمنَّـــعٌ وهـــو فـــي الثـــلاجِ ‌ ‌ ‌ ‌ فكيـفَ لـو كـانَ فـي الـزجـاجِ

فأجابَهُ أَبو الخطَّابِ :

مـــاءٌ صفـــا رِقَّـــةً وطيبـــاً ‌ ‌ ‌ ‌ ليـــسَ بمِلْـــحٍ ولا أُجـــاجِ

وقالَ لخادمهِ في النظاميَّةِ أَبي الطاهرِ بنِ شيبانَ الدمشقيّ [من السريع] :

وشيخُنـا الشيـخ أَبـو طَـاهـرٍ ‌ ‌ ‌ ‌ جَمـالُنـا فـي السرِّ والظـاهـرِ

ومشىٰ في طريقٍ موحِلٍ وهو يقولُ الشعرَ ، فقالَ [من السريع] :

إِنشـادُنـا الأشعـارَ فـي الـوحـلِ ‌ ‌ ‌ ‌ هـٰذا لعَمْـري غـايـةُ الجهـلِ

وقال أيضاً [من الوافر] :

إذا طـالَ الطـريـقُ عليـكَ يـومـاً ‌ ‌ ‌ ‌ فليـــسَ دواؤُهُ إِلاَّ الـــرفيـــقَ

تُحـدِّثُـهُ وتشكـو مـا تُـلاقـي ‌ ‌ ‌ ‌ يُقَـرِّبُ بـالحـديـثِ لـكَ الطـريـقَ

وكان ينشد شعر غيره ومن ذلك قول ابن الرومي أو بشار [من الكامل] :

وحـديثُهـا السحـرُ الحـلال لـو أنَّـهُ ‌ ‌ ‌ ‌ لـم يجْـنِ قتـلَ المسلـمِ المتحـرِّزِ

إن طـالَ لـم يُملَـلْ وإن هـي أَوجَـزَتْ ‌ ‌ ‌ ‌ وَدَّ المحـدَّثُ أنَّهـا لـم تُـوجِـزِ

شـرفُ النفـوسِ ونُـزهـةٌ مـا مثلُهـا ‌ ‌ ‌ ‌ للمطمئِـــنِّ وعُقلـــةُ المستـــوفِـــزِ

مكانتُه وثناءُ العلماءِ عليه :

قالَ عنهُ الماورديُّ حينَ سمعَهُ يتكَّلمُ في عزاءٍ واجلاً : ما رأَيتُ كأَبي إِسحاقَ ، ولو رآهُ الشافعيُّ لتجمَّلَ بهِ .

استقبلهُ إِمامُ الحرمينِ في نيسابورَ في ذي الحجةِ عام (٤٧٥) هـ بموكبٍ مهيبٍ مِنْ مواكبِ النصرِ وقد حملَ عباءَتَهُ ، وجرتْ معَهُ مناظَراتٌ ٱعترفَ فيها بِتَفَوُّقِهِ عليهِ .

وقالَ فيهِ تلميذُهُ **فخرُ الإسلامِ أَبو بكرٍ الشاشيُّ** : أَبو إسحاقَ حُجَّةُ اللهِ علىٰ أَئِمَّةِ العصرِ .

وقالَ **الموفَّقُ الحنَفيُّ** : أَبو إسحاقَ أَميرُ المؤمنينَ بينَ الفقهاءِ .

وقالَ **الحافظُ الذهبيُّ** : أَحدُ الأَعلامِ ، أَنظَرُ أَهلِ زمانِهِ وأَفصحُهُم وأَورعهُم وأَكثرُهُم تواضعاً ونشراً ، وٱنتهتْ إِليهِ الرئاسةُ في الدنيا ، ورحل إِليهِ الفقهاءُ مِنَ ٱلأقطارِ ، وتخرَّجَ بهِ أَئِمَّةٌ كبارٌ .

وقالَ **ٱبنُ القيسراني** : مِنَ الأئمةِ المقتدىٰ بهِم ، وكانَ في ورعهِ وزهدهِ وتقشُّفهِ بالمحلِّ الذي لا يَخفىٰ إِلاَّ علىٰ جاهلٍ لا يعتدُّ بهِ .

وقالَ **ٱبنُ هدايةِ اللهِ** : شيخُ الإسلامِ ومدارُ العلماءِ الأعلامِ في زمانِهِ .

وقالَ **السُّبكيُّ** : صاحبُ التصانيفِ التي سارتْ مسيرَ الشمسِ ، ودارتِ ٱلدنيا فما جحدَ فضلَها إِلاَّ الذي يَتخبَّطُهُ الشيطانُ مِنَ المَسِّ .

شخصيتُهُ وأَخلاقُهُ :

كانَ نحيفاً دقيقَ الجسمِ ، ذكيّاً قويَّ الحافظةِ ، دؤوباً علىٰ الدرسِ والتحصيلِ ، متقلِّلاً في مطعمِهِ ، متقشِّفاً في ملبسِهِ ، قانِعاً باليسيرِ ، صابراً علىٰ الفقرِ ، حدَّثَ بعضُ مقرَّبيهِ فقالَ : إنَّه لَم يَكنْ يملكُ مِنَ ٱلدنيا شيئاً . وبقي علىٰ شاكلتهِ معَ تولِّيهِ التدريسَ في النظاميَّةِ . وهٰذا ما عناهُ الشريفُ أَبو جعفرٍ حينَ قالَ لَه : إِلاَّ أَنَّكَ لَمَّا كنتَ فقيراً لَم تُظهِرْ لَنا ما في نفسكَ ، فلَّما جاءَ الأَعوانُ أَبديتَ ما كانَ مَخفيّاً ؟ وكانَ قالَ ذٰلكَ لَه في لحظةِ غضبٍ ، ولا يدلُّ هٰذا علىٰ حالٍ جديدةٍ صارَ فيها الشيخُ ميسوراً .

قالَ أَبو يَعلى محمَّدُ بنُ الهبارية في « فلك المعالي » : مِنْ خطِّ ٱبنِ الصلاحِ نقلتُ : لمَّا تُوفِّيَ قاضي القضاةِ الحسينُ بنُ جعفرِ بنِ ماكولا ببغدادَ ، أَكرهَ القائمُ بأَمرِ اللهِ أَبا إِسحاقَ علىٰ أَن يتقلَّدَ لَه النظرَ في الأَحكامِ والمظالمِ شرقاً وغرباً ،

فامتنعَ ، فوكَّلَ بهِ ، فكتبَ إليهِ وقالَ : أَلَمْ يكفِكَ أَن هلكْتَ حتَّى تُهلكَني معكَ ؟!
فبكىٰ القائمُ بأمرِ اللهِ ، وقالَ : هَـٰكذا فليكنِ ٱلعلماءُ . إنَّما أَردنا أَن يُقالَ : إنَّه كانَ في عصرِنا مَن وُكِّل بهِ ، وأُكرهَ علىٰ القضاءِ فامتنعَ ، وقد أَعفيناهُ .

وماتَ أَبو إسحاقَ ولَم يخلِّفْ درهماً ولا عليهِ درهمٌ ، وما تزوَّجَ فيما يُعلَمُ ، وبِحُسْنِ نيَّتهِ ٱنتشرتْ علومُهُ وتصانيفُهُ ، وحُفظَتْ ، وشُرحَتْ ، وطُبعَتْ ، ونالتِ ٱلقَبولَ ، وكانَ قدوةً للعلماءِ والزهَّادِ .

ورويَ أَنَّه رأىٰ رسولَ اللهِ ﷺ في المنامِ فقالَ لَه : يا شيخُ ، فكانَ يَفرحُ بذٰلكَ ، ويقولُ : سمَّاني رسولُ اللهِ ﷺ شيخاً ، ثمَّ قالَ لي : مَنْ أَرادَ السلامةَ فلْيطلُبْها في سلامةِ غيرِهِ .

وممّا كان يقولُ : العلمُ الذي لا يَنتفعُ بهِ صاحبُهُ ، أَنْ يكونَ الرجلُ عالماً ولا يكونَ عاملاً ، وينشدُ لنفسه [من البسيط] :

عَلِمتَ ما حلَّلَ المولىٰ وحرَّمَهُ ... فاعملْ بعلمِكَ إنَّ العِلمَ بالعملِ

ويقولُ : الجاهلُ بالعالمِ يقتدي ، فإذا كانَ العالمُ لا يَعملُ بعلمهِ ، فالجاهلُ ما يَرجو مِنْ نفسهِ ؟! فاللهَ اللهَ يا أَولادي ، نعوذُ باللهِ مِنْ علمٍ يَصيرُ حجَّةً علينا .

وكانَ يقولُ : مَنْ قرأَ عليَّ مسأَلةً فهوَ وَلَدِي .

ويقولُ : العوامُّ بالأَولادِ ، والأَغنياءُ بالأموالِ ، والعلماءُ بالعلمِ

ويقولُ إذا سأَلهُ أَحدٌ سؤالاً غير متوجِّهٍ [من الكامل] :

سارتْ مشرِّقةً وسرتُ مغرِّباً ... شتَّانَ بينَ مُشرِّقٍ ومغرِّبِ

وفاتُه ودفنه رحمهُ الله تعالىٰ :

قالَ أَبو محمَّدٍ هبةُ اللهِ بنُ أَحمدَ الأكفانيُّ : توفيَ الإمامُ أَبو إسحاقَ إبراهيمُ بُن عليِّ بنِ يوسفَ الفيروزآبادي رحمَهُ اللهُ في ليلةِ الأَربعاءِ الحادي والعشرينَ مِنْ جمادىٰ الآخرةَ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وأَربعِ مئةٍ ، وغسَّلَهُ أَبو الوفاءِ ابنُ عقيلٍ الحنبليُّ ، وأُحضرَ نعشُهُ إلى دارِ أَميرِ المؤمنينَ المقتدي باللهِ ، فصلَّىٰ عليه ، ثم صلَّىٰ عليهِ أَيضاً

أَبو عبدِاللهِ الطبريُّ مرّةً أخرى مع الناسِ ، ودُفنَ بمقبرةِ بابِ حربٍ ، وقيلَ : باب أبرز ببغدادَ .

عزاؤُهُ ورثاؤُهُ :

وكانَ عزاؤه في المدرسةِ النظاميّةِ ثلاثةَ أيامٍ ، ولمّا ٱنقضىٰ العزاءُ ، رتَّبَ مؤيّدُ الملكِ بنُ نظامِ الملكِ أَبا سعدٍ المتولّي مكانَهُ ، ولمَّا بلغَ الخبرُ نظامَ الملكِ كتبَ بإِنكارِ ذٰلكَ ، وقالَ : كانَ مِنَ ٱلواجبِ أَنْ تُغلقَ المدرسةُ سنةً لأَجلِ الشيخِ ، وعابَ علىٰ مَنْ تولّىٰ ، ثمَّ أَمرَ أَنْ يُدرِّسَ مكانَهُ الإِمامُ أَبو نصرٍ عبدُ السَّيِّدِ بنُ الصَّباغِ بها . وقد رُثي رحمهُ اللهُ تعالىٰ بقصائدَ مِنْ بعضِ الشعراءِ لمكانتهِ العاليةِ ، وممن نعاهُ عبدُ الله بنُ ناقياء ت : (٤٨٥) هـ فقال [من الكامل] :

أَجـرىٰ المـدامـعَ بـالـدمِ المهـراقِ   خَطْـبٌ أَقـامَ قيـامـةَ الآفـاقِ
مـا للَّيـالـي لا تـؤلِّـفُ شملَهـا   بعـدَ ٱبـنِ بَجْـدَتِهـا أَبـي إِسحـاقِ
إِنْ قيـلَ مـاتَ فلـمْ يَمُـتْ مَـنْ ذِكـرهُ   حـيٌّ علـىٰ مـرِّ اللّيـالـي بـاقِ

وفي هذا القدرِ كفايةٌ ، ومَنْ أَرادَ الاستقصاءَ فليرجعْ إِلىٰ مصادرِ الترجمةِ فإِنَّ فيها الكثيرَ والحمدُ للهِ أَبداً وصلاتُهُ علىٰ مصطفاهُ أَوّلاً وآخِراً .

* * *

الإِمَامُ العِمْرَانيّ(١)

صَاحِبُ البَيَان

(٤٨٩هـ - ٥٥٨هـ)

عمادُ الدينِ ، وقدوةُ المسلمين ، ومفيدُ الطالبين ، رأسُ الفقهاء الأَعلامِ ، ومفتي الأَنامِ ، جمالُ الإِسلامِ ، مُبَجَّلُ عصرِهِ ، وفريدُ وطنِهِ ، ووجيهُ قومِهِ ، أَحدُ شموسِ الشريعةِ ، حافظُ المذهَبِ والملَّةِ ، والمناظرُ الحجّةُ، المرجعُ المِفضالُ العلاَّمةُ ، الحِبْرُ البحرُ الفهّامة ، شيخُ الشافعيَّةِ بلا مدافع ، وناشِرُ العلم النجيبُ البارع ، الجامعُ للتأصيلِ الدليلَ والتعليلَ ؛ لتأكيد علومه بإثبات حجّته : الإِمامُ

---

(١) ترجم له ابن سَمُرَة الجعديُّ في « طبقات فقهاء اليمن » ص(١٧٤ـ١٨٤) ، وانظر الفهرس ، وياقوت الحموي في « معجم البلدان » (سَيْر) و(سفال) ، وذكره ابن الصلاح والنواوي في « طبقات الفقهاء الشافعية » انظر الصفحات : (٢٠٧ و٢٢٣ و٦٧٦) ، والنواوي في « تهذيب الأسماء واللغات » القسم الثاني (ص/٢٧٨) ، والجندي في « السلوك في طبقات العلماء والملوك » (١/ ٣٣٩) ، والذهبيّ في « تاريخ الإسلام » وفيات: (٥٥٠) هـ و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٧٧ـ٣٧٨) ، واستدركه ابن كثير في « طبقات الشافعيّة » خ ، والسبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٧/ ٣٣٦) ت : (١٠٣٨) و« طبقات الشافعية الوسطى » خ ، والإسنوي في « طبقات الشافعيّة » (١/ ٢١٢) ت : (١٨٥) . واليافعي في « مرآة الجنان » وفيات : (٥٥٨) هـ ، وأبو بكر بن أَحمد بن قاضي شهبة في « طبقات الشافعيّة » ت : (٣٠٢) ، والشَّرجي الزبيديّ في « طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص » (ص/٣٦٣) في حرف الياء ، والعامري في « غربال الزمان » وفيات: (٥٥٨)هـ ، والسَّكْسَكي في « طبقات صُلحاء اليمن » (ص/ ١٤٣ و١٦٤ و١٦٥) ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد بامخرمة في «قلادة النحر في أعيان الدهر» في مصورة عن نسخة خطية في عام : (١٠٣٥) هـ، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٤/ ١٨٥) وفيات : (٥٥٨) هـ . وابن هداية الله في« طبقات الشافعيّة » (ص/ ٢١٠ـ٢١١) ، والخزرجي في=

يحيى بن أَبي الخير سالم بن أَسعد[1] بن عبد الله بن محمَّد بن موسى بن عِمران ، العِمرانيّ ، اليمانيّ ، المنتسب إِلى عمرانَ بن ربيعةَ بن عَبْسِ بنِ زُهرةَ بنَ غالبِ بنِ عبدِ الله بن علكٍّ بن عدنانَ[2] أبو الحسين[3] ، صاحب الفضائلِ والمصنَّفات الشهيرة الَّتي سارت بها الرُّكبان ، المنتشر علمه في البلدان ، الَّذي رحلَ الطلبة إِليه مِنَ الأَقطار ، حتى قيل فيه : إنه مِنْ أَعرف أَهل الأَرضِ بتصانيفِ الشيخِ أَبي إِسحاق الشيرازيِّ الفقهِ والأُصولِ والخِلاف .

مولده :

وُلِدَ في قريته (مَصْنَعَة سَيْر)[4] سنة تسعٍ وثمانين وأَربعِ مئة ، وهي القرية الَّتي فيها قُضاة بني عمران .

= « طراز أعلام الزمن في تراجم أَعيان اليمن » ، و« تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان (٤٨/٧) وبالألماني (١/ ٤٩٠ـ٤٩١) ، وإسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » (٢/ ٥٢٠) و« العطايا السنية » (ص/ ١٥١) ، وكذا ترجمه في« العقد الفاخر الحسن » ، و« تحفة الزمن » ، و« تاريخ الشعبي » ، و« الجامع الوجيز » ، و« مصادر الفكر الإسلاميّ في اليمن » (ص/ ١٩٢) ، وعمر رضا كحالة في « معجم المؤلِّفين » (٤/ ٩٤) ، والزركلي في « الأعـلام » (٨/ ١٤٦) ، وذكـر مـن المصـادر أيضـاً « الإِعـلام » خ ، و« الكتبخـانـة » (٣/ ١٩٩) ، و« الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصوَّرة » (ص/ ٢١٣) ، والقاضي إسماعيل الأكوع في « هِجَر العلم ومعاقله في اليمن » في مواضع منه ، وعبد الله محمد الحبشي في « معجم الموضوعات المطروقة » (ص/ ٤٧٩) وغيرها .

(١) ورد في بعض المصادر كـ « طبقات الشافعيَّة » للسبكي : سعيد .

(٢) وعند بامخرمة نسبه إلى معد بن عدنان . وساق في « طبقات فقهاء اليمن » (ص/ ١٧٤) نسبه إِلى سيدنا آدم عليه السلام .

(٣) ورد له في مصادر ترجمته عدَّة كُنى منها : عند الإِسنوي : أبو الخير ، وعند اليافعي والعامري وابن العِماد الحنبلي : أبو زكريا ، وعند الشَّرجي الزبيدي : أبو الحسن ، وعند بروكلمان : أبو العلاء وغيرها .

(٤) مصنعة سيَر ، سيْر : على وزن طيْرْ ، بلدة باليمن في شمال شرق الجَنَد . « معجم البلدان » (٣/ ٢٩٦) ، وقال القاضي إسماعيل الأكوع في « هِجَر العلم ومعاقله في اليمن » (ص/ ٢٠٦٢) : كانت من معاقل العلم الشهيرة في اليمن الأسفل وتقع في وادي سير من مخلاف صُهبان من أعمال لواء إب . قد كانت موئلاً لطلبة العلم فلا تجد أحداً في تلك =

نشأته :

ظهرت عليه علائم النجابة في أيّام طفولته وصباه ، بحيث لم يأتِ عليه من العُمُر ثلاث عشرة سنة إلاّ وقد استظهر القرآن الكريم ، وقرأ « التنبيه » و« المهذَّب » وشيئاً من الفرائض وغير ذلك ، تفقَّه بجماعة من الأكابر ، وتفقَّه به جمعٌ لا يُحصَون من جميع أَرجاء اليمن ، ولو لم يكن له إلاّ كتاب « البيان » لكفاه .

قال السبكيُّ عنه : كان إماماً زاهداً ، ورعاً خيِّراً ، مشهور الاسم ، بعيد الصيت ، عارفاً بالفقه والأصول والكلام والنحو ، يحفظ « المهذَّب » عن ظهر قلب[1] ، وقيل : كان يقرؤه كلَّ ليلة ، كما يحفظ « اللُّمع » و« الإرشاد » ، وغيرها .

شيوخه :

- الإمام أَبو الفتوح بن عثمان العمراني ، وهو خاله ، تفقه به ، وأخذ عنه « التنبيه » ، و« الكافي » للصردفي في الفرائض .
- الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي .
- أَبو الحسن سراج الدين علي بن أَبي بكر بن حِمير اليمني الهمداني ، الإمام الحافظ المحدث المبرِّز في علوم الحديث ، أخذ عنه « التنبيه » ، و« الكافي » للصردفي بروايته عن مصنِّفه ، ثمَّ قرأ « التنبيه » ثانياً على :
- موسى بن علي الصَّعبي العالم المحقق في الفقه ، وأخذ عنه « التنبيه » .
- ثمَّ قدم إلى (مَصنَعَةِ سير) الفقيه عبد الله بن أَحمد الزبراني باستدعاء من بعض مشايخ بني عِمران ، فأخذ عنه « المهذَّب » و« اللُّمع » و« الملخَّص » ،

= المناطق والبقاع المحيطة بها إلا وقد تفقه بها ، أو تفقه على من تفقه بها .

وقد تخرّج منها المدرسون والمفتون والفقهاء والمحققون وبقي هذا شأنها مزدهرة بالعلم حتى سنة : (٦٩٧ هـ) وأما اليوم فهي خربة قد درست معالمها ولم يبق إلا بعض أطلالها ورسومها . اهـ بتصرف .

(١) كان رحمه الله له أسلوب في مطالعة كتاب «المهذب» حيث قسمه إلى واحد وأربعين جزءاً ، كان يقرأ في اليوم والليلة كل جزء منه أربع عشرة مرة وقال النواوي: كان يحفظ «المهذب» ويقوم به ليله.

و« الإرشاد » لابن عبدويه ، وأخذ عنه « الكافي » للصردفي أيضاً .

- ثمَّ ترافق هو والشيخ الفقيه عمر بن علقمة إلى (أُحاظة) فقرأ على الإمام : زيد بن الحسن الفايشي « المهذب » و« تعليقة » الشيخ أَبي إسحاق في الأُصول و« الملخَّص » ، و« غريب الحديث » لأبي عُبيدٍ الهروي ، و« مختصر العين » للخوافي ، و« نظام الغريب » للرَّبعي ، وغير ذلك من مسائل الدور والخلاف .

ثمَّ لمّا عاد إلى (ذي السَّفال)[1] أخذ « الكافي » في النحو لأبي جعفر الصفّار ، و« الجُمل » للزجاجي .

وقرأ « الدور »[2] مرةً ثانية على :

- عمر بن بيش اللَّحجي .

- ثم لمَّا قدم : الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي من (مكَّة) إلى (الجنَدِ)[3] في سنة اثنتي عشرة وخمس مئة ، وقد صار الشيخ يدرِّس في موضعه ، فوصل الجنَدَ مع جماعة كانوا يقرؤون عليه الفقه فأخذ عنه « المهذَّب » ثالثة ، ثمَّ « النكت » ، ثمَّ توفي الإمام زيد وهو عنده .

فلمَّا انفضَّ القرّاء طلع قرية (سهفنة)[4] فأخذ بها عن القاضي :

- مسلم بن أَبي بكر بن أَحمد الصعبي كتاب « الحروف السبعة » في علم الكلام والتوحيد ، وأُصول الدين ، تأليف الشيخ الحسين بن جعفر المراغي .

---

(١) **سَفال** : بفتح أوله ، وآخره لام : من قرى اليمن ، ورواه السمعاني : بكسر السين . « معجم البلدان » (٣/ ٢٢٤) .

(٢) **الدور** : يعني علم الفرائض . وجاء في « قلادة النحر » قال الجَنَدي : وجدت تعليقة بخط الفقيه أبي الخطاب عمر بن محمد بن ميمون فيها أن الإمام يحيى بن أبي الخير تعلم القرآن وأكمل حفظه غيباً وقرأ « المهذب » و « التنبيه » والفرائض .

(٣) **الجنَد** : بلد في اليمن مشهورة ، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . « معجم البلدان » (٢/ ١٦٩) .

(٤) **سهفنة** : بلدة باليمن . « معجم البلدان » (٣/ ٢٩١) .

ثمَّ انتقل إلى (ذي أَشرق)[1] سنة سبع عشرة وخمس مئة فسمع « الجامع » للترمذي على الشيخ :

ـ سالم بن عبد الله بن محمَّد بن سالم بن عبد الله بن زيد .

زواجه :

وفي تلك السنة تزوَّج أُمَّ ولده طاهر (القاضي) ، وكان قد تسرّى قبلها بجارية حبشيَّةٍ ، وبعد زواجه ابتدأ مطالعة «شروح» المُزَني وكتباً أُخرى : كـ« المجموع » و«اللباب» و«التجريد» للمحاملي ، و« الشامل » لابن الصبَّاغ ، وكتاب « الفروع » لسُليم الرازي ، وشرح « المولدات » للقاضي أبي الطَّيب ، و« العدَّة » للقاضي حسين بن عليٍّ الطبري ، و« الإبانة » لأَبي القاسم الفوراني[2] ، و« شرح التلخيص » لأَبي عليٍّ السنجيِّ ، وجمع من هذه الشروح زيادات على « المهذَّب » في كتاب سمَّاه : « الزوائد » ، وذلك أَنَّه قد استشار الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي ، أيُّ الشروح أحقُّ بالمطالعة وأجمع لما شذَّ عن « المهذب » ينتسخه ؟ فأشار عليه بجمع جميع زيادات هذه الشروح الموجودة ومطالعتها ، وانتزاع زوائدها على « المهذَّب » فجمعها في كتاب « الزوائد » سنة سبع عشرة وخمس مئة .

ووُلِدَ ابنه الطاهر في سنة ثمان عشرة وخمس مئة وهو مستمرٌّ على المطالعة والتعليق ، وكمَّلَ كتاب « الزوائد » وفرغ منه سنة عشرين وخمس مئة ، وعقيب ذلك بعام حجَّ ، وزار الضريح المشرَّف ـ صلوات الله وسلامه على صاحبه ـ واجتمع بالفقيه الواعظ المعروف بالعثماني[3] في (مكَّة) ، وتناظرا ، وتذاكرا في مسائل الفقه والأصول وغيرها.

---

(١) ذي أشرق : بلدة في اليمن كما في « معجم البلدان » (١/ ١٩٧) .

(٢) وكان يظنُّ عندهم أنَّها للمسعودي .

(٣) هو أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن يحيى بن خير العثماني الديباجي ، من ولد الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفَّان من أهل نابلس ، ولد سنة ٤٦٢ هـ ، وتوفي سنة ٥٢٧ هـ كما ذكر في « طبقات الشافعيَّة الكبرى » للسبكي (٤/ ٦٤) .

ثمَّ بعدئذٍ راح الشيخُ رحمه الله فاستخرج كتابَ « الدور » من كتاب ابن اللَّبان وغيره ، ثمَّ نظر في كتاب « الزوائد » فإذا هو قد رتَّبه على ترتيب شروح « مختصر المُزَني » وكانَ أَغفلَ « الدور » وأَقوالَ الأَئمَّة فيه ، ثمَّ لمَّا عاد إِلى (اليمن) التزم المطالعة والمراجعة والمذاكرة[1] ، فانبثقت من تلك الأزهار ثمرةٌ يانعةٌ بل درةٌ يتيمةٌ كريمةٌ ألا وهي تأليفُ كتاب « البيان » الَّذي أَورد فيه عدَّة مسائل عن العثمانيِّ ، ونقل عنه في معلقاته ، وهذا كما يدلُّ على فضل العثماني وعدالته يدلُّ على عظمة العمرانيِّ وإنصافِهِ وأريحيَّتِهِ في نقله عن قرينه ومناظِرِهِ.

فكان رحمه الله واسعَ الصدر ، غزيرَ العلم ، يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ويعرفُ لكلِّ ذي فضلٍ فضلَهُ ، بينما كان فقهاءُ (تهامةَ) و(ذي أشرقَ) إذا تناظروا أوتذاكروا في المعتقداتِ خاصةً أَدَّتْ إِلى تكفير بعضهم بعضاً .

قال اليافعي في « مرآة الزمان » (ص/ ٢٥٠) عن هٰذا الواقع المحزن بل المفجع : هذا كلُّه لانطوائهم على الجمود ، وعدولهم عن الطريق المحمود[2] .

وكان الشيخ رحمَهُ اللهُ لا يعجبه ذلك ، ولا يخوض في علم الكلام ، ولا يرتضي ذلك لأَحدٍ من أَصحابه ، فابتلي بميلِ ولده طاهر إلى خلاف معتقده ، فشقَّ ذلك على الشيخ ، وهجر ولده هجراً شديداً ، وكان ذلك في سنة أربع وخمسين وخمس مئة ، ثمَّ إنَّ طاهراً لم يُطِق هجر أَبيه له ، فلم يزل يتلطَّف على والده بإرسال من يقبل الشيخ منه ، فقال الشيخ للرسول : لا أَقبل حتَّى يصعد المنبر ويذكر عقيدته ويتبرَّأ ممَّا سواها . فأجاب إِلى ذلك .

وفي عَقيب ذلك صنَّف رحمَهُ اللهُ كتاب : « الانتصار في الردِّ على القدريَّة

---

(١) لأنَّ هذا شأن العالم النصوح الذي يغتنمُ حياتهُ في الاستفادة والإفادة كما قال أحدهم :

فــأدمْ للعلــم مــذاكــرةً ... فحيــاةُ العلمِ مــذاكــرتُــه
مــن حــازَ العلــمَ وذاكــرهُ ... صلحــتْ دنيــاهُ وآخــرتُــه

(٢) وقال اليافعي أيضا ـ في معرض القول على دلائل العقيدة ـ : الاحتجاج استمداده من البراهين العقلية القواطع ، ونصوص الكتاب والسنة المنيرات السواطع .

الأشرار » وسبب تصنيفه ما حدث بين الفقهاء ، ثمَّ ظهور القاضي جعفر المعتزلي ووصوله إلى مدينة (أب)[1] واجتماعه بسيف السنَّة ، وقطعه له ، وكان وُدُّهم أن ينزل اليمن فقيل له : إن نزلت اليمن لقيت البحر الذي تغرق فيه : يحيى بن أبي الخير فعاد القهقرى ، فأرسل الشيخ إليه تلميذه عليّ بن عبد الله الهرمي فناظره وقطعه في عدَّة مسائل ، فبالغ الشيخ في الرَّد على المعتزلة ، وعلى بعض مسائل أصول الدين[2] ، ففرح الفقهاء به ودانوا له .

ثمَّ انتقل الشيخ إلى (ضراس)[3] نافراً عمّا شَجَر بين الفقهاء (بذي أَشرق) ، وأَظهر أَنَّ سبب ذلك الخوف من ٱبن مهدي[4] ، فأَقام فيها شهراً ، ثمَّ ٱنتقلَ إِلى قريته (ذي السَّفال) ، ثمَّ صنَّف « غرائب الوسيط » وٱختصر : « إِحياء علوم

---

(١) أب ـ بالفتح ، وقيل : بكسر الهمزة ـ : بلدة من قرى (ذي جبلة) باليمن . انظر « معجم البلدان » (١/ ٦٤) .

(٢) قال العامري (ص/ ٤٣٧) : وتحامل على الأَشعريَّة . وقال اليافعي عن قول الحنابلة : مذهبنا مذهب السلف ـ يعني في السكوت عن تأويل أحاديث الصفات ـ فجهْلٌ منهم بمذهب السلف ، فإنّ السلف سكتوا مع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن التجسيم والنزول والحركة والجهة ، وأنَّ الأحاديث الموهمة لذلك غير مرادة الظاهر ، وقليلٌ أَوَّلَ كالخلفِ ، وقليلٌ من الخلف سكت كالسلف .

(٣) ضراس : قرية في جبال اليمن . « معجم البلدان » (٣/ ٤٥٥) .

(٤) قال اليافعي (ص/ ٢٤٥) : أَقام الشيخ بـ(سير) حتّى ظهرت حروب وفتن ، فانتقل إلى (ذي السَّفال) ، ثمَّ إلى (ذي أَشرق) ، وأَقام فيها سبع سنين يدرِّس ويقرأ ، ثمَّ ظهر ٱبن مهدي ، واستولى على (زبيد) ، وأَزال دولة بني زريع .

وقال ٱبن سَمُرَة (ص/ ١٨٢ـ١٨٣) : وفي الثامن من شوّال من سنة (٥٥٦ هـ) أخذ ابن مهدي ـ هو مهدي بن علي بن مهدي ـ (الجَنَد) ، فقتل فيها قتلاً ذريعاً ، وحرق مسجدها ، وٱستولى على حصون السلطان علي بن أبي الفتوح الوليدي وهي : (الحريم ، وحلمة ، وريشان) ، ثمَّ رجع إلى (زبيد) ، ومات بها ، ثمَّ ولي أخوه ، وهو عبد النبيِّ ابن علي بن مهدي الحميري ـ صاحب (زبيد) ـ فصار يعرف بالسيد والإمام على أَلسنة العوام ، فنهض لحصار الخلاف ، والمجمعة ، وأَسرَ أَبا النور بن أبي الفتوح إلى أَن مات في أسره في (زبيد) ، وتوفّي سنة : (٥٧٠ هـ) ، وكان عُمُر دولة بني مهدي خمسة عشر سنة ، وزالت بقدوم السلطان توران شاه بن أَيّوب سنة (٥٦٩ هـ) .

الدين » وسمعَ هو وأَصحابه « صحيح البُخاري » ، و« سنن أَبي داود » (بذي أَشرق) سنة خمس وخمسين وخمس مئة على الشيخ الحافظ عليّ بن أَبي بكر ابن حِمير بن تُبَّع بن فضل الهمداني بقراءة ولده القاضي الأَجلِّ طاهر ابن يحيى ، والفقهاء والفضلاء منهم : أحمد بن إسماعيل المأربي ، وعبد الله بن عمرو التباعي ، وسليمان بن فتح بن مفتاح .

حُكيَ عن الفقيه محمَّد بن أَحمد بن عُمر بن علقمة : أَنّه رأى ليلة قدوم الشيخ إِلى (ذي السَّفال) قائلاً يقول له : غداً يقدم عليكم معاذ بن جبل ، فلمّا أَصبح الفقيه أَخبر أَصحابه بالرؤيا الّتي رآها ، وقال مفسِّراً لها : يقدم علينا اليوم عالمُ هذه الأُمَّة ، فإِنَّ النَّبي ﷺ يقول : « معاذٌ أَعلمُ أُمَّتي بالحلال والحرام »[1] ، فقدمَ عليهم الشيخُ في صباح تلك الليلة .

أَخلاقه وديانته :

كان رحمَهُ اللهُ سهلَ الأَخلاق ، ليِّنَ الجانب ، عظيم الهيبة عند الناس ، محبَّباً إِليهم ، مقبول القول لديهم ، ومع كمال العلم كان زاهداً عابداً ناسكاً ، وكان من سيرته أَنّه إِذا مضى عليه وقت بغير ذكر الله تعالى ومذاكرة العلم حوقل واْستغفر ، وقال : ضيَّعنا الوقت . وكان يقرأ في كلِّ ليلة سُبْعاً من القرآن الكريم في أكثر من مئة ركعة قانتاً بين يدي خالقه في الصلاة ، وعرف عنه رحمَهُ اللهُ أَنّه يحبُّ طلبة العلم واْجتماعهم ، ويكره الخوض في علم الكلام .

---

(١) أخرجه عن أنس رضي الله عنه أحمد في « المسند » (٣/ ١٨٤ و٢٨١) ، والترمذي (٣٧٩٣) في المناقب ، وقال : هذ حديث حسن صحيح .

مكانته :

كانت السيّدة الصليحيّة[1] ملكة اليمن تُجلُّه وتعظِّم محلَّه ، وتأمر نوابها بذلك ، ويروى : أنَّ الفقيه رحمه اللهُ قدم إلى (جبلة) في شفاعة إليها بسبب أيتام كانوا تحت يده ، وكان على أرضهم جَوْر ، فوهبت للفقيه ذلك ، وأسقطت الجَوْر عن أرض الأيتام الذين كانوا تحت يده ، وكتبت للأيتام مسامحة مستمرَّة إكراماً لقدوم الفقيه إليها .

أُسلوبه في التعليم :

كان رحمهُ اللهُ تعالى له طريقة في التقرير والتدريس لمن يتحقَّق فهمه وقوَّة إدراكه المعاني ، فإذا قرأ عليه المتفقِّهُ وهو يعلم فقهه بيَّن له ٱحترازات الأقيسة وفوائدها ، ووجوه أُصولها ، ثمَّ يبيِّن له ما العلَّة بٱختصاصها بالتأصيل إمَّا بالنصِّ من طريق الكتاب والسُّنَّة ، أو بعرض قول المخالف لحكم المسألة ، وإذا كان في عبارة الكتاب ٱستغلاق ، أو قصر فهم القارىء عن ذكرها أبدلها بعبارة أُخرى أوضح منها حتَّى يتصوَّرها القارىء ويفهمها ، وينبِّهه في كلِّ مسألة على خلاف مالك وأبي حنيفة خاصَّة ، وقد يذكر معهما غيرهما في بعض المسائل ، وإذا فرغ القارىء من قراءة الدرس ، أمره أن ينظر في الكتاب ويعيد عليه درسه غيباً ، ويقصد بذلك ترغيبه ، وهذا يفعله مع من يتحقَّق فهمه وإدراكه للمعاني .

---

(١) هي السيّدة الحرَّة الصليحية أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي ، تُنعَتُ بالحرَّة الكاملة ، وبلقيس الصُّغرى ، ملكة حازمة مدبِّرة ، يمنيَّة ، ولدت في (حراز) باليمن سنة (٤٤٤هـ) ونشأت في حجر أسماء بنت شهاب ـ أُمِّ المكرم الصليحي أحمد بن عليّ ـ وتزوَّجها المكرم ، وفُلِجَ ، ففوَّض إليها الأُمور ، فٱتَّخذت لنفسها حصانة (بذي جبلة) ، كانت تقيم به شهوراً من كلِّ سنة ، وقامت بتدبير المملكة والحروب إلى أن مات المكرم سنة (٤٨٤ هـ) وخلفه ٱبن عمِّه سبأ بن أحمد ، فٱستمرَّت في الحكم ، ترفع إليها الرقاع ، وتجتمع عندها الوزراء ، وتحكم من وراء حجاب ، وهي من أواخر ملوك الصليحين ، وتوفِّيت (بذي جبلة) سنة (٥٣٢ هـ) ، ودفنت في جامعها .

وأَمَّا غيره فلا يزيده على الجواب عمَّا سأل عنه ، أو يردُّ غلطه ، أو تصحيفاً ، ونحوه .

تصانيفه وآثاره :

١ ـ « البيان » وهو أَشهر مؤلَّفاته وأَوسعها ، وكان قد اعتذر من التدريس لاشتغاله بجمعه[١] ـ وهو كتابنا ـ وسيأتي الكلام عنه مفصَّلاً .

٢ ـ « الزوائد » بدأ بتصنيفه في عام سبع عشرة وخمس مئة وفرغ منه بسنة عشرين .

٣ ـ « الأَحداث » .

٤ ـ « غرائب الوسيط » .

٥ ـ « مختصر الإِحياء » .

٦ ـ « الانتصار في الردِّ على القدريَّة الأشرار » .

٧ ـ « مناقب الإمام الشافعيّ » .

٨ ـ « السؤال عما في المهذَّب من الإِشكال »[٢]

٩ ـ « مشكل المهذَّب » صنَّفه تلبية لرغبة تلميذه محمد بن مفلح سنة (٥٤٩ هـ) .

١٠ ـ « الفتاوى » .

١١ ـ « شرح الوسائل » .

١٢ ـ « الاحترازات » .

١٣ ـ « مقاصد اللُّمع » .

---

(١) قال اليافعي في « مرآة الجنان » (ص/ ٢٤٥) : واللَّذة التي يجدها ـ أي : طالب العلم ـ مع الاشتغال : خلقها تعالى في قلوب المشتغلين بالعلوم ، لتكون عوناً على تحصيل المقاصد بحيث يقدِّم الإنسان ذلك الشغل الَّذي هو فيه على غيره من حظوظ النفس ، حكمةً من الله تعالى ولطفاً ، حتَّى أَخبرني بعض شيوخنا أَنَّه كان يتغذى بالاشتغال بالعلم .

(٢) هو نفس كتاب « مشكل المهذب » الآتي.

١٤ ـ « مناقب الإمام أحمد » .

١٥ ـ « السؤال عمّا في المهذب والجواب عنها » ذكره ابن هداية الله ، ولعلّه السابق الذكر برقم (٨) .

١٦ـ « الدور ». والله أعلم .

* * *

كتاب « البيان »(1)

أَلَّف كتاب « البيان » في شرح «المهذب» ، الذي سارت بذكره الركبان ، فنال به رفعة الشان ، وحاز به كلَّ شرفٍ وإِحسان ، وانتفع به القاصي والدَّان ، والإنس والجانّ ، على مرور الزمان ، وابتدأ بتصنيفه سنة ثمان وعشرين وخمس ومئة . ورتَّبه على ترتيب محفوظه من « المهذَّب » ولم يبدأ بتصنيف « البيان » حتَّى كرَّر قراءته أَربعين مرَّة ، وفرغ من تصنيفه سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة ، في مدَّة ستّ سنين ، رضيه الفقهاء والمحدِّثون ، وانتفع به الطلبة والمدرِّسون ، واستمدَّ منه أَجلَّة المصنِّفين ، كما اعتمده نخبة المحقِّقين ؛ مِمَّا يثبت صحة توثيق نسبة «البيان» للعمراني .

---

(1) **البيان** : اختار المصنف لكتابه هذا الاسم ؛ لأنَّ البيان الصفة الإنسانية الكبرى ، والمِنّة الإلـٰهية العظمى لقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٣ـ٤] ، و: الفرقان بين الحق والباطل قال ﷺ فيما رواه عن أبي هريرة ابن حبان كما في «الإحسان» (٥٧٩٦) : «البيان من الله ، وليس البيان كثرة الكلام ، ولكن البيان الفصل في الحقِّ» ، و: الحجة ، و: المميز للإنسان عن سائر الحيوان ، و: المنطق الفصيح المُعرب عمَّا في النفس ، و: التساوي في الشيء . قال عبد العزيز بن أحمد الديريني الدميري ـ ت : (٦٩٤)هـ ـ عن معنى البيان في «التيسير» (١١٢٩) .

كـــــان علـــــى بينـــــة بيـــــان   وحجـــة واضحـــة البـــرهـــان

و: أحد علوم البلاغة . و: باب من أبواب أصول الفقه الإسلامي ، فوافق اسمه مسمَّاهُ وطابق مبناه معناه .

والبارىء الفاطر تعالى هو الذي هيَّأ الإنسان للقراءة ، فجهز له أدوات الكشف بما أودع فيه من عقلٍ وقلب وسمع وبصر ولسان ، يصوِّر به ما رأى ببصره ، أو سمع بأذنه ، أو ما وقر في قلبه ، وما تشكَّل في عقله ؛ يصوِّر ذلك كلَّه بكلمات واضحة مبيَّنة ، يُهدىٰ بهديها ويمشى في الحياة على ضوئها ؛ لذلك اختار العمراني هذا الاسم لكتابه ، وقد سبقه لهذا الاسم عدد من المؤلفين ، وتبعَهُ جماعة من المصنفين نذكر بعضاً منهم لعسر استقصائهم ولقلَّة المنتفعين بذكرهم :

ـ **البيان** : في دلائل الأعلام على أصول الأحكام ؛ لابن الصيرفي محمد بن عبد الله ت : (٣٣٠) هـ ذكره ابن النديم في « الفهرست »

ـ **البيان** : في الفروع ؛ لإسماعيل الطبري . ذكره عبد الله محمد الحبشي في « معجم الموضوعات المطروقة » (ص/ ٤٢٩) . =

وحسبك من النقلة عنه مرجِّحا مذهب الشافعيِّ ـ الرافعيُّ في «شرح الوجيز» والنواويُّ في « المجموع » و« الروضة » و«تهذيب الأسماء» في مواضع لا تحصى ـ وغيرُهما[1] ،

= ـ **البيان** : لإسماعيل بن سعيد الشالنجي الجرجاني . ذكره صاحب « تاريخ جرجان » ت : (١٥٩) .

ـ **البيان** : عن تلاوة القرآن ؛ لأبي عمر يوسف بن عبد البر ت : (٤٦٣) هـ .

ـ **البيان والتبيين** أحد دواوين الأدب الأربعة ؛ لعمرو بن بحر الجاحظ ت : (٢٥٥) هـ .

ـ **البيان** : في أحكام الفرائض ، لأحمد بن إبراهيم بن محمد الفرجي . ذكره في «الفهرست» .

ـ **البيان** : والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب ، للمقريزي ت : (٨٤٥) هـ .

ـ **البيان** عما في كتاب أبي نصر الكلاباذي من النقصان ، لابن اليربوع ت : (٥٢٢) هـ .

ـ **البيان** : في أصول الدين ، للحموي شيخ الشافعية ت(٤٨٨) هـ .

ـ **البيان** : في الخلاف بيننا وبين النعمان ؛ لأبي روح الرافضي ذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٤٩٩ـ٥٠٠) .

ـ **البيان** : والتحصيل ؛ لابن رشد ـ ويقع في عشرين مجلداً ـ ت : (٥٢٠) هـ .

ـ **البيان** : والتوضيح ؛ للحافظ أحمد بن عبد الرحيم العراقي ت : (٨٢٦) هـ .

ـ **البيان** : في أسباب نزول القران .

ـ **البيان** : في جمع أفعل أخف الأوزان لابن الأنباري .

ـ **البيان** : في أسماء الأئمة للمسعودي المؤرخ .

ـ **البيان** : والبرهان في الردِّ على أهل الزيغ والطغيان للفخر الرازي .

ـ **البيان** : المغرب لابن عذارى المراكشي .

(١) **كمحمد بن أحمد بن بطال الركبي ت: (٦٣٠) هـ في كتابه «نظم المستعذب في شرح غريب المهذب» .**

ونصر الدين ابن جماعة ت: (٦٧٦) هـ في «هداية السالك» (١/ ١٩١) .

وابن خلكان ت: (٦٨١) هـ في «وفيات الأعيان» (٣/ ٥٤) .

وتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ت : (٧٥٦) هـ كما في « تكملة المجموع » ذكره من موارده مع مؤلفات العمراني الأخرى (١٠/ ٤ و٥) مصورة عن ط : منير الدمشقي .

وأمير المؤمنين في الحديث أبي الفضل ابن حجر ت: (٨٥١) هـ في «تلخيص الحبير» (٤/ ٩٩) .

والشهاب أحمد الفشني ت: (٩٧٨) هـ كما في «تهذيب تحفة الحبيب» (ص/ ١١٠) وغيرها .

علماً بأن عدداً من المصنفين بعده تابعوه في منهجه وتنسيقه وممن استشففت ذلك منهم العلامة الكبير عبد الله بن محمد ابن قدامة المقدسي ت: (٦٢٠) هـ في كتابه «المغني» =

فكان لهم معيناً صافياً ، وينبوعاً ثرّاً غَدَقاً ، وهذا أَكبر شاهد له بالفضل والتقدُّم ، وعلوِّ الكعب في المعرفة ، وكيف لا يكون كذلك وقد قال عن « البيان » ابن سَمُرَة الجعدي (ص/ ١٨٢) :

كان كاسمهِ للشرع بياناً ، وللعلماء هدى وتبياناً ، أَجاب فيه عن المعضلات ، وأوضح المشكلات ، وقسم الأوصاف والاحترازات .

وقال بعض المحقِّقين أيضاً : إِنَّه ـ أَي المؤلِّفُ ـ ٱنتخلَ الشروح المفيدة ، والأدلَّة السديدة ، والمسائل العتيدة ، والمعاني المتقنة ، والأقيسة الأكيدة ، وضمَّنها كتابه وجمع فيه بين تحقيق العراقيّين ، وتدقيق الخراسانيّين ، بحيث إذا تأمَّله الحاذق الناظر ، وَكدَّ في جواهره الفكر والخاطر وسعه وكفاه وٱستغنى به عمّا سواه[1] ، فرحم الله مثواه ، وبلَّ ثراه ، وجعل الجنَّة مأواه .

قال النواوي في « التنقيح » : إِنَّه يحكي طريقة العراقيين ، وفي بعض الأَماكن ينقل الطريقتين .

قال الزبيدي[2] : إِنَّه لمَّا دُخِل به إِلى بغداد جُعل في أَطباق من ذهب ، وطيف به مرفوعاً ـ وكان بخط علوان ، وكان علوان خطّاطاً بارعاً في الخط ـ فقال أهل بغداد : ما كنَّا نظنُّ في اليمن إِنساناً حتَّى رأينا « البيان » بخط علوان .

قال الجَندي : وسمعت شيخي عليَّ بن أحمد الأصبحيَّ يقول : ما أَشكلت عليَّ مسألة في الفقه وفتَّشت لها « البيان » إلاَّ وجدت فيه بيانها ، وصحَّ لي تبيانها ، فجزاه

= الجليل القدر فقد تابع المؤلف في عرض المسألة والدليل عليها ثم يقول : إذا ثبت هذا ، ويعقب على ذلك بقوله : ولنا بدل بدليل وهكذا دواليك ، وفي كثير من مواضعه تراه يوافق حتى في اللفظ أو السبك أو التقديم والتأخير في ذكر الأقوال والمذاهب ونحوها ، والله أعلم .

(١) قال اليافعي (ص/ ٢٤٤) : فإنَّ كتاب « البيان » وإن كان كتاباً جليلاً ، منتفعاً به في الآفاق ، فإنَّ فيه وجوهاً ضعيفة ليس هنا موضع ذكرها . أقول : وهذا مما يدلُّ على أنه استوعب وبيَّن في غالب الأحيان قوة وضعف القول أو الوجه وذلك مما يوسِّع عارضة المتفقه ويقوي حجَّتهُ عند مناظرته .

(٢) وعرف في اليمن بالشرجي .

اللهُ عن الإسلام خيراً . . . قال : ولقد دخلت عليه مرَّة أيَّام درسي عليه وهو حينئذٍ في أثناء أجوبة عن سؤالات سأله بها الفقيه صالح بن عمر البريهي وهو بين يديه ـ أي كتاب « البيان » ـ فقال : « البيان » كتاب عظيم لا أشفى منه لنفس الفقيه .

وقال الإمام أحمد بن موسى بن عجيل : لولا « البيان » ما وسعني اليمن .

وكان الشيخ يحيى يُشبَّه بالآجري[1] صاحب « الشريعة » ؛ لأنَّ أهل اليمن يولعون بكتابه « الشريعة » ويعتقدون فيه لنيل حوائجهم .

شعره :

قال الجَندي : ولقد اجتمعت ببعض فقهاء العصر ممَّن له دُربة بالأُصول ، فأوقفني على أبيات وهو يستعظمها ويقول : ما كنت أظنّ صاحب « البيان » يعرف الأُصول ، فأوقفني على أبيات من شعره يقول فيها [2] [من البسيط] :

أفعالنا عَرَضٌ في جسم فاعلها	والله يخلق ما في الجسم من عَرَضِ
إذا تقرر هذا في نظائره	فلا اعتراضَ إذاً يبقى لمعترضِ
ومَن ينازعُنا في ذا ويُنكره	فليأتنا بدليل غير منتقضِ
المدح والذم والإنعام منه لنا	على اختيار لنا في العقل والعرضِ
لا نستحقُّ عليه الرزقَ في صغر	ولا ثواباً على كسب كما العِوَضِ
لو عذَّب الله إنساناً بلا عمل	لكان عدلاً كما في الموت والمرضِ
ما لم يشأ لم يكن من فاعل أبداً	وإن يردْ كون شيءٍ في العباد قُضي

وممَّا روى له صارم الدين في الجدِّ والاجتهاد لطالب العلم : كما نقله السكسكي (ص/ ١٦٥) [من البسيط] :

---

(١) هو أبو بكر بن الحسين بن عبد الله الآجريّ الشافعيّ المذهب صاحب المؤلَّفات الشهيرة القيِّمة النافعة : « الأربعين الآجريَّة » و« أخلاق العلماء » و« التصديق بالنظر » و« كتاب النصيحة » و« تحريم النرد والشطرنج » و« المختصر » في الفروع ، وغير ذلك ، توفِّي بمكَّة المكرَّمة بعد مجاورة ثلاثين عاماً في محرَّم سنة (٣٦٠ هـ) . .

(٢) أي في « السلوك » .

كم حاجةٍ بمحلِّ النجم قرَّبها ... طول التعرّض والروحاتُ والبُكَرُ
اشدد يديك بحبل الله مجتهداً ... وإنْ أمضَّك طولُ اللَّيلِ والسهرُ
إن التجارَ إذا جاؤوا وقدْ ربحوا ... أنساهمُ الرِّبحُ ما عَنَّاهم السفرُ

قال الجَندي : ولمَّا دخلت قرية (سَير) اجتمعت ببعض ذرِّيَّته فأَوقفني على شيء من كتبه فوجدت معلَّقاً في دفَّة كتاب « معونة الطلاب لفقه معاني الشهاب » تأليف ولده طاهر بن يحيى وبخطِّه أيضاً ما مثاله ، وللوالد أَيضاً رحمَهُ اللهُ [من الوافر] :

أليس اللهُ خالقَ كلِّ جسمٍ ... وأعراضِ العباد بلا مراءِ
وما عَرَضٌ يُخَص بذا ولكن ... عموماً في الجميع علىٰ سواءِ
فهل أفعالنا والقول فيها ... سوى عرضٌ يقوم بلا بقاءِ

وقال الجنَدي أيضاً : وممَّا قاله رحمَهُ اللهُ في وصف حاله وزمانه قوله [من الطويل] :

إلى اللهِ أشكو وحشتي من مُجالِسٍ ... أُراجعه فيما يلذُّ به فهمي
لأني غريبٌ بين سيْرٍ وأهلها ... وإن كان فيها عِترتي وبنو عمي
وليس اغترابي بينهم بيد النوى ... ولكن لما أبدوه من جفوة العلم
وقد كنت أرجو أن تكون سلالتي ... بحفظ علومي في حياتي ذوي عزم
فثبطهم عن ذاكَ حسادُ قومهم ... وما سمعوا من كلِّ ذي حسد فدمِ
ستصبح يا مَن غرَّه قول حاسدي ... بموتي أسيرَ الجهل والذّل واليتمِ[1]

---

(١) قال الشرجي في « طبقات الخواص » كأنه أخذ هذا المعنى من قول الإمام الخطابي رحمه الله حيث يقول في أهل بلده [من الطويل] :

وما غربة الإنسان من شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بستٍ وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقد سبقه إلى هذا المعنى أبو عبادة البحتري في قوله :

وليس اغترابي من سجستان أنني ... عدمت بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنني ما لي بها من مشاكل ... وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

وقال فيه صارم الدين داود بن أحمد الهمداني[1] مادحاً العمراني وكتابه « البيان » في أبيات ضمنها شعر العمراني كما في « طبقات صلحاء اليمن » (ص/ ١٦٥) [من البسيط] :

إنَّ « البيــان » بيــانٌ للعلــوم وقــد ... خصَّ المذاهبَ ما قالوا وما سطروا
جمــعُ الإمــامِ تقــي الــديــن صنفَــه ... لله يحيــى فــأحيــا كــلَّ مــا ذكــروا
وقلَّــد الشــافعــيْ واختــار مــذهبَــه ... لَمَّــا رأى قــولــه يعلــو إذا افتخــروا
قــولاً ســديــداً بحبــل الله معتصمــاً ... وزانــه النــصُّ والإجمــاعُ والأثــرُ
وقــال فــي ختمــه قــولاً فصــار بــه ... بالركب يمتثلُ والبدوُ والحضرُ[2]
كــم حــاجــة بمحــلِّ النجــم قــرَّبهــا ... طــول التعــرض والــروحــاتُ والبُكَــرُ

ومدحه ومدح كتابه « البيان » سيف السنة أحمد بن محمد البريهي المتوفى في مدينة إب سنة (٥٨٦) هـ [من الطويل] :

سقــى اللهُ يحيــى سلسبيــلاً وخصَّــهُ ... بقصــر مــن اليــاقــوت أعلــى الجنــانِ
لتصنيفــه هــذا الكتــاب الــذي حــوى ... تصــانيــف أهــل الفقــه قــاصٍ ودانِ
وسمّــاهُ بــالاســم الــذي هــو أهلــه ... بيــانــاً ومــا فــي الأرض مثــل بيــانِ

أصحابه الذين تفقَّهوا عليه أَو تخرَّجوا به :

نقلاً عن ٱبن سَمُرَة الذي قال :

وطبق بالأرض الأَصحاب ، فما أَعلم في أكثر هذا المِخلاف[3] . فقيهاً

---

(١) صارم الدين داود ، له ترجمة عند البريهي في « طبقات صلحاء اليمن » (ص/ ١٦٤) وما بعدها ، والأكوع في « هجر العلم ومعاقله » (ص/ ٢١٤٤) وفيه : كانت وفاته بالمنصورة سنة ثمان مئة وتسع وعشرين .

(٢) وجاء في بعض المصادر :

وقــال فــي ختمــه قــولاً فصــار فيــه الــ ... ــركــب يمتثــل والبــدو والحضــر

(٣) يعني به : مخلاف الجَنَد ؛ أحد مخاليف اليمن . **والمخلاف** : يطلق على موضع صقع ، أو مدينة فيها .

مجوداً ، ومناظراً مجتهداً إلاَّ من أَصحابه ، أَو أَصحاب أَصحابه ، ومن هؤلاء الجهابذة الأَعلام :

- محمَّد بن موسى بن الحسين بن أَسعد بن عبد الله ين محمَّد بن موسى بن عِمران وهو أَقدم أَصحابه قراءة عليه ، وأعلاهم رتبة وأَرفعهم درجة ، وكان حافظاً مجوِّداً ، وكان الإمام يحيى يقول : ذاكرت الفقيه محمَّد بن موسى في الأوَّل من « البيان » وأكثر الثاني عن ظهر قلب .
- أبو الطيِّب طاهر بن الإمام يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد العمراني شيخ ابن سَمُرَة ت : (٥٨٧ هـ) .
- عُثمان بن أَسعد بن عُثمان بن أَسعد بن عبد الله بن محمَّد بن موسى بن عمران ، خال ولده ، وصهره ، وآبن عمِّه .
- مسلم بن أَسعد ابن عمِّه .
- علي بن عبد الله بن عيسى الهرمي ، عالم مبرز في علوم كثيرة ، كان من أجلَّة تلاميذ العمراني ، وقد كلفه بمناظرة القاضي جعفر المعتزلي . توفي سنة (٥٧٠) هـ في قرية العُصَيرة .
- عمر بن حِمْير بن عبد الحميد التباعي المتوفى آخر القرن السادس كان من أعيان الفقهاء وفضلائهم ، سمع « البيان » من مؤلفه العمراني ، وقد وقف كتبه ، ومنها « البيان » وعليه سماعه من مصنفه وإجازته به على طلبة العلم .
- الفقيه عبد الله بن عُمر التباعي .
- الفقيه عليّ بن عُمر التباعي .
- عليّ بن أَبي بكر بن سالم بن عبد الله الفقيه الزاهد الورع .
- أَحمد بن محمَّد بن عبد الله بن مسعود بن سالم البريهي ، جمع بين الزهد والورع والعلم والحديث .
- عليّ بن أَبي بكر بن سالم بن عبد الله العمراني .
- عبد الله بن سالم بن زيد بن إسحاق الأصبحي .

ـ محمَّد بن عُمر بن محمَّد بن عُمر بن أَحمد بن إِبراهيم العمراني .

ـ عبد الله بن محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن عليّ بن إسماعيل العمراني .

ـ أَحمد بن محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن عليّ بن إسماعيل العمراني .

ـ محمَّد بن عيسى بن سالم الميتمي .

ـ محمَّد بن إِبراهيم بن الحسين ، تفقَّه بيحيى بن أَبي الخير وأَخذ عنه « غريب الحديث » والفقه ومختصر « العين » .

ـ سليمان بن فتح بن مفتاح .

ـ أحمد بن عَمرو بن أَسعد بن الهيثم .

ـ محمَّد بن يوسُف .

ـ حسين بن عليّ بن جَسْمر .

ـ محمد بن مفلح الحضرمي .

ـ عَمرو بن سليمان السَّريّ صهره على ٱبنته ، وأكرم أَصحابه لديه .

ـ سليمان بن عبد الله السري .

ـ أَحمد بن إِسماعيل بن الحسين المأربي .

ـ عبد الله بن أَسعد بن أَبي زيد .

ـ محمَّد بن أَسعد بن أَبي زيد .

ـ محمَّد بن إبراهيم الأَديب الفقيه .

ـ عَمرو ٱبن خال الفقيه عبد الله بن عُمر .

ـ عليّ ابن خال الفقيه عبد الله بن عُمر ، وهؤلاء الخمسة من بني تباع .

ـ سعيد بن محمَّد ابن البعداني .

ـ أَحمد بن يوسُف من وَصاب

ـ موسى بن يوسف من وصاب .

ـ عامر بن عليّ الوصابي .

ـ محمد بن عبد الله العُمَري .

ـ محمَّد بن عبد الله بن نُزيْل من جبل تيْس .

ـ عبد الله بن أبي السعد .

ـ عليّ بن مسلم

ـ علي بن مقبل ، هؤلاء الثلاثة من ناحية (بينون) في بلاد شاور .

ـ عليّ بن زيد بن الحسن الفائشي .

ـ عبد الله بن محمَّد بن حُميْد الزَّوقري ، وكان مشهوراً بالحفظ والذكاء .

ـ عبد الله بن أبي بكر من (السُّرةِ)

ـ عبد الله بن الزَّوقري ، من قرية (عُرَز) .

ـ أَحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عليان بن محمد بن يحيى الربيعي الرعيني الإكنيتي ، عالم محقق في الفقه ، انتشر عنه سماع « البيان » للإمام العمرانيِّ ؛ لأنه أدركه فسمعه منه . كان حيّاً إلى سنة: (٦٢٠) هـ من كتاب « هِجَر العلم ومعاقله في اليمن » (ص/ ١١٥) .

ـ عليّ بن سعيد المُخائي من (الظرافة) .

ـ فضل الله بن أَبي بكر الأقطع ، من (الوزيرة) .

ـ إبراهيم بن أَسعد من بني مَرِيٍّ .

ـ السلطان عبد الله بن بسطام من بني نمْرٍ من (الرَّكْب) .

ـ محمَّد بن أَسعد من أهل (سَوَدَان) من بني صالح .

ـ محمَّد بن أَحمد بن عُمر بن إِسماعيل بن علقمة الخوْلانيّ .

ـ محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن سالم .

ـ أَحمد بن زيد بن حسين الخَلَقي الهمداني .

ـ أَبو بكر بن سالم الحرازي .

ـ علي بن أَحمد بن زيد المساني الحِميري .

ـ أَبو بكر بن عبد الله بن عبد الرزّاق .

ـ محمَّد بن عبد الله بن عبد الرزّاق .

ـ عُمر بن تُبَّع .

ـ عُمر بن أَبي بكر بن أَبي حَنَال .

ـ محمَّد بن ثعالة بن مسلم اليافعي .

ـ عيسى بن مفلح الشَّبَوِي .

ـ أَحمد بن سليمان الشبوي .

ـ موفَّق ابن مُبارك ، مسكنه قرية (ألخ) من بلاد بني حُبيش .

ـ محمَّد بن جرير .

ـ محمَّد بن عبد الله الحضرمي ، مسكنه (تَريم) .

ـ عليّ بن أَبي بكر بن داود القُرَيْظي ، أصله من (لحج) ، ثمَّ سكن (زبيد) .

ـ محمَّد بن خلف المقرىء التهامي .

ـ منصور بن إبراهيم الموصلي ، قاضي (لحج) .

ـ زيد بن عبد الله بن أَحمد بن محمَّد بن أبي عبد الله الهمداني من (زَبَران) .

ـ مسلم بن مسعود من أهل (دَلال) .

ـ عبد الله بن مسعود ، وكان فقيهاً مجوِّداً .

ـ يحيى بن أَحمد بن عليّ بن إسماعيل بن مسكين .

ـ أَبو بكر بن محمَّد العبسي ، خَتَنُ الفقيه عبد الله بن يحيى الصعبي .

ـ أَحمد بن زيد بن محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن إبراهيم بن عُمر التربي .

ـ ذكي بن عبد الله الحبشي .

ـ أَحمد بن مطروح الحبشي .

ـ السيِّد يوسُف بن عبد الله المُزَكِّي .

ـ عليّ بن عبد الله بن عيسى بن أيمن .

ـ حسن بن محمَّد بن موسى الطُّويري .

ـ عبد السلام بن أَبي بكر .

ـ يوسُف القطراني قاضي (الكَدْرا) .

ـ أَبو بكر العكاري قاضي (فَشَال) .

ـ أبو بكر بن فالح .

ـ أَبو ربيعة بن أحمد فقيه (القرشيَّة) .

ـ الفقيه المخزومي محمَّد بن أَحمد .

ـ القاضي عيّاش بن محمَّد المخزومي .

ـ محمَّد بن عيسى بن همدان .

ـ عليّ بن عيسى بن همدان .

ـ عبد الله بن أَحمد الصُّريدح .

ـ محمد بن زكريا . وغيرهم رحمَهُم المولى تعالى .

وفاته :

كانت وفاته رحمَهُ اللهُ تعالى في قرية (ذي السَّفال) مبطوناً ، وذلك بعد أن اعتقلت لسانه يومين وليلة . وكان إذا جاء وقت الصلاة سأل عن ذلك بالإشارة ، فإذا قيل له بالوقت : صلَّى إِيماءً . ثمَّ كان لا يزال يشير بالتهليل . . يُعرَف ذلك منه برفع مسبِّحته وتحريكها ، إِلى أَن اخترمته المنية ليلة الأربعاء السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وخمس مئة للهجرة ، الموافق لعام (١١٦٣) للميلاد .

رثاؤه :

ذكر ابن سَمُرَة قول بعض أهل عصره فيه [من الكامل] :

لله شيـــخٌ مـــن بنـــي عِمـــرانِ ... قــد ســادنــا بــالعلــمِ بــالأركــانِ[1]

يحيى لقــد أحيــا الشــريعــةَ هــاديــاً ... بفــوائــدٍ[2] وغــرائــبٍ وبيــانِ

هــو دُرَّةُ اليمــنِ الــذي مــا مثلُــهُ ... مــن أَوَّلٍ فــي عصــرنــا أو ثــانِ[3]

* * *

(١) في « مرآة الجنان » (ص/٢٤٦) : قد شاد قصر العلم ، وعند ابن سَمُرَة : مذ كان شاد العلم .

(٢) لعلَّه تحريف ، وعند ابن سَمُرَة : (بزوائد) وهي الأَقرب .

(٣) الأبيات في « طبقات فقهاء اليمن » (ص/ ١٨١) ، و« معجم الأدباء » : (١٠/ ٢٧٠) ، و« يتيمة الدهر » : (٤/ ٢٣٥) ، و« طبقات السبكي » ، (ص/ ٣٣٨) ، و« غربال الزمان » (ص/ ٤٣٧) .

تعريفات بمصطلحات كتب الشافعية

أ ـ **الأَقوالُ** : ويرادُ بها أَقوالُ الإمامِ في القديمِ أَو الجديدِ ، أَو القديمِ والجديدِ في وقتٍ واحدٍ أَو وقتَينِ ، وقد يُرجِّحُ بينَهُما ، وقد لا يرجح .

ب ـ **الأَوجُه** : هي آراءُ أَصحابِ الشافعيِّ التي يُخرِّجونَها على قواعدِ أُصولهِ ويستنبطونَها مِنْ قواعدِهِ ، وقد يجتهدونَ في مسائلَ مِنْ غير أَخذٍ عَنْ أُصولهِ ، فلا تُسمَّىٰ وجهاً . وقد يجتمعُ للشخصِ وَجهانِ كالقولين .

جـ ـ **الطُّرقُ** : تدلُّ على ٱختلافِ الأَصحابِ في حكايةِ المذهبِ ، فيقولُ أَحدُهُم : في المسأَلةِ قولانِ أَو وجهانِ ، فيقولُ آخرُ : لا يجوزُ إلا قولٌ واحدٌ أَو وجهٌ واحدٌ ، أَو يقالُ : في المسألةِ تفصيلٌ ، فيقولُ الثاني : فيها خلافٌ مطلقٌ .

د ـ **المشهورُ** : يعني الرأيَ الراجحَ مِنَ ٱلقولَين أَو الأَقوالِ إذا كانَ الاختلافُ ضعيفاً ، فالمعتمدُ وقتئذٍ هوَ المشهورُ ، وفي مقابلهِ : المرجوحُ الضعيفُ ، ويقالُ فيهِ : وفي قولٍ .

هـ ـ **الأَظهرُ** : هوَ الرأيُ الراجحُ مِنَ ٱلقولينِ أَو ٱلأَقوالِ إذا كانَ الاختلافُ قويّاً ؛ لأَنَّ كُلاًّ منهما يعتمدُ علىٰ دليلٍ قويٍّ ، وتَرجَّحَ أَحدُهُما علىٰ الآخرِ فالراجحُ الأَظهرُ ، ويقابلُهُ الضعيفُ المرجوحُ ، ويشارُ إليهِ : وفي قولٍ أيضاً .

و ـ **الأَصحُّ** : يعني الحكمَ الفقهيَّ الراجحَ في المذهبِ مِنْ بينِ آراءِ الأَصحابِ ، وذٰلكَ إذا قويَ الخلافُ ، ولكلٍّ دليلٌ ظاهرٌ وقويٌّ .

ز ـ **الصحيحُ** : هوَ الوجهُ الراجحُ مِنْ آراءِ الأَصحابِ ، فالوجهُ المعتمدُ هوَ الصحيحُ ، والذي يُشعرُ بفسادِ مقابلهِ وضعفهِ ، ويُعبِّرُونَ عنه : وفي وجهٍ .

ح ـ **النصُّ** : ويرادُ بهِ ما كتبهُ الشافعيُّ أَو أُسندَ إِليهِ .

ط ـ **المذهبُ** : هوَ الرأيُ الراجحُ عندَ وجودِ ٱختلافِ الأَصحابِ في حكايةِ المذهبِ بذكرهمُ ٱلطرقَ .

ي ـ **التخريجُ** : هوَ ما يُؤخذُ مِنْ إجابةِ الشافعيِّ بحكمينِ مختلفَينِ في صورتَينِ متشابهتَينِ ولَم يَظهرِ ٱلفرقُ بينَهما ، فينقلُ الأَصحابُ جوابَهُ في كلِّ صورةٍ إِلى الأُخرىٰ فيحصلُ منهما قولانِ : منصوصٌ ومخرَّجٌ ، أَحدُهُما في الأُولىٰ والآخَرُ في الثانيةِ ، والأَصحُّ في المخرَّجِ أَنْ لا يُنسَبَ للشافعيِّ .

ك ـ **الجديدُ** : هوَ قولُ الإمام بمصرَ تصنيفاً أَو إِفتاءً ، ونقلَهُ البويطيُّ والمزنيُّ والربيعُ المراديُّ وحرملةُ .

ل ـ **القديم** : هوَ ما قالَهُ الشافعيُّ في العراقِ تصنيفاً أَو إِفتاءً ، ورواتهُ : أَحمدُ ٱبن حنبلَ والزعفرانيُّ والكرابيسيُّ وأَبو ثورٍ ، فكلُّ مسألةٍ فيها قديمٌ وجديدٌ . فالمعتمدُ الجديدُ ؛ لأَنَّ القديمَ قد رجعَ عنهُ ، وٱستُثنِي مِنْ ذٰلكَ مسائلُ .

م ـ **الأَصحابُ** : هم أَصحابُ الآراءِ في المذهبِ الذينَ يُخرِّجونَ الأَوجهَ علىٰ أُصول الشافعيِّ يَستنبطونها من قواعدِهِ ، ولَهمُ ٱجتهاداتٌ في مسائلَ عن غير أصولهِ ، منهم : أَبو حامدِ الإسفرايِنيُّ والقفَّالُ .

ص ـ **طريقُ العراقيِّينَ** : ويَضمُّ جماعةً مِنَ ٱلفقهاءِ المتقدِّمينَ في القرن الخامس أذكرُ منهم : أَبو حامدِ الإِسفراييني ت : (٤٠٦) هـ ، وتبعَهُ المحامليُّ أَحمدُ بنُ محمدٍ ت : (٤١٥) هـ ، وأَبو عليّ البندنيجي ت : (٤٢٥) هـ ، وسُليمُ الرازيُّ ت : (٤٤٧) هـ ، والقاضي أَبو الحسنِ الماورديُّ ت : (٤٥٠) هـ ، وأَبو الطيِّبِ الطبريُّ ت : (٤٥٠) هـ ، والشيخُ

أَبو إِسحاقَ الشيرازيُّ ت : (٤٧٦) هـ الذي كان عراقيّاً محضاً وبخاصَّةٍ في « المهذَّبِ » .

ع ـ **طريقُ الخراسانيّينَ** : ويشملُ عدداً لا بأسَ بِهم ، ومنهمُ : القفَّالُ الصغيرُ عبدُ الله بنُ أَحمدَ ت : (٤١٧) هـ ، والمسعوديُّ محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ ت : (٤٢٠) هـ ، وأَبو عليٍّ السنجيُّ ت : (٤٣٠) هـ ، وأَبو محمَّدٍ الجوينيُّ ت : (٤٣٨) هـ ، والفورانيُّ عبدُ الرحمٰنِ بنُ محمَّدٍ أَبو القاسمِ صاحبُ « الإِبانةِ » ت : (٤٦١) هـ ، والقاضي حسينُ المروزيُّ ت : (٤٦٢) هـ .

ف ـ **الجامعونَ بينَ الطريقتَينِ** : وهمُ ثُلَّةٌ مِنْ أَصحابِ الشأنِ في المذهبِ أيضاً ، منهُم : الرُّويانيُّ ت : (٤٥٢) هـ ، وأبنُ الصبّاغِ صاحبُ « الشاملِ » عبدُ السَّيدِ بنُ محمَّدٍ ت : (٤٧٧) هـ ، وإِمامُ الحرمَينِ عبدُ الملِكِ بنُ يوسفَ الجوينيُّ ت : (٤٧٨) هـ ، والمتولِّي عبدُ الرحمٰنِ بنُ مأمونٍ ت : (٤٧٨) هـ ، وأبو بكر الشاشي ت : (٥٠٥) ، ومحمَّد بن محمَّد الغزالي ت : (٥٠٥) هـ ، ثمَّ تابعهُم علىٰ ذٰلكَ العمرانيُّ في كتابهِ « البيانِ » ت : (٥٥٨) ، والرافعيُّ ت : (٦٢٣) هـ ، والنواويُّ ت : (٦٧٦) هـ .

فائدةٌ : في بيانِ صِيَغِ التضعيفِ والتمريضِ للأقوالِ والوجوهِ منها قولُهم :

قيلَ كذا : فهوَ وجهٌ ضعيفٌ ، والصحيحُ أَوِ ٱلأَصحُّ خلافُهُ .

وفي قولٍ كذا : فالراجحُ خلافُهُ . وفي وجهٍ كذا : فالمعتمدُ خلافُهُ .

ورويَ كذا : هٰذا لفظٌ يشملُ توهينَ الحُكمِ الفقهيِّ ، كما يُستعمَلُ في ضعفِ وتليينِ سندِ حديثٍ نبويٍّ ، أَو أَثرِ صحابيٍّ ، أَو خبرِ تابعيٍّ .

وقالَ العلاَّمةُ الكرديُّ في « الفوائدِ المدنيةِ » : نظمَ بعضُهم ٱلأقوال القديمة المُرَجَّحة فقالَ مِنَ الكاملِ :

مسـائـلُ الفتـوىٰ بقـولِ الأَقـدمِ ... هـيَ لـلإمـامِ الشـافعـيِّ الأَعظـمِ

لا ينجسُ الجاري ومنعُ تباعدِ والطهرُ لَم يُنقَضْ بلمسِ المَحرَمِ
وٱستجمرنْ بمجاوزٍ عَنْ مخرجٍ للصفحتينِ ولو تلوَّثَ بالدمِ
والوقتَ مُدَّ إلىٰ مغيبِ المغربِ ثوِّبْ بصبحٍ والعشاءَ فقدِّمِ
لا تأتينْ في الأُخريينِ بسورةٍ والاقتداءُ يجوزُ بعدَ تحرُّمِ
والجهرُ بالتأمينِ سُنَّ لمقتدٍ والخطَّ بينَ يدي مصلٍّ عَلِّمِ
والظُّفرُ يُكرَهُ أخذُهُ مِنْ ميِّتٍ وكذا الرِّكازُ نصابُهُ لَم يلزمِ
ويَصحُّ عَنْ ميْتٍ صيامُ وليِّهِ ويجوزُ شرطُ تحلُّلٍ للمُحرمِ
ويجوزُ إجبارُ الشريكِ علىٰ البِنا وعلىٰ عمارةِ كلِّ ما لا يُقسَمِ
والزوجُ إنْ يكنِ ٱلصَّداقُ بيدهِ فضمانُ يد حُكمهِ في المغْرَمِ
والجِلدُ بعدَ الدبغِ يحرمُ أكلُهُ والحدُّ في وطءِ الرقيقِ المُحرَّمِ

قالَ : وثمَّةَ مسائلُ أُخرىٰ مذكورة علىٰ القديمِ ، إلىٰ أنْ قالَ : ولَو تتبعتَ كلامَ أئمتنا . . لَزادتِ المسائلُ علىٰ الثلاثينَ بكثيرٍ . وقد نبَّهَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ كلِّ فردٍ منها أنَّه ما يُفتىٰ فيهِ بالجديدِ ، وبيَّنَ أيضاً أنَّ الفتوىٰ بنجاسةِ الماءِ الجاري القليلِ بمجرَّدِ ملاقاةِ النجاسةِ وإنْ لَم يتغيَّرْ كالراكدِ ، وأنَّ المذهبَ ٱشتراطُ النصابِ في الركازِ ، وأنَّ المعتمدَ أنَّه لا يَجوزُ إجبارُ شريكهِ علىٰ العمارةِ في الجديدِ ، وأنَّ الصحيحَ : كونُ الصَّداق مضموناً ضمانَ عَقْدٍ ، وأنَّ المدبوغَ يَحرمُ أَكلُهُ عند ٱبنِ حَجَرٍ بلا تفصيلٍ .

وأمَّا الجَمالُ الرمليُّ فقالَ : يحلُّ أكلُ المدبوغِ مِنَ ٱلمذكَّىٰ ويحرمُ غيرُهُ ، سواءٌ كانَ مما لا يُؤكَلُ لَحمُهُ أَو مِنْ ميتةِ المذكَّىٰ ، وأنَّ المعتمدَ عدمُ وجوبِ الحدِّ بوطءِ أمتهِ المحرَّمةِ عليهِ بنسبٍ أَو رَضاعٍ أَو مصاهرةٍ وهوَ القولُ الجديدُ ، وبرهنَ علىٰ ذٰلكَ ، فانظرهُ إنْ شئتَ اهـ .

* * *

وَصفُ النُّسَخِ الخَطِّيَّةِ

اعتمدنا في تحقيق هـٰذا الكتابِ علىٰ خمسةِ مخطوطاتٍ :

النسخةُ الأُولىٰ : وهيَ المعتمدةُ أصلاً ؛ لأنَّها أوعبُ نسخِ الكتابِ ـ نسخةُ مكتبةِ (الأَحقافِ) بتريمَ ، وُسِمَتْ بعنوانِ : « بيانُ سيِّدي . . . العمرانيّ » ، تقعُ في أَربعِ مجلَّداتٍ ، وهيَ من تملُّكِ السادةِ الأَشرافِ : (محمَّدٍ وشيخٍ ٱبنيْ أبي عبدِ الرحمنِ بنِ أحمدَ الكاف) . سطورُها ما بينَ (٢٠) و (٣٠) سطراً ، تتراوحُ عددُ كلماتِ السطرِ بين : (١٢) إلىٰ (١٥) كلمةً ، كانَ الفراغُ من نسخِ المجلَّدِ الأوَّلِ على يدِ (محمَّدِ بن عبدِ الله بنِ عبدِ العزيزِ المفتي الحبيشي الإِصابي) في مدينة (جبلةَ) ليلةَ السبت (١٣) رمضان سنةَ : (١٢٩٩) هـ .

أمَّا المجلَّدُ الثاني : فلم نجد ما يشيرُ إلى اسم ناسخهِ أو تاريخ نسخهِ .

والمجلَّد الثالثُ : فناسخهُ : (سعدِ بنِ يحيىٰ بنِ عبدِ الكريمِ) ولم نجد ما يشيرُ إلىٰ تاريخِ نسخهِ .

أمَّا المجلَّدُ الرابعُ : فناسخهُ هوَ ناسخُ المجلَّدِ الأَوَّلِ ، وكانَ الفراغُ من نسخهِ ليلةَ الخميسِ (١٣) رمضانَ سنةَ : (١٣٠٢) هـ . وخطُّها نسخيٌّ معتادٌ ، كُتِبَتْ رؤوسُ المسائلِ والأَفرعِ والكتبِ والأَبوابِ وإذا ثبتَ هـٰذا ودليلُنا بخطٍّ مغايرٍ . ذاتِ الرقمِ : (٥٥٧) . ورمزنا لها بـ (م) .

النسخةُ الثانيةُ : هيَ نسخةُ مكتبةِ (أحمدَ الثالثِ) بتركيا ، بعنوانِ : « البيان في فروع الشافعيَّةِ » . تقعُ في أَحدَ عشرَ مجلَّداً ، وهيَ غيرُ كاملةٍ ،

وينقُصُ منها المجلّد الثالِثُ والثامِنُ والتاسِعُ ، سطورُها : (٢٣) سطراً ، تتراوح عددُ كلماتِ السطرِ ما بينَ : (٩) إلىٰ (١٣) كلمةً ، لَمْ نجد ما يشيرُ إلىٰ تاريخ نسخِها ، ولكنَّ الدلائلَ تشيرُ إلىٰ أنَّها كُتِبَتْ في القرنِ التاسعِ الهجريِّ ، خطُّها نُسخيٌّ معتادٌ ، نسخَها (منصورُ بنُ هلالِ بن حبشيِّ بنِ رخصِ السعديُّ ، ذاتُ الرقم : (٦٧٧/ ٤) ورمزنا لها بـ (د) .

النسخةُ الثالثةُ : هي نسخةُ (دارِ الكُتبِ المصريَّةِ) ، بعنوانِ : « البيانُ في الفقهِ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ » ، تقعُ في تسعِ مجلَّداتٍ ، وهيَ غيرُ كاملةٍ أيضاً ، ينقُصُ منها المجلَّدُ الرابعُ ، سطورُها (٢٥) سطراً ، يتراوحُ عددُ كلماتِ السطر ما بينَ : (٢٣) إلىٰ (٢٥) كلمةً ، أسماءُ الكتبِ والأبوابِ والمسائلِ والفروعُ كُتِبَتْ بخطٍّ ثخينٍ مُغايرٍ ، خطُّها نسخيٌّ معتادٌ ، تاريخُ نسخِها بينَ عامَي (٥٩٣ـ٥٩٤) هـ ، كتبها (إسماعيلُ بنُ أَحمدَ بنِ سعيدِ بنِ عفَّانَ بنِ مذكورِ المعروفُ بابنِ الغازي) ، ذات الرقم : (٢٧٣٧) . ورمزنا لها بـ : (س) .

النسخةُ الرابعةُ : وهيَ نسخةُ مكتبةِ (أَحمدَ الثالثِ) ، بعنوانِ : « البيانُ في الفقهِ علىٰ مذهبِ الإمامِ المُطَّلبيِّ محمَّدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ » ، وهيَ تشمل الجزءُ الأَوَّلُ ، والثالثُ المكرَّرُ ، والسابعُ ، والثامنُ ، سطورُها وعددُ كلماتها متفاوتٌ ، وخطُّها مزيجٌ بينَ نُسخيٍّ معتادٍ ونسخيٍّ مسترسِلٍ ، تبَيَّنَ لنا أَنَّ ناسِخها هوَ ناسخُ النسخةِ الثالثةِ (ابن رخصِ السعديُّ) ، ذاتِ الرقم : (٦٧١/ ١) ورمزنا لها بـ : (ظ) .

النسخةُ الخامسةُ : وهيَ نسخةُ مكتبة (جامع المظفَّر) بتعز ، جاءت بعنوانِ : « البيانُ علىٰ مذهبِ إِمامِ الأَئمَّةِ وفخرِ الأُمَّةِ أَبي عبدِ اللهِ محمَّدِ بنِ إِدريسَ الشافعيِّ » ، وموجودٌ منها الجزءُ الخامس فقط ، سطورُها : (٢٧) سطراً ، وعددُ كلماتِ السطرِ تتراواحُ ما بينَ : (٢٣) إلىٰ (٢٥) كلمةً . لم

نستطع العثورَ علىٰ اسمِ ناسِخها ، ولا تاريخِ نسخها ، وهيَ نسخةٌ رديئةٌ أَتَتْ علىٰ مُعظمِها الرطوبةُ ، وعدد أوراقها (٢٦٥) ورقةً ، وقد أفدنا منها مؤخَّراً لذٰلكَ لم نرمُزْ لها ، وقد أَشرنا أَحياناً لفروقِها مع قولِنا : في نسخةٍ ، أو معَ غيرها فنقولُ : في نسختين ، أو : في نسخ . واللهُ وليُّ التوفيقِ .

* * *

مَيّزات تُوضِّحُ مَنْهَجَ العِمْرَانيِّ في « البَيَانِ »

استوعب المصنف رحمه الله تعالى بأناةٍ في « البيان » تقسيم وترتيب وتنسيق أبي إسحاق في « المهذب » تفصيلاً وعموماً . فأبقى الكُتُبَ كتُباً ، والأبوابَ أبواباً إلا أنه جعل بدل الفصل مسألة وما زاده على « المهذب » فرعاً ، حتى عاد كتاباً حافلاً، مرتباً مفيداً، ممتنعاً سهلاً، جامعاً مُبيِّناً لمذهب الشافعي والأئمة المعتبرين، كما أنه سدَّ فراغاً في مكتبة الفقه الإسلامي، بل قد زينها ، وترى بيان ذلك جلياً في أمور :

١ـ أسلوبه في طريقةِ عرضه للكتب وللأبواب ، أَنَّهُ يفتتحُ بتعريفها وترجمتها لغة ، وشرعاً غالباً ، معتمداً بذلك على لغة القرآن ، والسنة ، وأدباء العرب ، وأئمة اللغة .

٢ـ يعرض أدلة الكتاب والباب من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، ثم يأتي بما انعقد عليه الإجماع ، ثم يختم بالقياس ، مع ذكر وجه الاستدلال ، أو يعتمد ما وجد في أحدها ، لأنها موارد التشريع المتفق عليها من قِبل عامَّة المسلمين ، وإن لم يَحْظَ بدليل يقول : وعلى قياس هذا ، أو الذي يقتضيه القياس[1] فهو يقيس مسألة على مسألة ، وحكماً على حكم .

ومن نهجه في سياق الأقوال والأوجه قوله : الطريق الأول أقيس ، وهلم جرّا .

---

(١) قال النواوي في « المجموع » (٣/ ٣٠٤) عن صاحب « البيان » في ذلك : وهذه عادته فيما لم ير فيه نقلاً، والله أعلم.

٣ـ أما مسائلُهُ فهي قسيمة الفصول بحيث تضمُّ كلُّ مسألة معنى خاصّاً بها فيسردها ويبين حكم مذهب الشافعيِّ فيها ، ثمَّ يذكر من وافق المذهبَ من الصحابة والتابعينَ والأئمةِ المجتهدبنَ ، ثمَّ يذكر قول المخالفِ من الأئمةِ أصحاب المذاهب بإنصاف واحترام مع تفريع رأيه ، ثم يذكر دليلنا على ذلكَ التفصيل ؛ ليبيِّنَ صحَّةَ وقوَّة مأخذِ الشافعيِّ من غير تعصب ، ثم يعقِّبُ ذلكَ بقولهِ : إذا ثبت هذا ، وهذا ديدنه في كثير من الأحيان إذا أراد أن يفرِّع على المسألة .

٤ـ تعدُّ مسائل « البيان » شرحاً يوضح فصول « المهذب » .

٥ـ يذكر دليل المسألة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، من الكتاب والسنة الصحيحة النيِّرة أو المعتبرة ، وإلا فبما اشتَهر أو ارتضى أخذُ الفقهاءِ بمثلِهِ وإن كان ضعيفاً ، أو أثراً غريباً إذا لم يكن عنه محيداً ، ويلتمس له تعليلاً مقيساً بحيث يستأنس الناظرُ للحكم ـ المستخرج على رأي الأصوليين المجتهدين ـ قبولاً .

٦ـ تناول في أثناء شرحه للمسائل كثيراً من أقوال الإمام الشافعي في القديم والجديد مع عزو المصدر الناقل عنه أحياناً ، ونقل أقوال أصحابه كالمزني والبويطي والربيع ويونس بن عبد الأعلىٰ وغيرهم ، ثم يعرِّج على ما اختلفَ فيه الفقهاء ومجتهدي المسلمين ، ثم يذكر أقوالَ أصحاب الوجوهِ مستدلاً ومعللاً للجميع ، كما أنه أكثر من ذكر جماعة نقل عنهم كابن الصباغ ، وابن القاصِّ ، وابن سريج ، وابن القفَّال ، والقاضي الصيمري ، والمحاملي ، وأبي عليٍّ الطبري ، وأبي الفتوح القاضي ، والشيخ أبي حامد الإسفراييني ، والفوراني ، وأبي الطيب الطبري ، وأبي علي السنجي ، والقاضي أبي إسحاق المروزي ، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، والقاضي أبي حامد المروزي ، وابن الحداد محمد بن أحمد المصري وغيرهم وخصوصاً يذكر المسعودي عند نقله عن

البغداديين ويراد به الفوراني غالباً كما سيأتي ذكره أول الكتاب وأحياناً ينقل عن كتبهم فيقول مثلاً : قال في « الفروع » ، « الشامل » ، « الإبانة » ، « التعليق » ، « العدة » ، « التلخيص » ونحوها وقد يعلِّق على الأقوال بـ: قُلتُ ، أو عندي ، ونحو الأصح عندي مذهباً وحجاجاً ، وقد يأتي بفنقلاتٍ كقوله : فإن قيل : . . . . قلنا : . . . . . وهكذا دواليك ، أو يختم بقول ابن الصباغ ونحوه .

٧ـ يغفلُ ذكر المنقول ـ مؤلفاً أو كتاباً ـ في بعض المسائل . كقوله في المسألة وجهان ، ثم يذكرهما ، أو لا .

٨ـ ثم يفرِّع على المسائل والأقوال والأوجه إذا كانت لذلك حاجة مصححاً أو مضعِّفاً أو مرجحاً لما سطره في بيانه .

* * *

مَنهجُ تحقيقِ الكِتابِ

يتطلب من المحقق دائماً التمحيصُ والتدقيق في النصِّ وتنقيته من التصحيف والتحريف والتكرارِ وشرح الغامض من الألفاظ ، وتوثيق كلام المؤلف بكلام من سبقه أو لحقه حتى تطمئن نفس القارىء إلى سلامة النص .

ولعلَّ مِنْ فضولِ القولِ الكلامَ عَنْ نَسخِ الكتابِ ومقابلةِ المنسوخِ علىٰ أصولهِ ؛ فهٰذا مِنْ بدهيّاتِ إخراجِ كتابٍ ما ، ولا يصحُّ إصدارُ أيِّ كتابٍ بغيرِ هٰذا المنهجِ ، فعلاماتُ الترقيمِ للنصِّ تجلِّيهِ وتوضّحهُ ، وتوزيعهُ يُسهِّلُ علىٰ طالبِ العلمِ قراءتَهُ ، وتُجَنِّبُهُ الوقوعَ في غيرِ الفهمِ المطلوبِ ، وعمودُ تحقيقِ مثلِ هٰذا الكتابِ هو ما يَستدعيهِ مِنْ تعقُّبٍ ، أو تعليقٍ ، أَوِ ٱستدراكٍ أَو تصحيحٍ ، أو تخريجِ حديثٍ ، أو تعريفٍ أو ترجمةٍ مِنْ غيرِ إسهابٍ وإخراجٍ عَنِ المقصدِ ، وذلكَ بربطِ التعليقِ بالنصِّ معَ ذِكرِ إحالةٍ تكونُ مفتاحاً للعبارةِ ، أو تبيِّنُ الحُكمَ علىٰ الحديثِ أَو الأَثرِ المستدلِّ بهِ ، أو تردّهُ إِلىٰ موردهِ ، وإليكَ تفصيلُ خطواتِ ذٰلكَ :

١ـ اعتمدنا في إخراجِ النصِّ علىٰ نسخةِ مكتبةِ (الأحقافِ) تريمِ الكاملةِ بالنسبةِ لباقي النسخِ ، ورمزنا لها بـ : (م) كما أَفادتنا نسخٌ أُخرىٰ ، رمزنا للأُولىٰ : (د) ، وللثانيةِ : (س) ، وللثالثةِ : (ظ) وغيرِها ، وأَشرنا إِليها في الأَجزاءِ الأُولىٰ ، ثمَّ إِنّنا ضَربنا عَنْ ذِكرها صَفحاً لمّا وَجدناها تستغرقُ مجلَّداً أَو أَكثرَ ، فأَثبتنا ما لهُ إعوازٌ وحاجةٌ ، فكانَ ما ذُكرَ مِنَ الفروقِ لِماماً ، وكذا لَم نُشرْ لِما وَقعَ فيها مِنْ سقطٍ أَو غلطٍ .

٢ـ شَكَّلنا المبهَمَ مِنَ ٱلألفاظِ بالحركاتِ ، وثبَّتنا الشدَّةَ علىٰ الحروفِ المشدَّدةِ ، ولَم نلتزمِ اللامَ الشمسيَّةَ ، وضبطنا غالبَ أَواخرِ كَلِمِ النصِّ بشكلٍ جيِّدٍ .

٣ـ شَرحنا الكلماتِ الغريبةَ ، وبيَّنا المصطلحاتِ الفقهيَّةَ .

٤ـ وضعنا عنونةً لكلِّ مسألةٍ أو فرعٍ بينَ حاصرتَينِ ، وكذا الإضافةُ اللازمةُ من زيادتنا [ ] هٰكذا .

٥ـ عارضْنا منسوخَ الكتابِ علىٰ نسخةِ مكتبةِ (الأحقافِ) تريمِ قَبْلَ التحقيقِ ، وبعدَ الصفِّ الحاسوبيِّ .

٦ـ رقَّمنا النصَّ وفصَّلناه علىٰ النحوِ الآتي :

ا ـ وضعنا للآياتِ القرآنيَّةِ قوسينِ مزركشينِ : ﴿ ﴾ .

ب ـ وضعنا للأَحاديثِ النبويَّةِ القوليَّةِ قوسينِ صغيرينِ : « » .

جـ ـ وضعنا للقراءةِ الشاذَّةِ ، وللأَحاديثِ الفعليَّةِ ، ولأَخبارِ الصحابةِ وآثارهِم ، ولأَقوالِ الأئمَّةِ الأَربعةِ ، وداودَ ، والأَوزاعيِّ ، واللَّيثِ ، وأَبي ثورٍ ، وللكلماتِ التي شرحَها المؤلِّفُ ، ولرموزِ النُّسخِ المعتمدَةِ ـ ثمَّ ٱكتفينا بالإشارةِ إلىٰ نسخةٍ أَو نسختينِ أَو نسخٍ ـ ولأَرقامِ الأَحاديثِ في الكتبِ المرقَّمةِ ، ولأَسماءِ الكتبِ في المؤلَّفاتِ إذا ذُكرَتْ خلالَ النصِّ ؛ ككتابِ (الزكاةِ) مثلاً ، ولأَرقامِ الأَجزاءِ والصفحاتِ التي عزونا إِليها في التحقيقِ والتخريجِ ، ولأَسماءِ السُّوَرِ ، وللقواعدِ الفقهيَّةِ ، والأَمثالِ العربيَّةِ ونحوها قوسين : ( ) هـٰكذا .

د ـ وضعنا لأَسماءِ الكتبِ المذكورةِ في متنِ الكتابِ ، أَو في المصادرِ التي رَجعنا إِليها في التحقيقِ والتخريجِ قوسينِ صغيرينِ : « » .

هـ ـ جَعلنا كلَّ كتابٍ وبابٍ في بدايةِ صفحةٍ جديدةٍ بحرفِ خطٍّ كبيرٍ .

و ـ وزَّعنا النصَّ بحيثُ تكونُ كلُّ فقرةٍ لها معنىً جديدٌ أوّلَ السطر وذلكَ يشملُ : المسألةَ ، والفرعَ ، والمعدوداتِ ، وإذا ثبتَ هٰذا ، دليلَنا وغيرَها .

ز ـ ميَّزنا الأَلفاظَ التاليةَ : دليلُنا ، مسألةٌ ، فرعٌ ، إذا ثبتَ هٰذا ، والمعدوداتُ ، أَكثرُ أَصحابِنا ، والجديدُ ، والقديمُ ، فعلىٰ هٰذا ، إذا قُلنا بهٰذا ، المستحبُّ ، الواجبُ ، المذهبُ ، الصحيحُ ، الأَصحُّ ، الأَشبهُ ، والقياسُ ، المنصوصُ ، جملةُ ذٰلكَ ، هٰذا مذهبُنا ، والذي يَقتضي المذهبُ ، والأَقيسُ ، والمشهورُ ، والكلماتُ التي نريدُ شرحَها في التعليقِ : بالحرفِ الأَسودِ .

حـ ـ رمزنا للترجمةِ وللوفاةِ بحرفِ : (ت) ، وللصفحةِ بحرفِ : (ص) بجانبِ ٱسمِ ٱلكتابِ ، ولأَرقامِ صفحاتِ « الإِبانةِ » ونحوِها مِنَ ٱلمخطوطاتِ : (ق) وبخاصة عندما ينقل عن المسعودي فإن اعتمدنا من « الإبانة » نسخة محفوظة بدار الكتب القومية برقم (٢٢٩٥٨/ب) عن مصورة الحرم النبوي فنقول : [في « الإبانة » [ق/ :] هكذا إذا وجدت الصفحة ، وقد تابعنا هذا الأمر إلى آخر الكتاب ولو مع عدم وجود المطلوب من بقية « الإبانة » ؛ لأنَّ جُلَّ أو كلَّ ما نقله عن المسعودي وجدناه في « إبانة » الفوراني فأشرنا إلى رقم ورقته بعد أن رقمناها صفحة صفحة .

٧ـ لَم نُثبتِ الفروقَ بينَ الألفاظِ التاليةِ :

أ ـ أي من نحو : النبيِّ ورسولِ اللهِ ، وعليهِ السلامُ وصلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وجلَّ جلالُه وسبحانَهُ وتعالىٰ ، وباللهِ التوفيقُ واللهُ أَعلمُ .

ب ـ ولا حروفِ العطفِ : الواوِ ، والفاءِ ، وأَو ، وثمَّ .

جـ ـ ولا أَدواتِ الشرطِ : لَو ، وإِنْ ، وإذا ، وكذا أَسماءُ الإِشارةِ .

د ـ ولا حروفِ الجرِّ : عَنْ ، مِنْ ، علىٰ ، اللام ، إلىٰ ، في . . . إلخ .

هـ ـ ولا إِكمالِ اسمٍ ، أَو : تحليتِهِ بأَل ، ولا زيادةِ لقبٍ ؛ كالشيخِ

ونحوهِ ، أَوِ ٱلكُنيةِ ، ولا ٱسمِ مؤلِّفٍ لكتابٍ ، أَو ذِكرِ الكتابِ ؛ كقولهِ مثلاً : قالَ ٱبنُ الصبَّاغِ ، أَو في « الشاملِ » .

و ـ ولا بينَ حروفِ النفي : لا ، ما ، لَم .

ز ـ ولا بينَ التقديمِ والتأخيرِ بالأَلفاظِ إِذا لَم تُغيِّرِ المعنىٰ .

حـ ـ ولَم نذكرِ الأَلفاظَ المتقاربةَ المعنىٰ التي لا يَتوقَّفُ عليها كبيرُ فائدةٍ .

٨ـ ذكرنا تخريج الآياتِ القرآنيةِ بوضعِ ٱسمِ السورةِ ورقمِ الآيةِ بينَ معكوفتينِ بجانبِها [ ] .

٩ـ خرَّجْنا الأَحاديثَ النبويَّةَ ، وأَخبارَ الصحابةِ باختصارٍ مِنْ دواوينِ السُّنَّةِ المطهَّرةِ الستَّةِ : « صحيح » البخاريِّ ، ومسلِمٍ ـ فإِذا وردَ الحديثُ في أَحدِهما . . ٱكتفينا بهِ غالباً عَنِ ٱلحُكمِ علىٰ الحديثِ ـ و« سننِ » أَبي داودَ ، والترمذيِّ ، والنسائيِّ ، وٱبنِ ماجه ، فإِنْ لَم يَكنْ بها . . فيخرجُ مِنْ : « موطأ » مالكٍ ، و« صحيحِ ٱبنِ حبَّان » ، و« المستدركِ » للحاكمِ ، و« المسانيدِ » : للشافعيِّ ، وأَحمدَ ، والطيالسيّ ، والحميديّ ، وعبدِ بنِ حميدٍ ، والمعاجمِ للطبرانيِّ ، و« السننِ » لسعيدِ بنِ منصورٍ ، وللدارميِّ ، والدارقطنيّ ، والبيهقيّ ، و« المصنَّفِ » لعبدِ الرزاقِ ، وٱبنِ أَبي شيبةَ ، و« الأَوسطِ » لابنِ المنذرِ ، ثمَّ مِنَ ٱلكتبِ التي عنيتْ بتخريجِ الأَحاديثِ الفقهيَّةِ كـ : « المنتقىٰ » لابنِ الجارودِ ، و« التحقيقِ » لابنِ الجوزيّ ، و« المجموعِ » و« خلاصةِ الأَحكامِ » للنواوي ، و« إِرشادِ الفقيهِ » لابنِ كثيرٍ ، و« تحفةِ المحتاجِ » ، و« البدرِ المنيرِ »، و«تذكرة المحتاج» لابنِ الملقِّنِ ، و« تلخيصِ الحبيرِ » لابنِ حَجَرٍ ، ثمَّ مِنْ كُتبِ التخريجِ لمذاهبَ أُخرىٰ كـ : « نصبِ الرايةِ » للزيلعيّ ، و« المحرَّرِ » لابنِ عبدِ الهادي وغيرِها ، ثُمَّ مِنْ نحوِ « كنزِ العمَّالِ » للمتقي الهندي ، و« الفتحِ الكبير » ليوسف النبهاني ، ثم من كتب الأحاديث المشتهرة كـ : « المقاصد الحسنة » للسخاوي ، و« كشف الخفاء » للعجلوني وغيرها .

وكذٰلكَ قدِ ٱستفدنا مِنْ سلسلةِ موضوعاتِ فقهِ السلفِ د . قلعجي منها : « موسوعةُ فقهِ » كلٍّ مِنْ أَبي بكرٍ ، وعمرَ بنِ الخطَّابِ ، وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، وعبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ ، وعليِّ بنِ أَبي طالبٍ ، وعثمانَ بنِ عفَّانٍ ، وعائشةَ ، وزيدِ بنِ ثابتٍ ، وأَبي هريرةَ ، وعبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهم .

ولا نكرِّرُ تخريجَ الحديثِ إلا إذا ٱختلفَ لَفظُهُ ، أَو عندَ ورودِ طرفٍ منهُ ، أَو إذا بعُدَ عَنْ تخريجهِ الأَوَّلِ ، أَوِ ٱستدراكاً لبعضِ المصادرِ مِنْ غيرِ إشارةٍ لذٰلكَ .

١٠ـ بيَّنا الأَوزانَ والمكاييلَ والمسافاتِ بالوحداتِ المعتبرَةِ الآنَ ، وذٰلكَ بالرجوعِ إلىٰ كتابِ « المكاييلِ والأَوزانِ الإسلاميَّةِ » ت . د . كامل العسلي .

١١ـ ذَكرنا بعضَ القواعدِ الفقهيَّةِ المؤيِّدَةِ للنصِّ .

١٢ـ ذيَّلنا بعضَ اللَّطائفِ الحديثيَّةِ ، والفوائدِ الفقهيَّةِ ، واللُّغويَّةِ ، والأَدبيَّةِ .

١٣ـ خرَّجْنا الأَبياتَ الواردةَ في النصِّ ، مع شرحِ غريبها وبيانِ بحرِها غالباً .

١٤ـ وَضعنا فهرساً تفصيليَّاً لمواضيعَ وبحوثِ الكتابِ في آخِرِ كلِّ جزءٍ .

١٥ـ تتبَّعنا أَقوالَ العمرانيِّ في « المجموعِ » و« الروضةِ » وغيرِهما وذكرنا ذلك أحياناً .

١٦ـ أَشرنا إلىٰ أَرقامِ الصفحاتِ التي نَقلَ عنها المؤلِّفُ مِنْ نحوِ « الأُمِّ » و« مختصرِ المزنيِّ » و« الإبانةِ » و« الإشرافِ » أَحياناً ممَّا تيسَّرَ بينَ حاصرتَينِ بجانِبها [ ] وذٰلكَ علىٰ قَدْرِ وسعنا .

١٧ـ وضعنا فهارسَ للكتابِ ، وتضمُّ ما يلي :

أ ـ فهرسةً للآياتِ القرآنيَّةِ حَسَبَ ترتيبِ المؤلِّفِ علىٰ الكتبِ والأَبوابِ .

ب ـ فهرسةً للأَحاديثِ القوليَّةِ والفعليَّةِ .

جـ ـ فهرسةً لأَخبارِ الصحابةِ ، وبعض آثارِ التابعِينَ وقد دمجتها مع الأحاديث .

د ـ فهرسةَ الكتبِ التي ٱستعانَ بها المؤلِّفُ وأكثرَ مِنْ ورودها في « البيان » معَ ذِكرِ مؤلِّفيها .

هـ ـ فهرسةَ الأَعلامِ الواردةِ في الكتابِ معَ ترجمتهِم وذِكرِ وفيَاتِهم .

و ـ فهرسةً للوحداتِ ، والمكاييلِ ، والأَوزانِ ، والمقاييسِ .

ز ـ فهرسةً للمصادرِ التي رَجعنا إِليها في التحقيقِ والموجود في حواشي النسخ أيضاً .

حـ ـ فهرساً ألفبائيّاً يشمل من مواضيع الكتابِ : الكتبَ والأَبوابَ ، وآخر تفصيلياً بنهاية كلِّ جزءٍ على حسب ترتيب «البيان» .

ط ـ فهارس للأَشعارِ ، والأَمثالِ ، والقواعدِ الفقهيَّةِ ، والفوائد الحديثية واللغوية ، والألفاظ المشروحة في كلٍّ من المتن والتعليقات ، والبلدانِ الواردةِ في نصِّ الكتابِ .

* * *

خاتمة

وأخيراً : فإنّي أَحمدُ اللهَ ـ عزَّتْ قدرتُه ـ كثيراً علىٰ أَنْ وفَّقني إلىٰ تحقيقِ هٰذا السِّفْرِ المباركِ ، وأنَّه كانَ عَوني ورائدي في كلِّ خطوةٍ خطوتُها ، وفي كلِّ سبيلٍ سلكتُهُ ، وكلَّما ٱستعنتُهُ . . أَعانني ، وكلَّما ٱستهديتُهُ . . هداني ، حتَّى ٱنتهيتُ منهُ بفضلهِ وكرمهِ علىٰ خيرِ ما كنتُ أَرجو وأَرغبُ فيهِ مِنَ الكمالِ ، و : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

ومِنَ ٱلحقِّ أَنْ أَقولَ : لَقدْ كانَ لوجودِ بعضِ المصادرِ التي نَهلتُ مِنْ معينها التأثيرُ البالغُ في تحصيل بغيتي ، والأَثرُ الواضحُ في إِنجاحِ نِتاجي ومُهِمَّتي .

وكذٰلكَ : إذا كانَ مِنْ حقٍّ لأحدٍ أَنْ يُشاركني الأَجرَ فيما بذلتُ ، أَو يُشاطرَني فيما قدَّمتُ . . فإنمَّا هُم : والدايَ وشيوخي والإِخوةُ الجادُّونَ في إِسعادِ هٰذا العملِ ليخرجَ الكتابُ في أَبهىٰ حلَّةٍ وأَبهجِ مظهرٍ ، وأَصلحِ مَخبرٍ ؛ أذكر منهم الأخ أحمد بركات والأخ محمد غسان عزقول والأخ محمد ياسر علوان لأَنَّهم لَم يألوا جهداً في بذلِ أَوقاتِهم ومعرفتِهم ونصحِهم ، وذٰلكَ بما هيَّؤوا ليَ مِنْ أَسبابٍ ساعدَتْ علىٰ متابعةِ العمل ، ومواصلةٍ ساهمَتْ في إتقانهِ ونقائهِ ؛ لأنه : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »[1]

وبهٰذا : أَرجو أَنْ أَكونَ قد وُفِّقتُ لما قَصدتُ ، مخلصاً فيما علَّقتُ أَو قدَّمتُ ، ملتزماً منهج التحقيق الذي أسلفت ، حتى يظهر ثروةً فقهيةً علميةً متألقة ومع هذا ،

---

(١) رواه عن أبي سعيد الترمذي (١٩٥٦) في البر والصلة وقال : حسن صحيح .

فإن أصبت فبفضل الله وتوفيقه ، وإن أخطأت فمن تقصيري ، وأَنَا أَسأَلُ اللهَ البرَّ الرحيمَ أَنْ ينفعني والناظِرينَ فيهِ بما أَودعتُهُ ، وأَنْ يجزينا جزاءَ مَنِ ٱقتديتُ بهِم فيما نقلتُهُ ، معَ أَنَّ المصنِّفَ قد بالغَ في الشرحِ والتبيانِ ، وأَدَّىٰ نصحَهُ في التقديرِ والبيانِ ، ونبَّهَ علىٰ جهةِ الصوابِ والبرهانِ ؛ حتَّىٰ يكون مَنْ أَخذَ عنهُ علىٰ ثقةٍ مِنْ دِينِ ربِّهِ ، ويقينٍ راسخٍ مِنْ صحَّةِ مذهبِهِ . . .

ويرحم الله أخاً أهدىٰ إليَّ عُيُوبي ؛ لأَنِّي جمعتُ هذا مع العجزِ وقلَّةِ البضاعةِ ، راجياً الاندراجَ في سلكِ خَدَمةِ العلمِ ، وملتمساً من فضلِهِ تعالى أنَّ مَنِ اطَّلَعَ على هفوةٍ أو خطأ أو زلَّةِ قلمٍ أن يصفحَ الصفحَ الجميلَ ويسدَّ الخلَلَ ؛ لأنَّ الشأنَ كما قال ﷺ : « كلُّ ابنِ آدمَ خطاءٌ وخيرُ الخطائينَ التوابونَ »[1] . ولستُ مجبولاً على الرَّشَدِ ، والإنسانُ محلُّ النسيانِ والغلطِ ، وأنهي كلامي بقول السيوطي رحمه الله تعالى : [من الوافر]

حَمَــدْتُ اللهَ رَبِّــي إِذْ هَــدَانِــي ... لِمَا أَبْدَيْتُ مَعْ عَجْزِيْ وَضَعْفِي
فَمَــنْ لِــيْ بِــاْلْخَطَــا فَــأَرُدُّ عَنْــهُ ... وَمَـنْ لِـيْ بِـاْلْقَبُـولِ وَلَـوْ بِحَـرْفِ

وقولِ أحدهم : [من الطويل]

فَــلاَ بُــدَّ مِــنْ عَيْــبٍ فَــإِنْ تَجِــدَنَّــهُ ... فَسَامِحْ وَكُنْ بِالسَّتْرِ أَعْظَمَ مُفضِلِ
فَمَـنْ ذَا ٱلَّـذِي مَـا سَـاءَ قـطُّ وَمَـنْ لَـهُ ٱلْـ ... ـمَحَاسِنُ قَدْ تَمَّتْ سِوَىٰ خَيْرِ مُرْسَلِ

في دمشق الشام

الخامس من رمضان (١٤٢٠) هـ

وكتبهُ أَبو محمَّدٍ

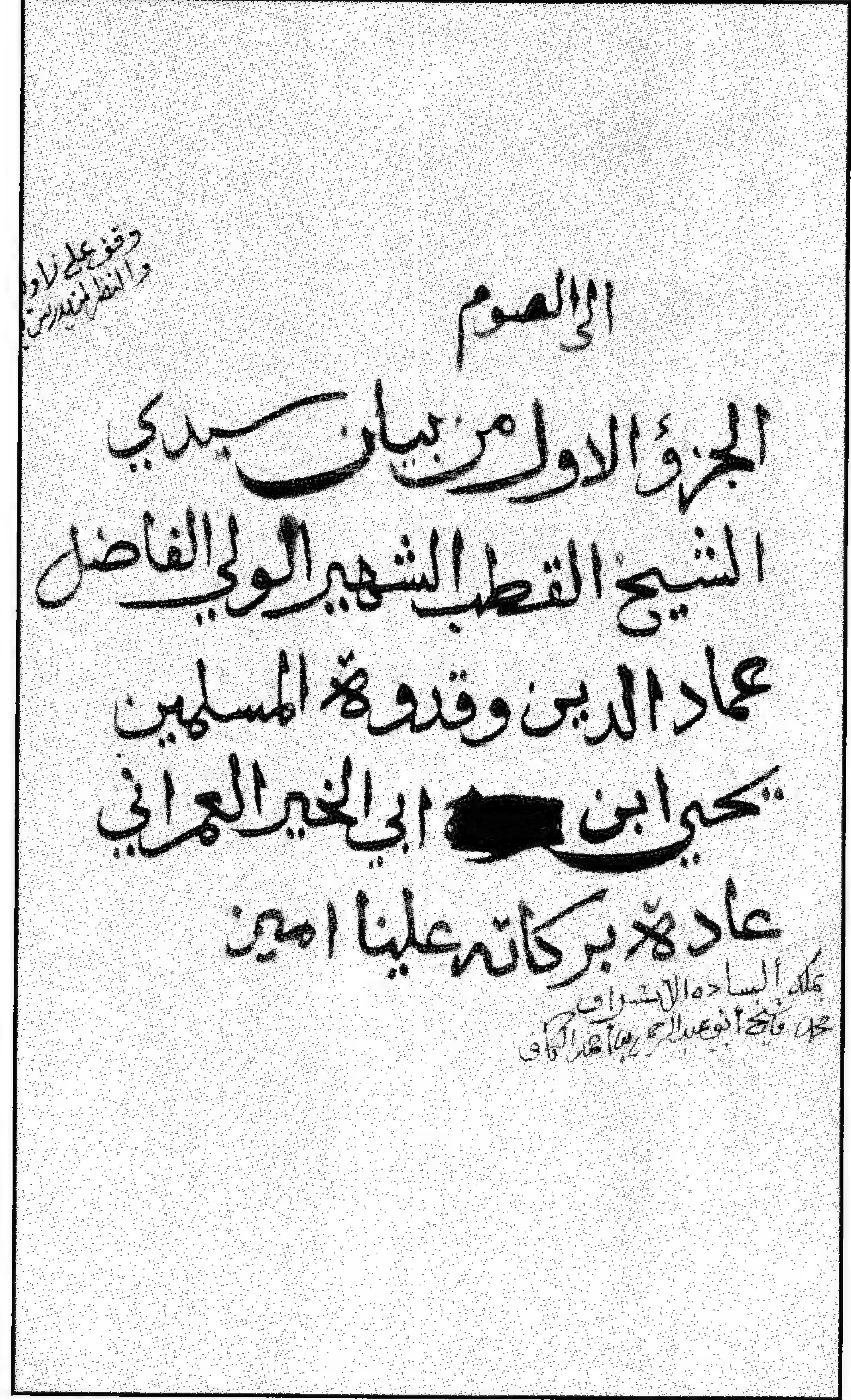
قاسمُ بنُ محمَّد بن عارف آغا النوريُّ

---

(١) أخرجه عن أنس الترمذي (٢٥٠١) في صفة القيامة .

صورة عن المخطوطات المستعان بها في تحقيق هذا الكتاب




الى الصوم

الجزء الاول من بيان سيدي

الشيخ القطب الشهير الولي الفاضل

عماد الدين وقدوة المسلمين

يحيى ابن ابي الخير العمراني

عادة بركاته علينا امين

راموز الورقة الأولى من المجلد الأول من نسخة (م)

٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اوجدنا بقدرته وارشدنا بخلقه الى معرفته ونحمده على ما انعم من
عبادة الله وصلواته على محمد المصطفى نبيه وعلى اهله وذريته وصحابته اما بعد
فلما كان مذهب الشافعي رحمة الله عليه [illegible] المهذب [illegible] وعليه اعتمادي
ثم طالعت [illegible] من مصنفات اصحابنا رضي الله عنهم [illegible] فيه تصعب على
استخراجها وايرادها من مظانه فاشار علي بعض شيوخي رحمة الله عليهم بمطالعة الشروح
وجمعها والفوائد والمسائل وفروعها اشتغالي لمطالعته مع المهذب على المسائل المنصوص
عليها في المذهب مجمع كتابا فرايت [illegible] سلكت فيه هذا السبيل لكي اغتنم الدراية
واقول [illegible] خشيت التطويل ثم نظرت فاذا في حاجة الى ذكرها اغفلته واستبقيها
ما [illegible] واجمعت هذا الكتاب [illegible] على ما قصدته وعلى [illegible] الله
[illegible] والله المعين على ما اردته والموفق لما نويته وهو حسبي
ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ذكر نسب الشافعي رضي الله عنه لا يسع
لمن انتحل مذهب امام انه لا يجهل نسبه وهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان
بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبي
صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف وكان لعبد مناف خمسة اولاد هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله
عليه وسلم والمطلب بن عبد مناف جد الشافعي رحمه الله وعبد شمس بن عبد
مناف جد بني امية وعثمان بن عفان رضي الله عنه منهم ونوفل بن عبد مناف جد بني
نوفل وجبير بن مطعم منهم وابو عمرو بن عبد مناف ولا عقب له وكان المطلب جد الشافعي
رحمه الله عم عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد بالمدينة ومات
ابوه فمضى له المطلب وقدم به مكة وهو مردفه وعليه ثياب [illegible]
الناس ان يقول له ابن اخي كان يقول عبدي فلما وصل منزله البسه ثم اخرجه وقال
ابن اخي فسمي بذلك عبد المطلب وقال اسمه المطلب وكان يسمى شيبة الحمد لانه
ولد وفي راسه شعرة بيضاء وقيل انه شاب قبل النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
البلوغ واما مولد الشافعي رضي الله عنه فانه ولد بغزة [illegible] والشام [illegible]
خمسين ومائة ثم اتى بها سنتين ثم حمل الى مكة فنشأ بها وتعلم بها القرآن على سفيان
بن عيينة وغيره ثم خرج الى المدينة فقرأ على مالك بن انس الموطأ وحفظه ثم دخل
بغداد واقام بها سنتين وصنف بها كتبه القديمة ثم عاد الى مكة واقام بها سنة تسع
وتسعين ثم عاد الى بغداد واقام بها اشهرا ولم يصنف بها شيئا ثم خرج الى مصر وصنف
بها كتبه الجديدة واقام بها الى ان مات بها ودفن هناك وكان موته ليلة الجمعة
وقيل ليلة الاربعاء [illegible] من رجب ودفن يوم الجمعة رحمة الله عليه قال الربيع انصرفنا

اعتقادي [illegible] المهذب

راموز الورقة الثانية من المجلد الأول من نسخة (م)

راموز الورقة الأخيرة من المجلد الأول من نسخة (م)



الى الشفعه

الجزو الثاني [illegible]

الشيخ القطب الشهير الولي

الفاضل عماد الدين [illegible]

المسمى يحيى ابن ابي الخير

العمراني [illegible] بركاته علينا

راموز الورقة الأولى من المجلد الثاني من نسخة (م)

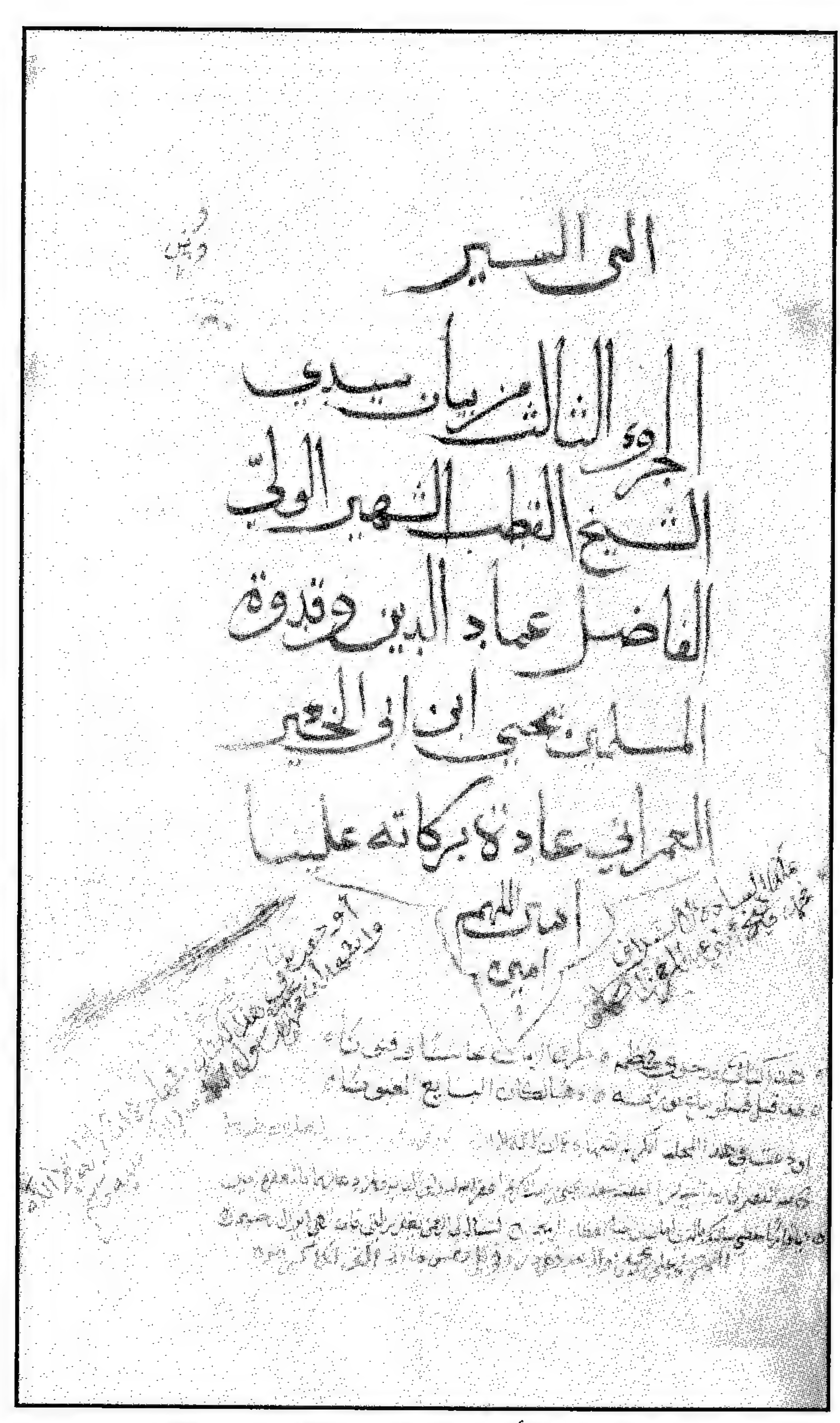


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الصيام

راموز الورقة الثانية من المجلد الثاني من نسخة (م)

راموز الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من نسخة (م)


الجزء الثالث من بيان سيدي
الشيخ القطب الشهير الولي
الفاضل عماد الدين وقدوة
المسلمين يحيى ابن أبي الخير
العمراني عادة لا بركاته علينا
آمين اللهم آمين

راموز الورقة الأولى من المجلد الثالث من نسخة (م)

كتاب الشفعة الشفعة مشتقة من الشفع وهو

الاثنان لان الشفيع يضم الى ملكه ملك المشتري وقيل انها مشتقة من الشفاعة

لان الشفيع يأخذها بطلب [غير مقروء] المشتري ليس بظالم والشفعة

من امر الاسلام ولم تكن في الجاهلية والاصل في ثبوتها ما روى ابو سلمة بن عبد الرحمن [غير مقروء]

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الشفعة فيما لم يقسم فاذا وقعت الحدود فلا شفعة

وروى البخاري باسناده عن جابر بن عبد الله انه قال انما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشفعة في كل ما لم يقسم فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وفي رواية [غير مقروء]

ابن الحجاج عن جابر انه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل مشترك لم يقسم

ربع او حايط لا يحل له ان يبيعه حتى يؤذن شريكه فان شاء اخذ وان شاء ترك فاذا باع

باعه ولم يؤذنه فهو احق به والربع اسم للدار مع بنائها والحايط اسم للبستان مع [غير مقروء]

اذا ثبت هذا فالاشياء في الشفعة على ثلاثة اضرب ضرب تثبت فيه الشفعة [غير مقروء]

تبع مفرد او مع غيره وضرب لا تثبت فيه الشفعة بحال وضرب تثبت فيه الشفعة تبعا

ولا تثبت فيه الشفعة اذا بيع مفردا فاما الضرب الاول وهو ما تثبت فيه الشفعة [غير مقروء]

وبيع غيره فهو [غير مقروء] مثل [غير مقروء] الارض والدار فاذا باع احد الشريكين نصيبه فيها ثبت

لشريكه الشفعة فيه وهو قول عامة العلماء الا الاصم فانه قال لا تثبت الشفعة بحال [غير مقروء]

اضرارا بارباب الاملاك لان المشتري متى علم انه يؤخذ منه لم يرغب بالشراء فيؤدي ذلك

الى [غير مقروء] البيع [غير مقروء] شريكه عن الشراء [غير مقروء] ودليلنا عليه ما ذكرنا من الاخبار

وما ذكره [غير مقروء] المشتري مع علم المشتري باستحقاق الشفعة عليه

واما الضرب الثاني وهو ما لا تثبت فيه الشفعة بحال فهو كل ما ينقل ويحول مثل الطعام

والثياب والعبيد فاذا باع احد الشريكين نصيبه في ذلك لم تثبت لشريكه فيه الشفعة

وبه قال عامة اهل العلم وقال مالك تثبت الشفعة في جميع ذلك ودليلنا قوله صلى الله

عليه وسلم الشفعة فيما لم يقسم فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وهذا

[غير مقروء] وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا شفعة الا في ربع او حايط [غير مقروء]

نفى الشفعة عن غيرهما واما الضرب الثالث وهو ما تثبت فيه الشفعة تبعا لغيره [غير مقروء]

الشفعة لانه منقول فلم تثبت فيه الشفعة كالثياب والعبيد وان باع احد الشريكين

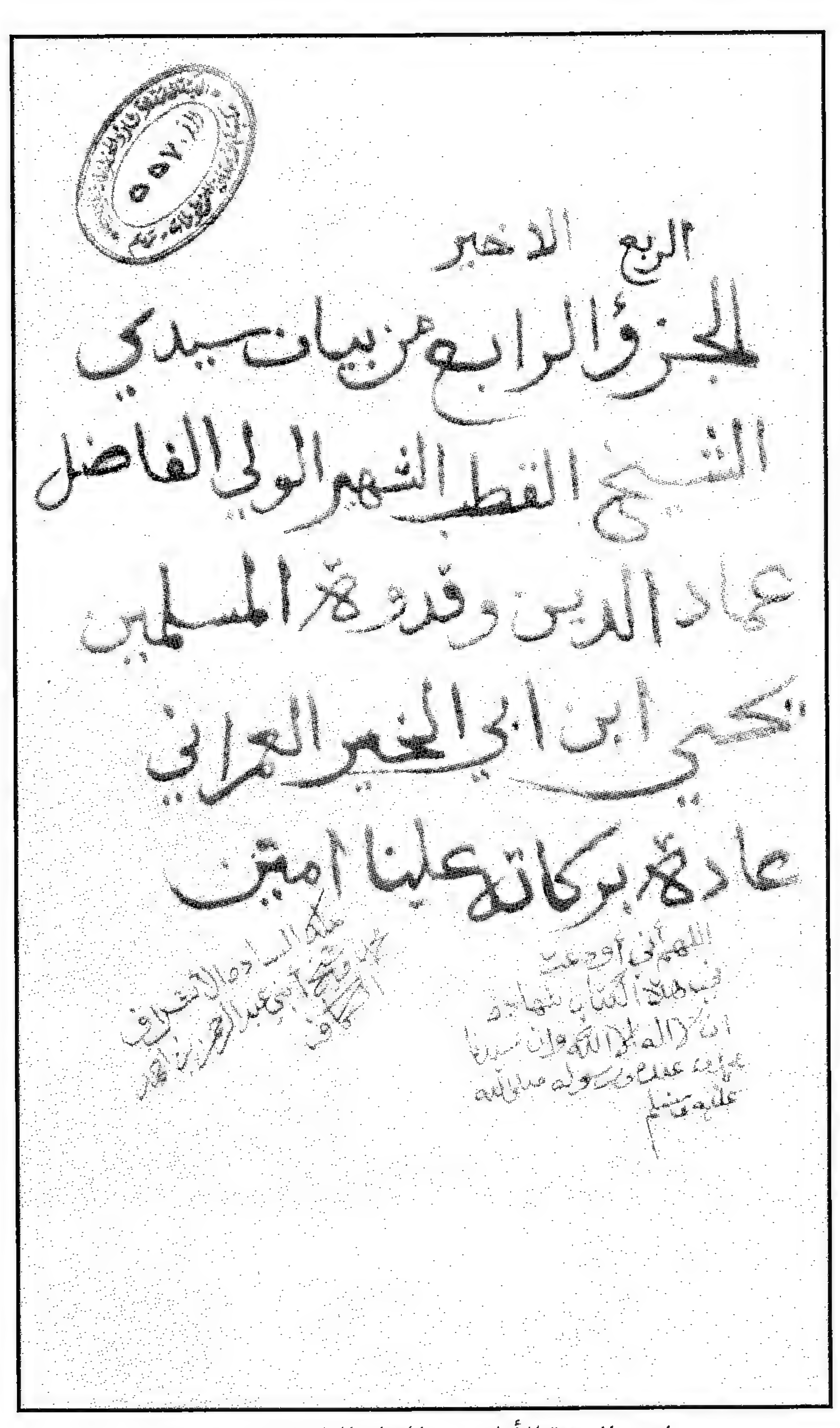
نصيبه من البناء والغراس مع نصيبه من الارض ثبتت فيه الشفعة لقوله صلى الله عليه وسلم

الشفعة في كل ربع او حايط والربع هو الدار ببنائها والحايط هو البستان بالنخل

ولان البناء والغراس يراد للبقاء والتأبيد فتثبت فيهما الشفعة كالارض وان

راموز الورقة الثانية من المجلد الثالث من نسخة (م)

راموز الورقة الأخيرة من المجلد الثالث من نسخة (م)


الربع الاخير
الجزؤ الرابع من بيان سيدي
الشيخ القطب الشهير الولي الفاضل
عماد الدين وقدوة المسلمين
يحيى ابن ابي الخير العمراني
عادت بركاته علينا امين

اللهم اني اودعتك في هذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله وان سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

راموز الورقة الأولى من المجلد الرابع من نسخة (م)

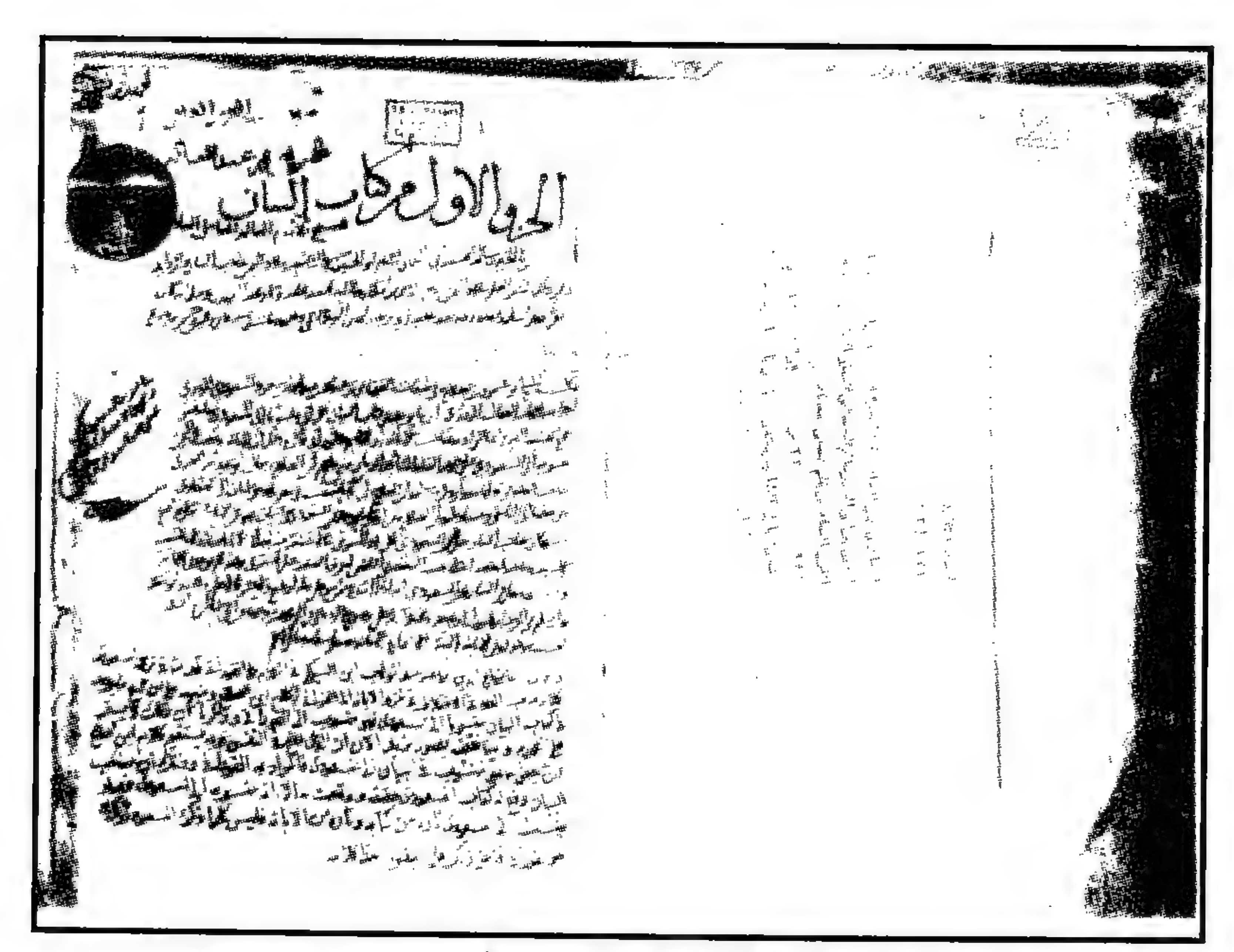
راموز الورقة الثانية من المجلد الرابع من نسخة (م)

والثاني وهو الأصح أن بعضها في كسبها لأنه لم يكن لها أنها على البائع لأنا
قد حكمنا أنها أم ولد للعاقد ولا على المشتري لأنه لا يدعي أنها أم ولد له فلم يتوالى لها
[illegible] كسبها فإن بقي من كسبها شيء كان موقوفا وأما الميراث فإن ماتت الجارية
قبل الواطئ فللبائع أن يأخذ من مالها قدر الثمن الذي يدعي أنه باعها به لأنه من أسقطت
إليه ثم يرجع مالها وهو يقر به لمن أسقطت إليه ويدعي عليه الثمن وما بقي من مالها
يصطلحا عليه فإن ماتت بعد موت من هو سيده كان إرثها لولدها
فإن كان ولدها [illegible] كان مالها لمناسبها فإن لم يكن لها مناسب
فميراثها موقوفا [illegible] لا يدعيه أحدهما وليس للبائع أن يأخذ منه شيئا لأنه
يدعي الثمن على الواطئ [illegible] مالها وإن رجع أحدهما عن إقراره فإن
رجع البائع لم يقبل قوله في إسقاط حقها [illegible] ولدها من أبيه ويقبل قوله
في سقوط الثمن عن المشتري ولرجوع الولاء إليه فيأخذ مالها وإن رجع الواطئ
وجب عليه الثمن وكانت الجارية على ما ثبت لها من حرمة الاستيلاد والولد على ما
ثبت له من الحرية والله أعلم

تم الكتاب بحمد الله تعالى ومنه وكرمه ولطفه وعونه وتيسيره وهدايته وصلى الله وصلواته
على رسوله سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلامه عليهم أجمعين [illegible]

وقع الفراغ من تمام هذا الجزء الأخير ليلة الخميس ثلاث عشر من شهر صفر [illegible] سنة
اثنين وثلاث مائة وألف من الهجرة المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام بخط أسير الذنوب
المستغفر من ربه الراجي ثوابه محمد بن علي بن عبد العزيز المفتي الحبيشي [illegible] الساكن
[illegible] جبل الحبيشية [illegible] تعالى [illegible] أسأل الله [illegible]
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

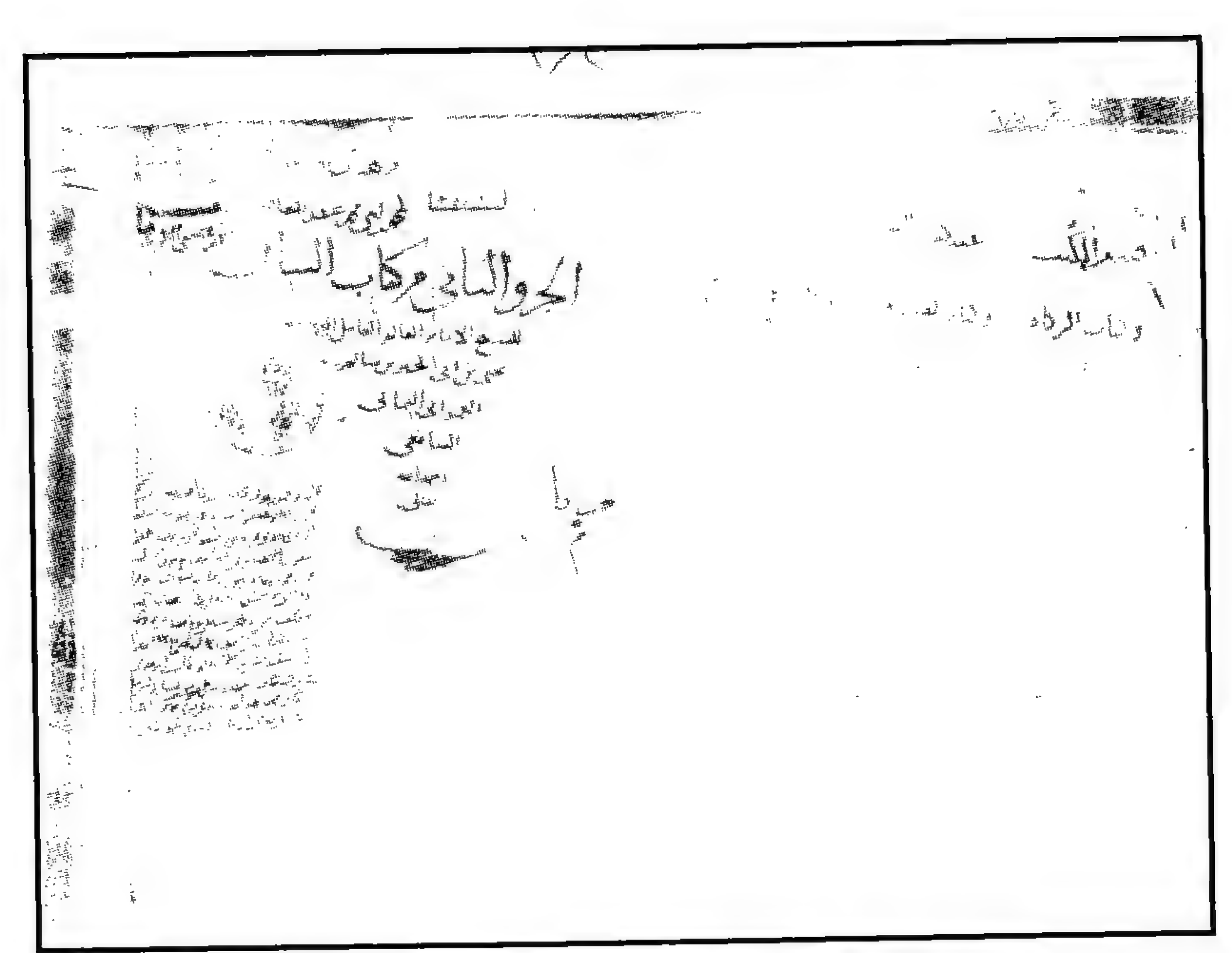
راموز الورقة الأخيرة من المجلد الرابع من نسخة (م)



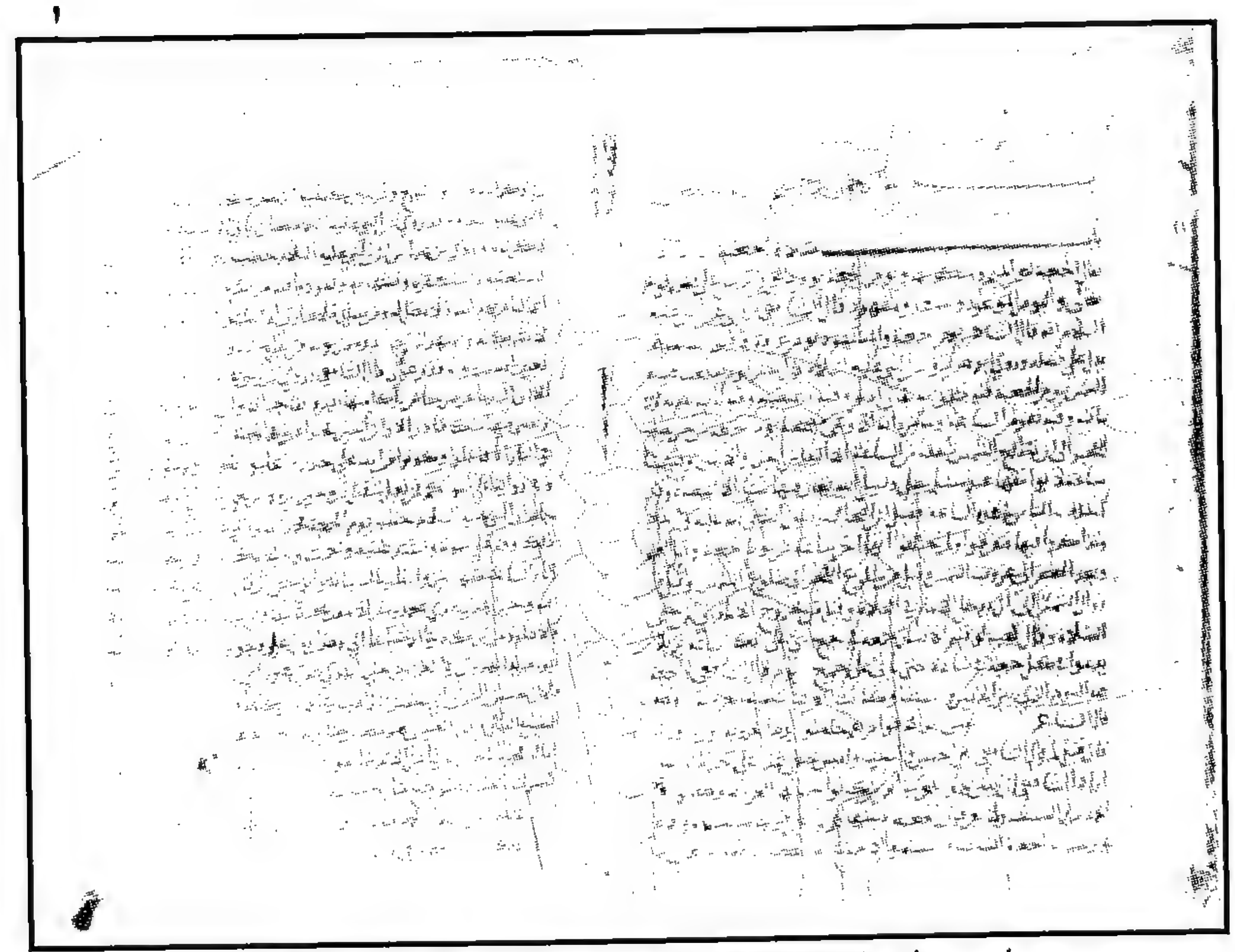
راموز الورقة الأولى من المجلد الأول من نسخة (د)



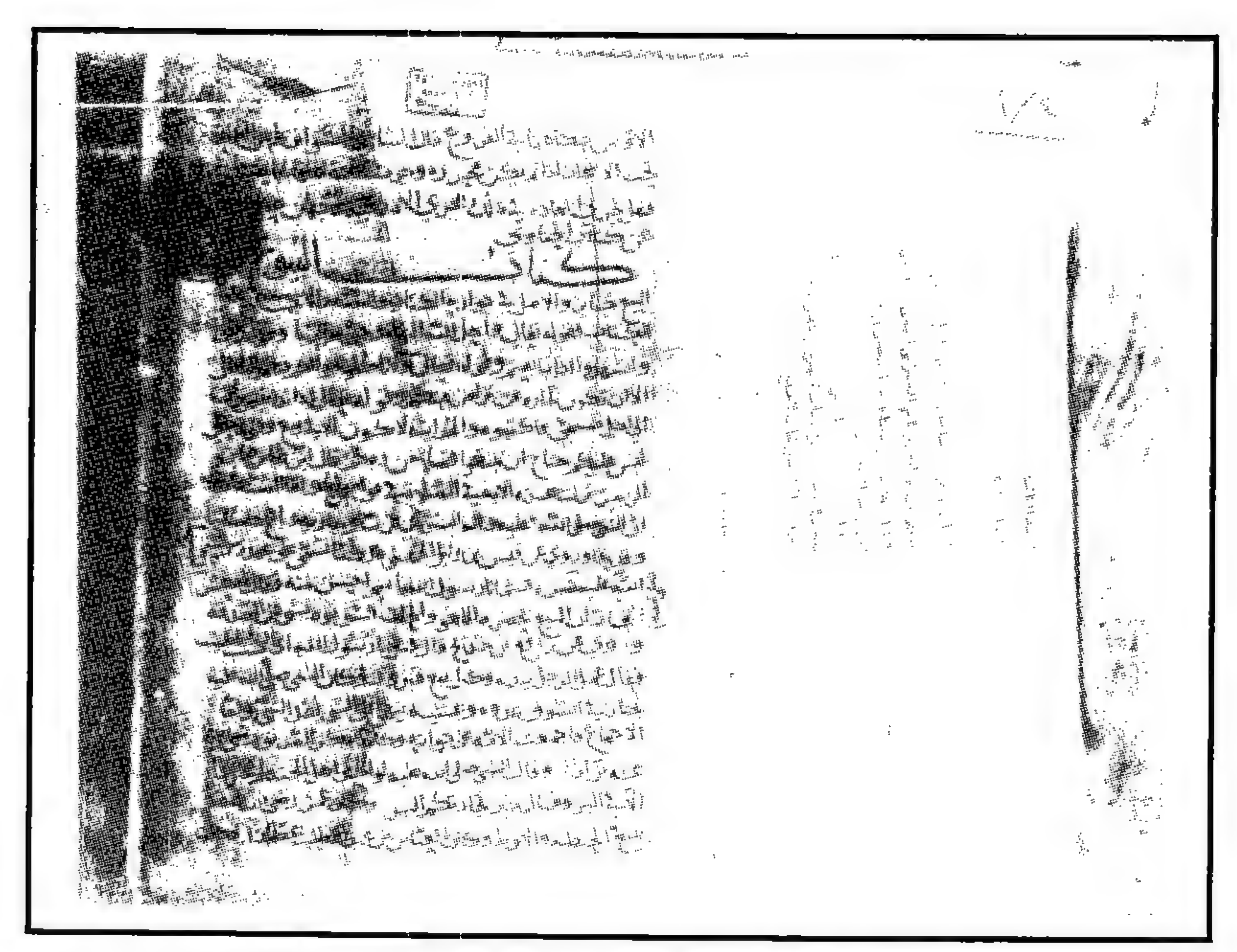
راموز الورقة الثانية من المجلد الأول من نسخة (د)



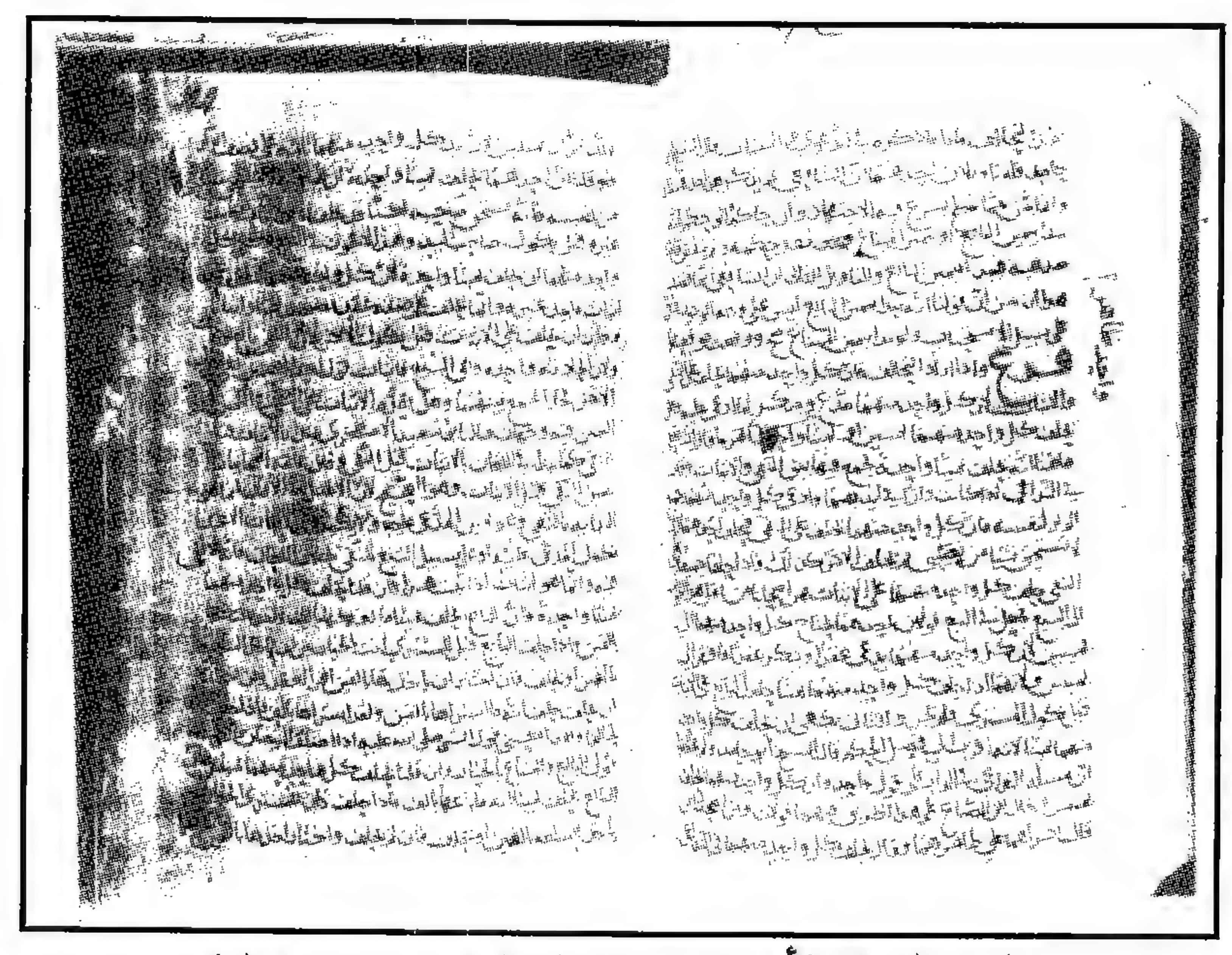
راموز الورقة الأولى من المجلد الثاني من نسخة (د)



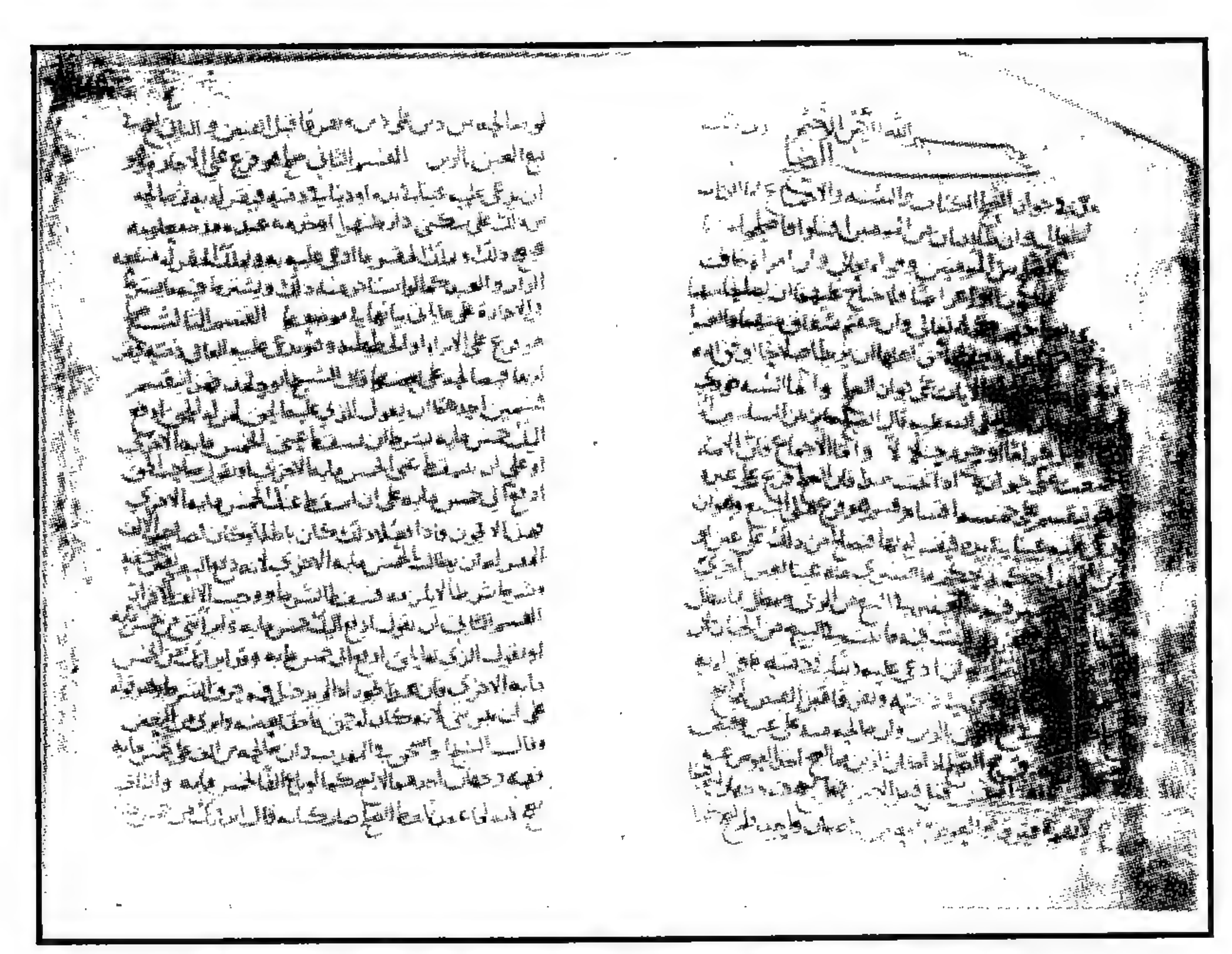
راموز الورقة الثانية من المجلد الثاني من نسخة (د)



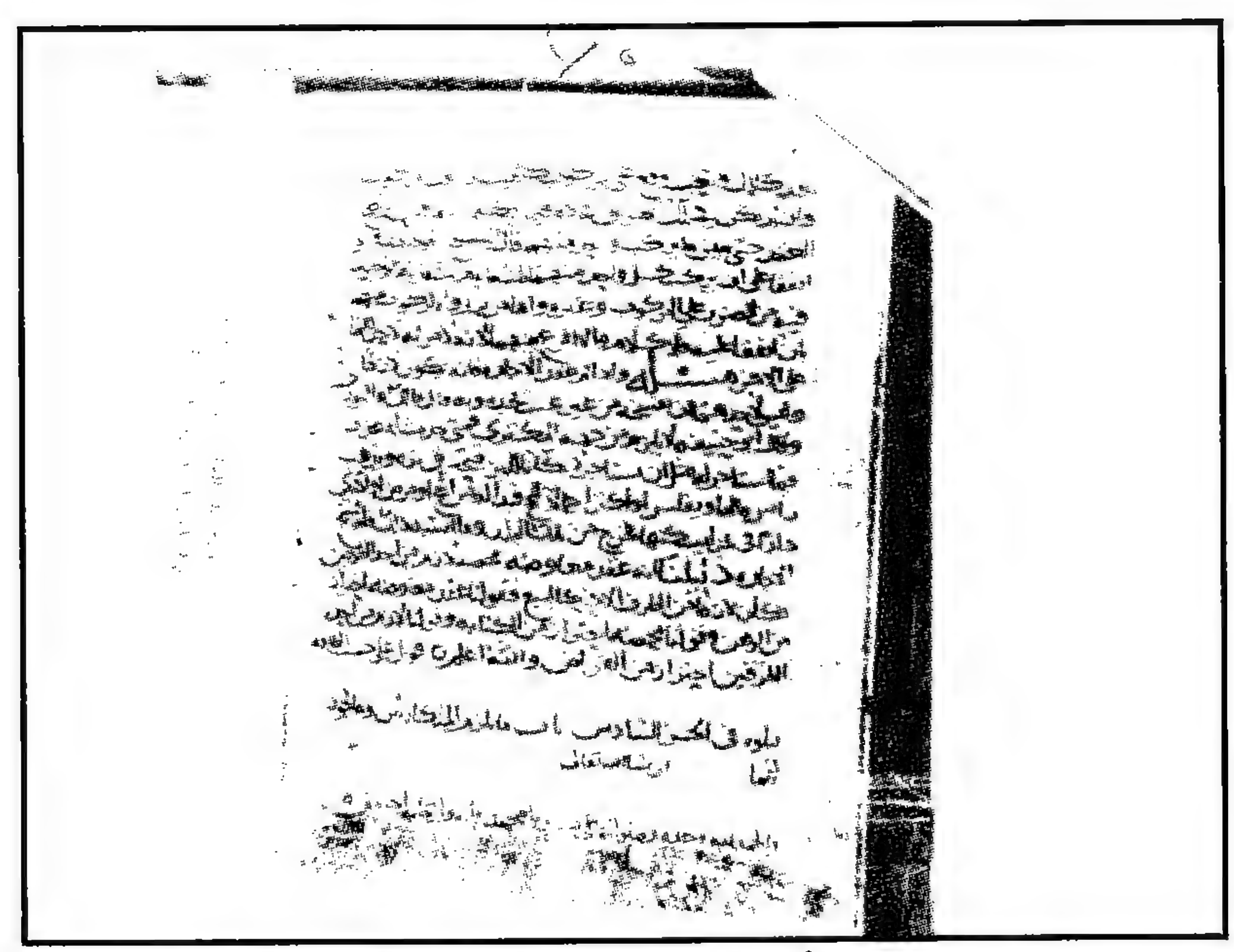
راموز الورقة الأولى من المجلد الرابع من نسخة (د)



راموز الورقة الأخيرة من المجلد الرابع من نسخة (د)



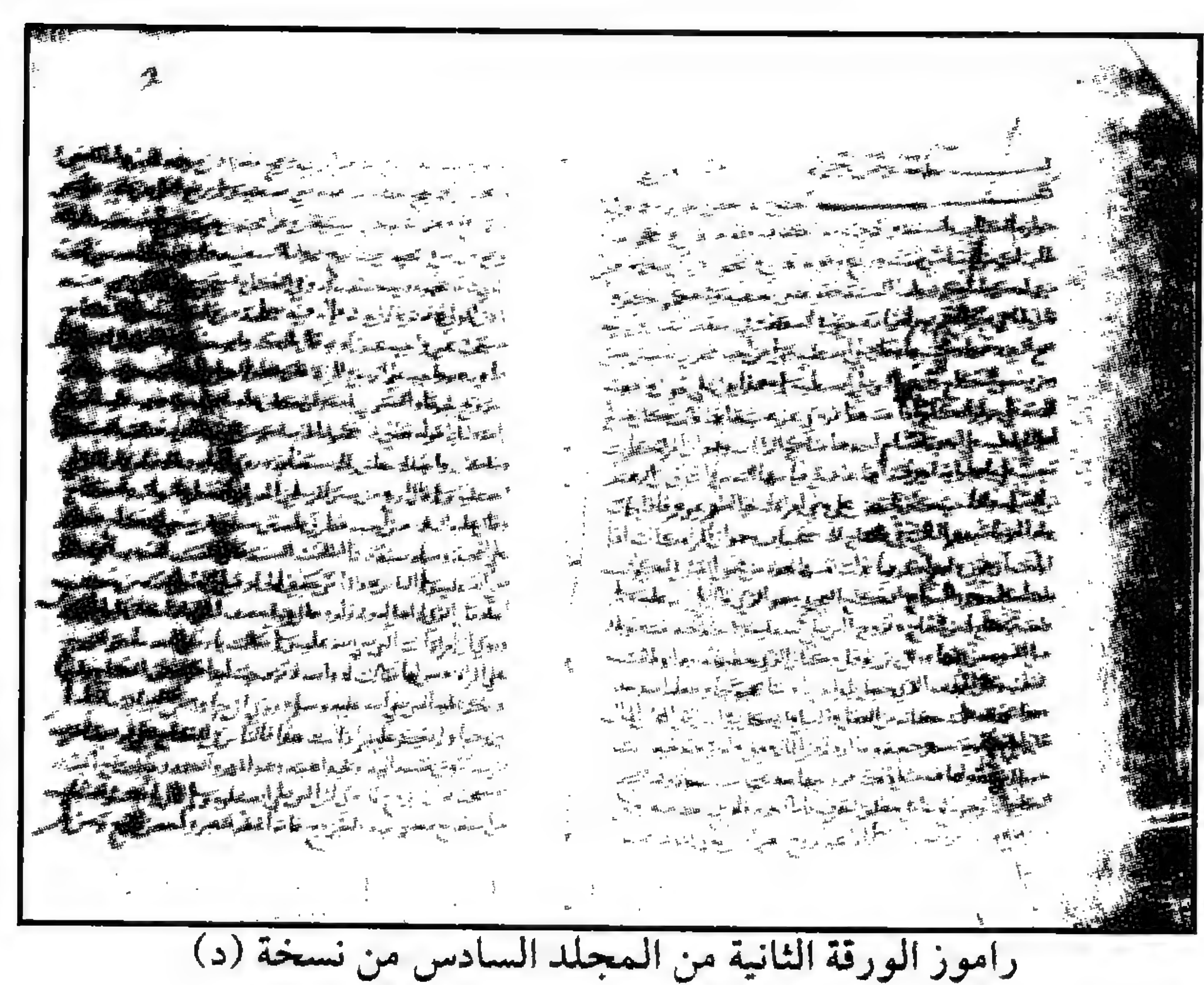
راموز الورقة الثانية من المجلد الخامس من نسخة (د)



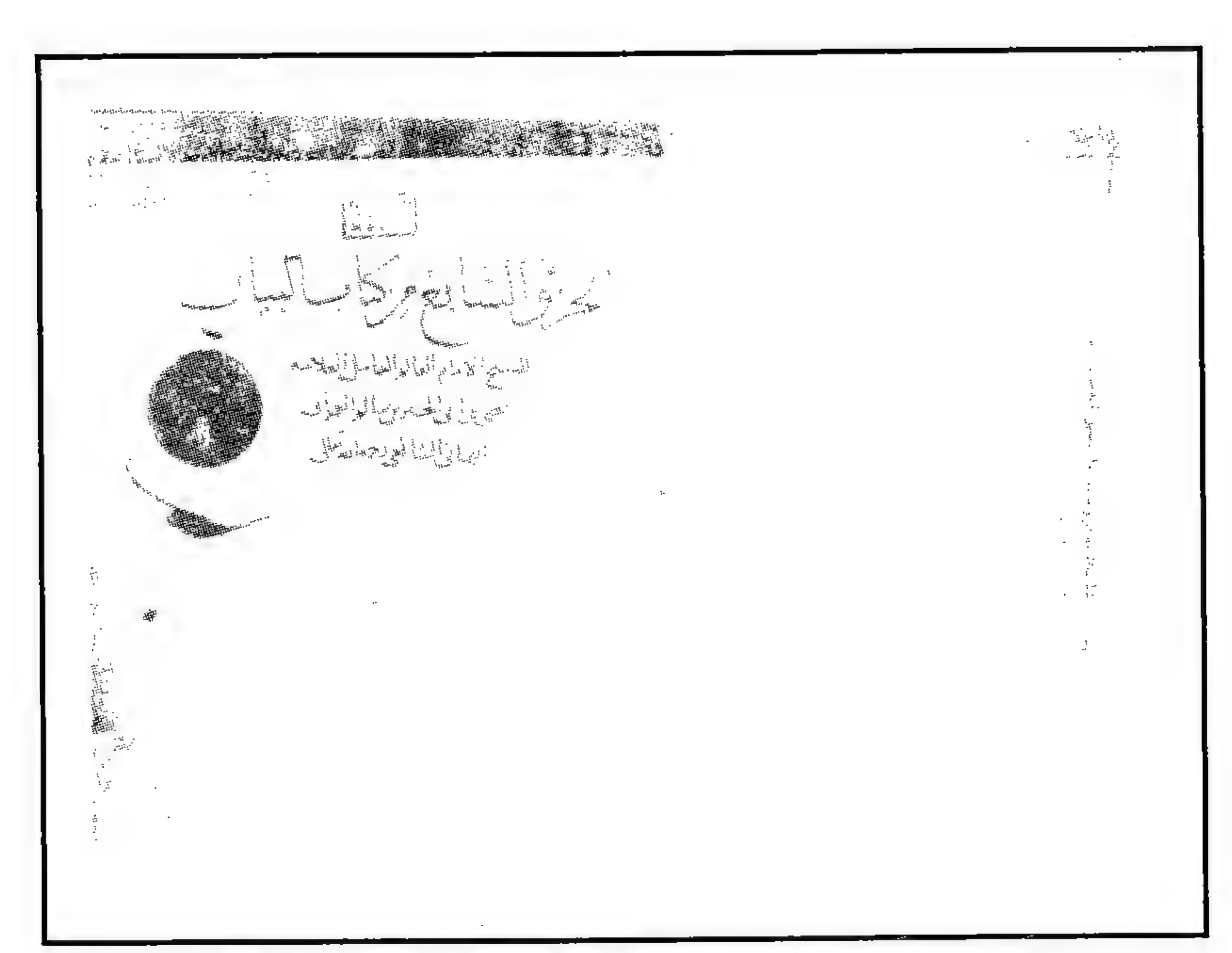
راموز الورقة الأخيرة من المجلد الخامس من نسخة (د)


الجزء السادس من كتاب اللباب

راموز الورقة الأولى من المجلد السادس من نسخة (د)



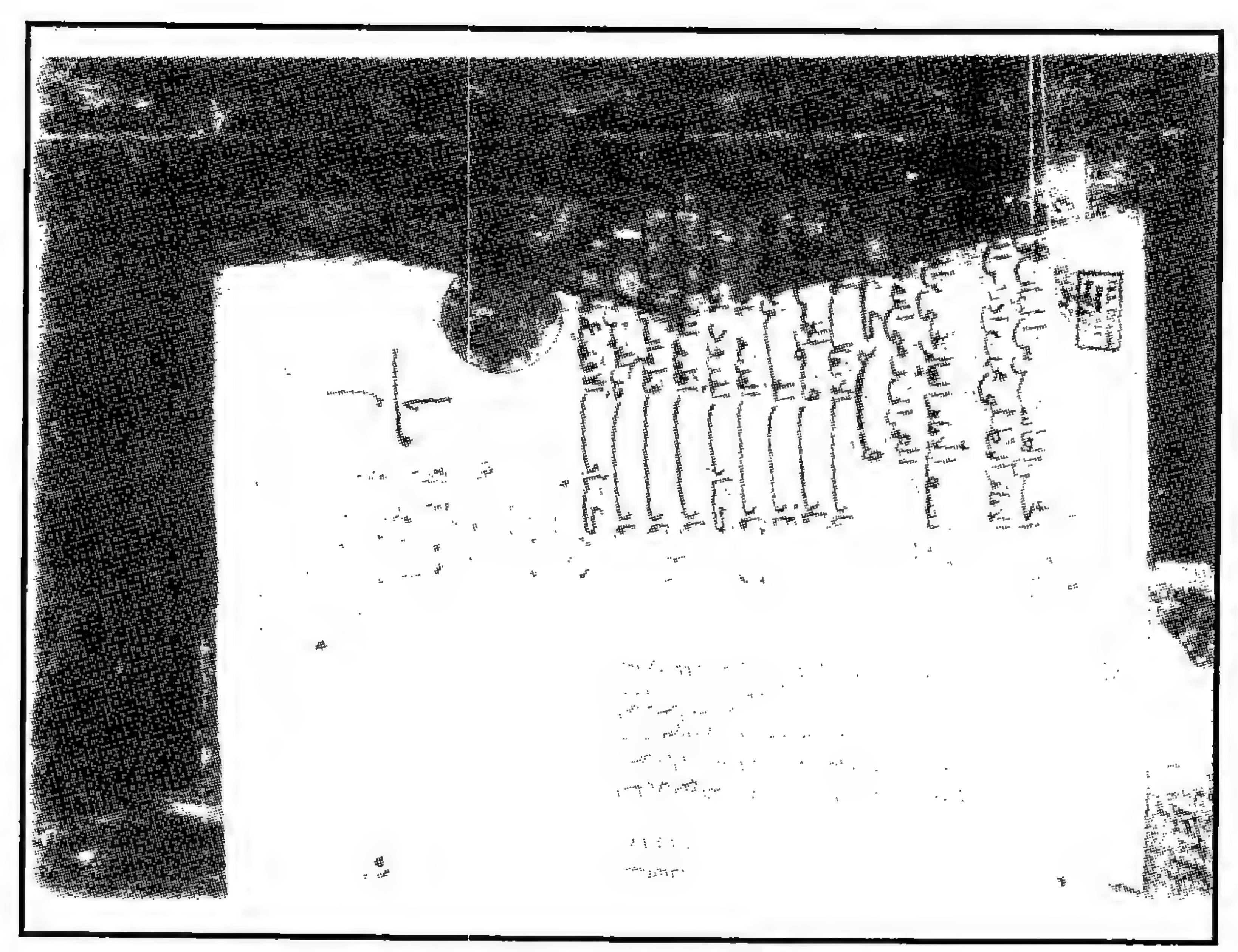
راموز الورقة الثانية من المجلد السادس من نسخة (د)



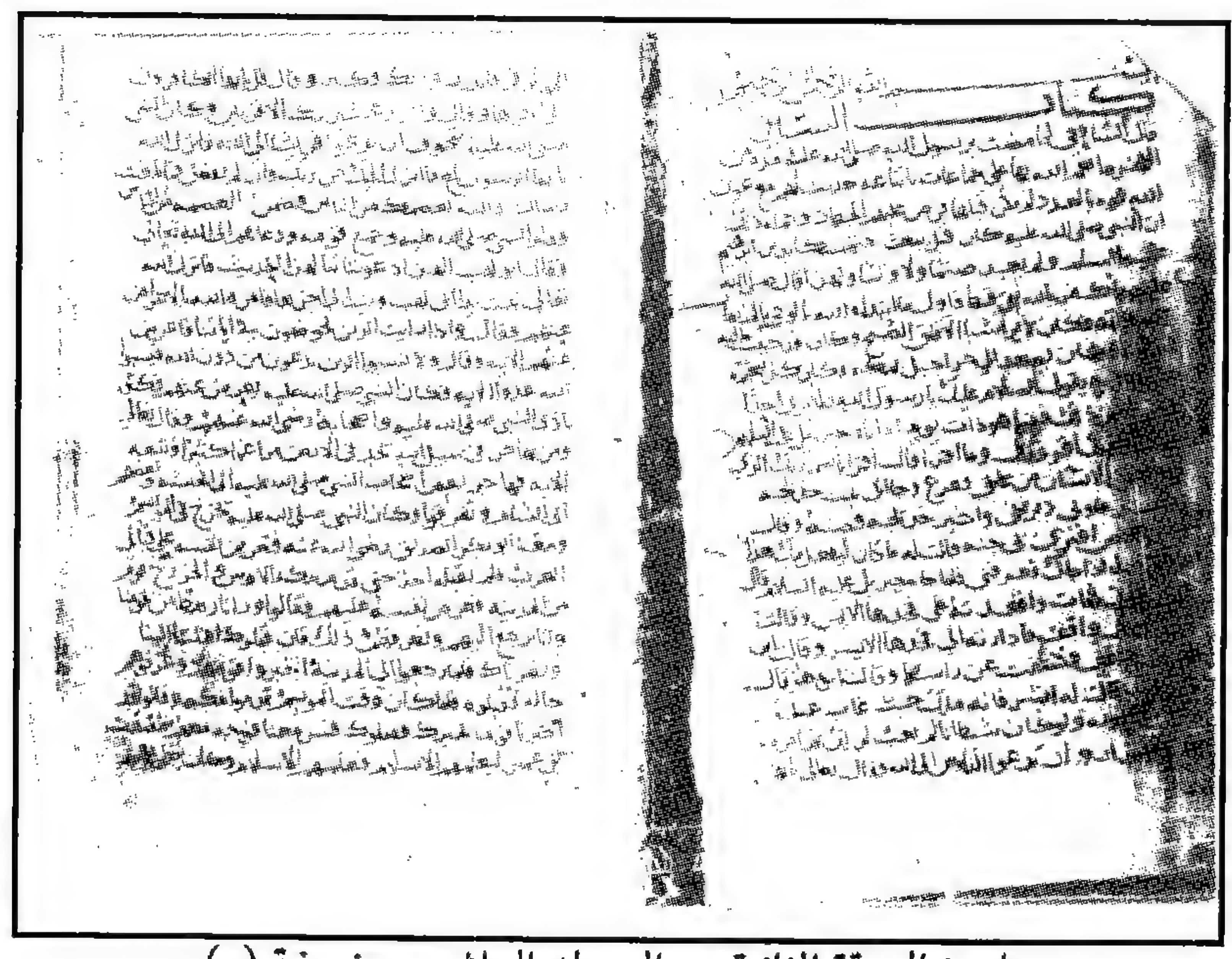
الجزء السابع من كتاب البيان

راموز الورقة الأولى من المجلد السابع من نسخة (د)

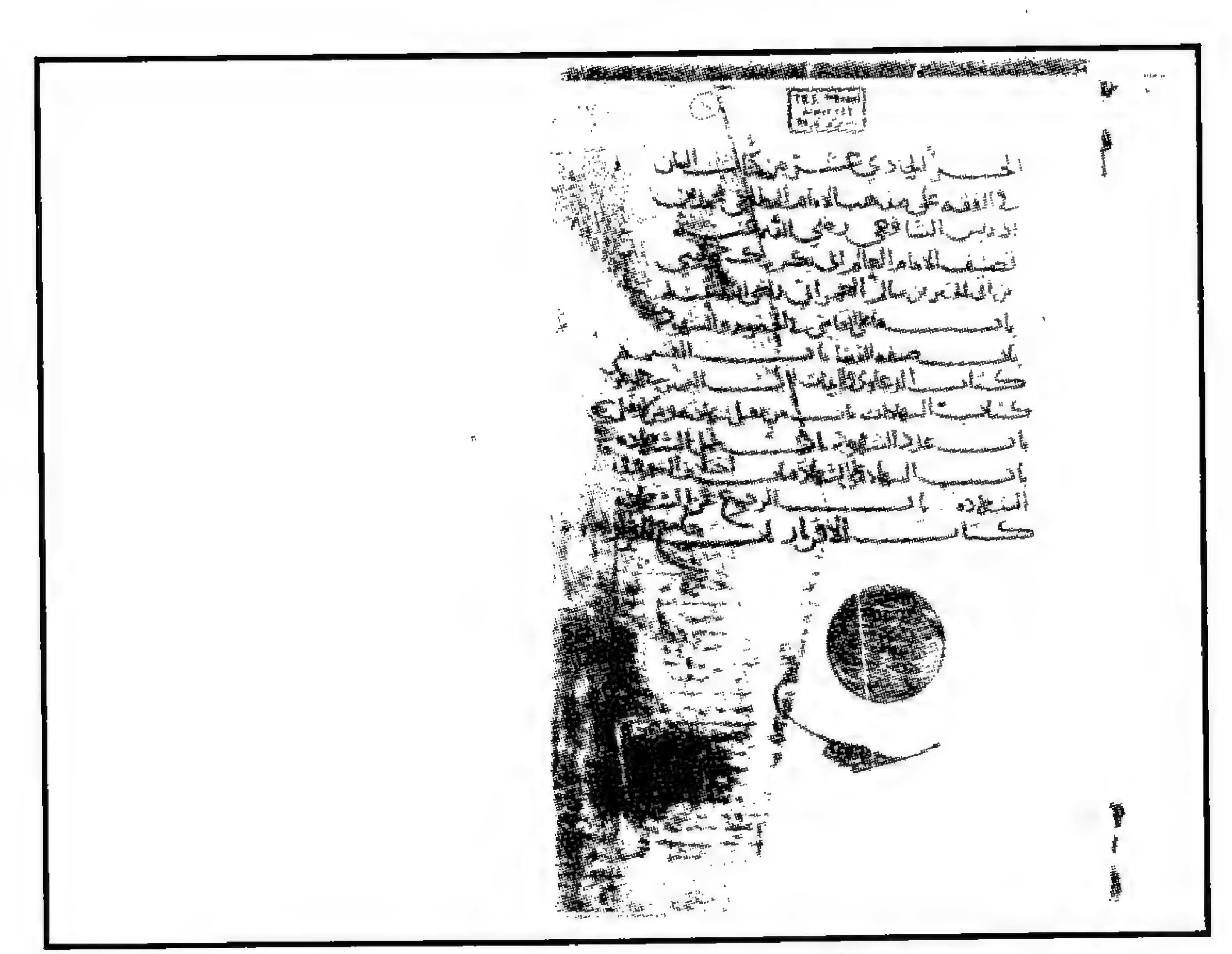
راموز الورقة الثانية من المجلد السابع من نسخة (د)



راموز الورقة الأولى من المجلد العاشر من نسخة (د)

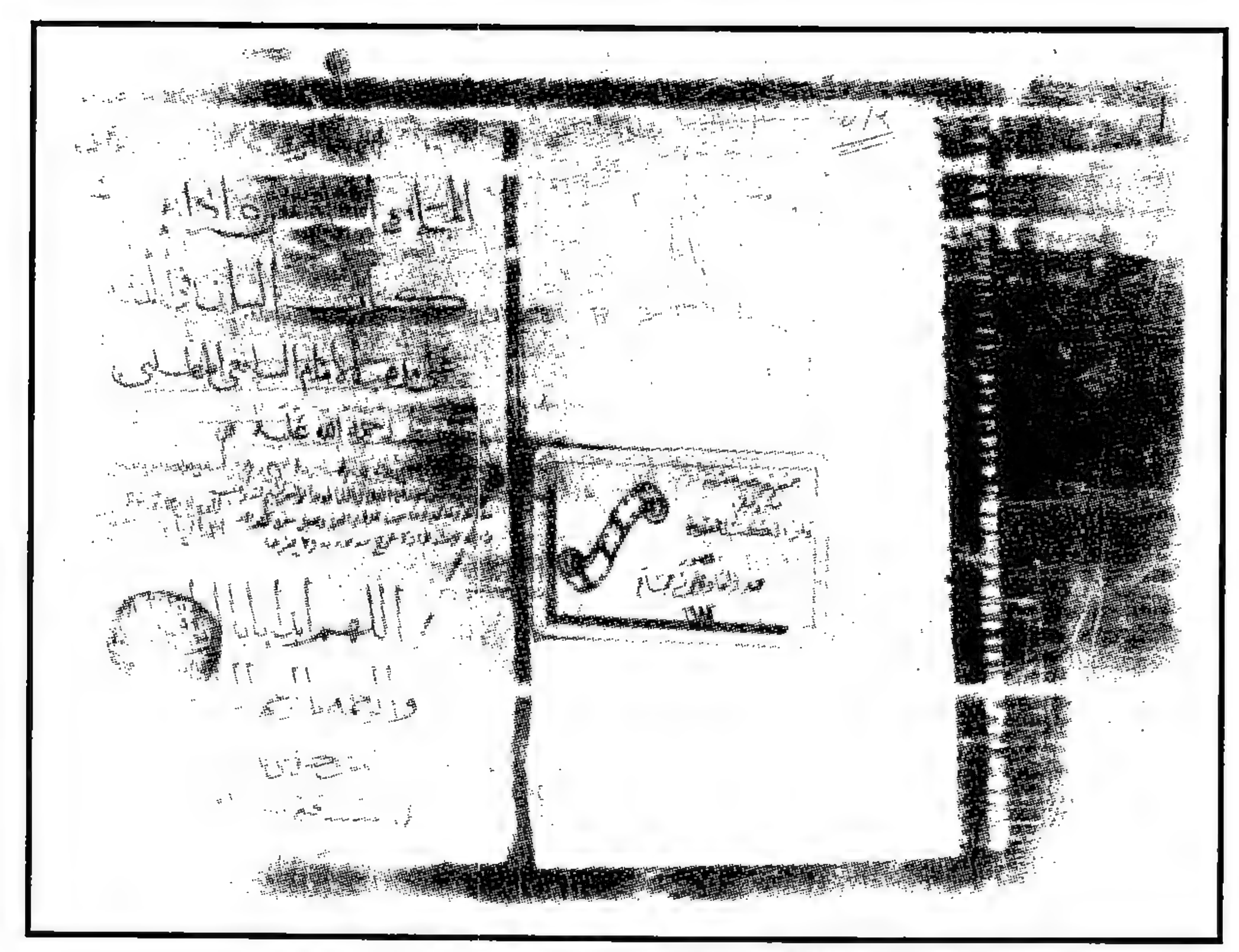


راموز الورقة الثانية من المجلد العاشر من نسخة (د)



راموز الورقة الأولى من المجلد الحادي عشر من نسخة (د)

راموز الورقة الثانية من المجلد الحادي عشر من نسخة (د)



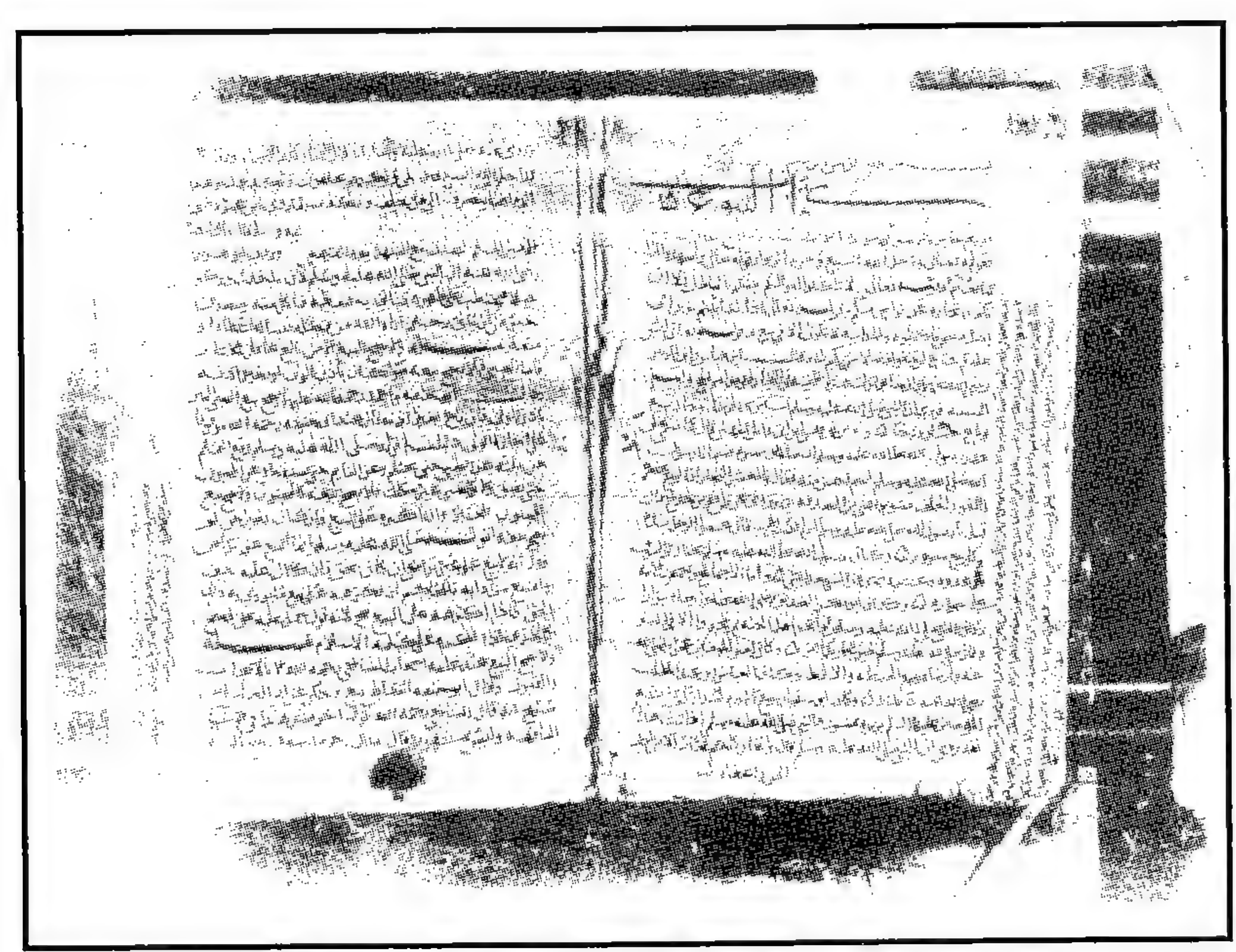
راموز الورقة الأولى من المجلد الثاني من نسخة (س)



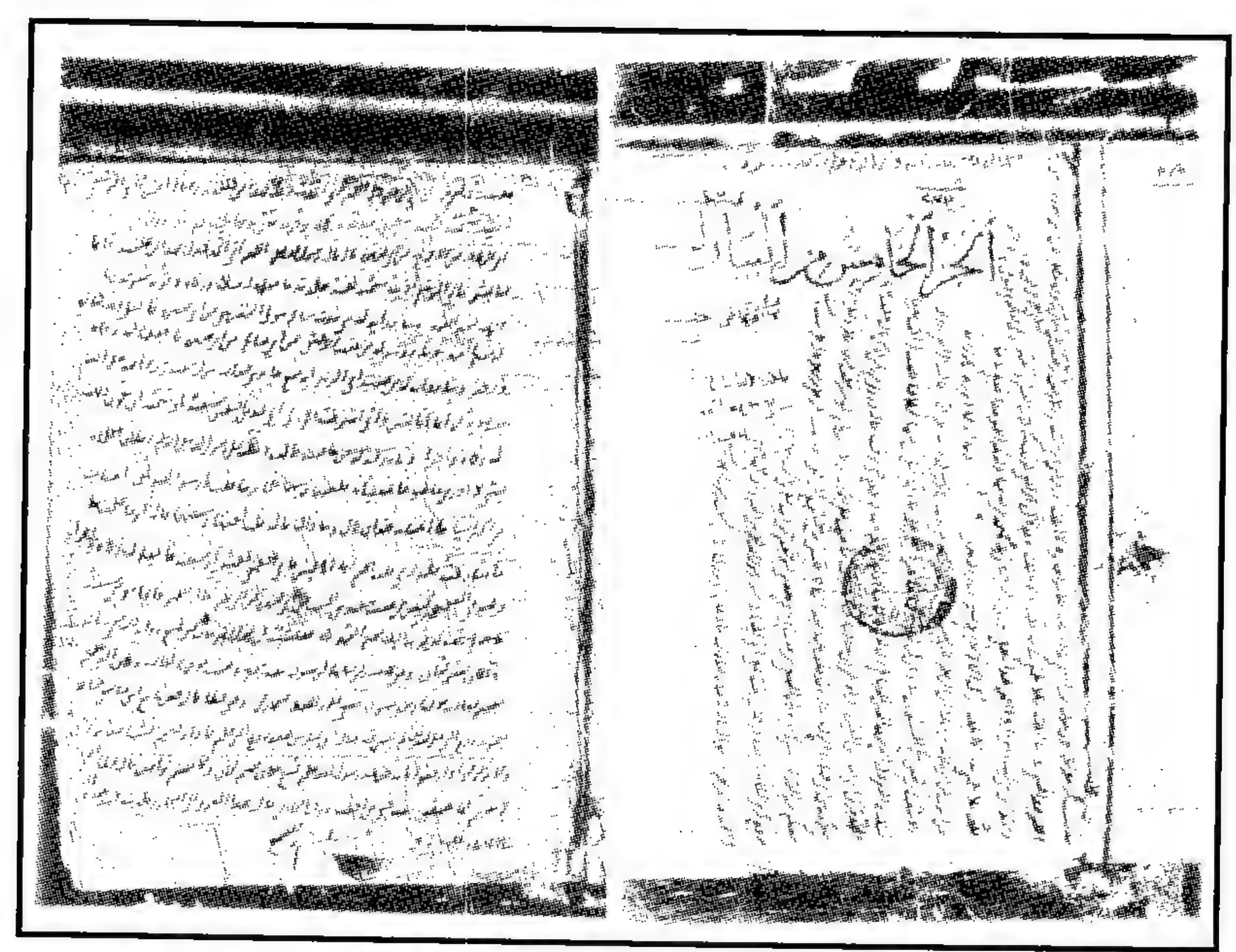
راموز الورقة الثانية من المجلد الثاني من نسخة (س)



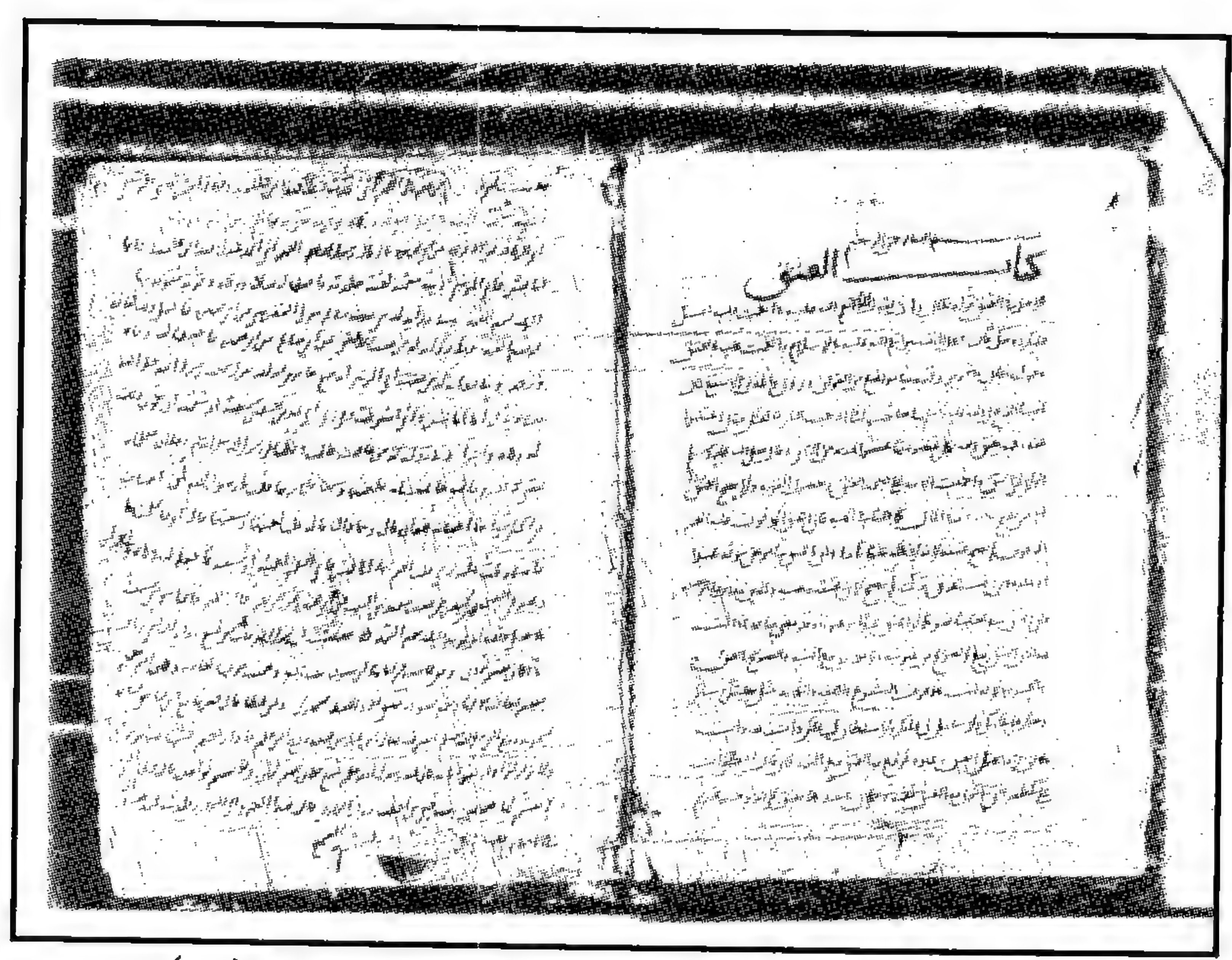
راموز الورقة الأولى من المجلد الثالث من نسخة (س)



راموز الورقة الثانية من المجلد الثالث من نسخة (س)



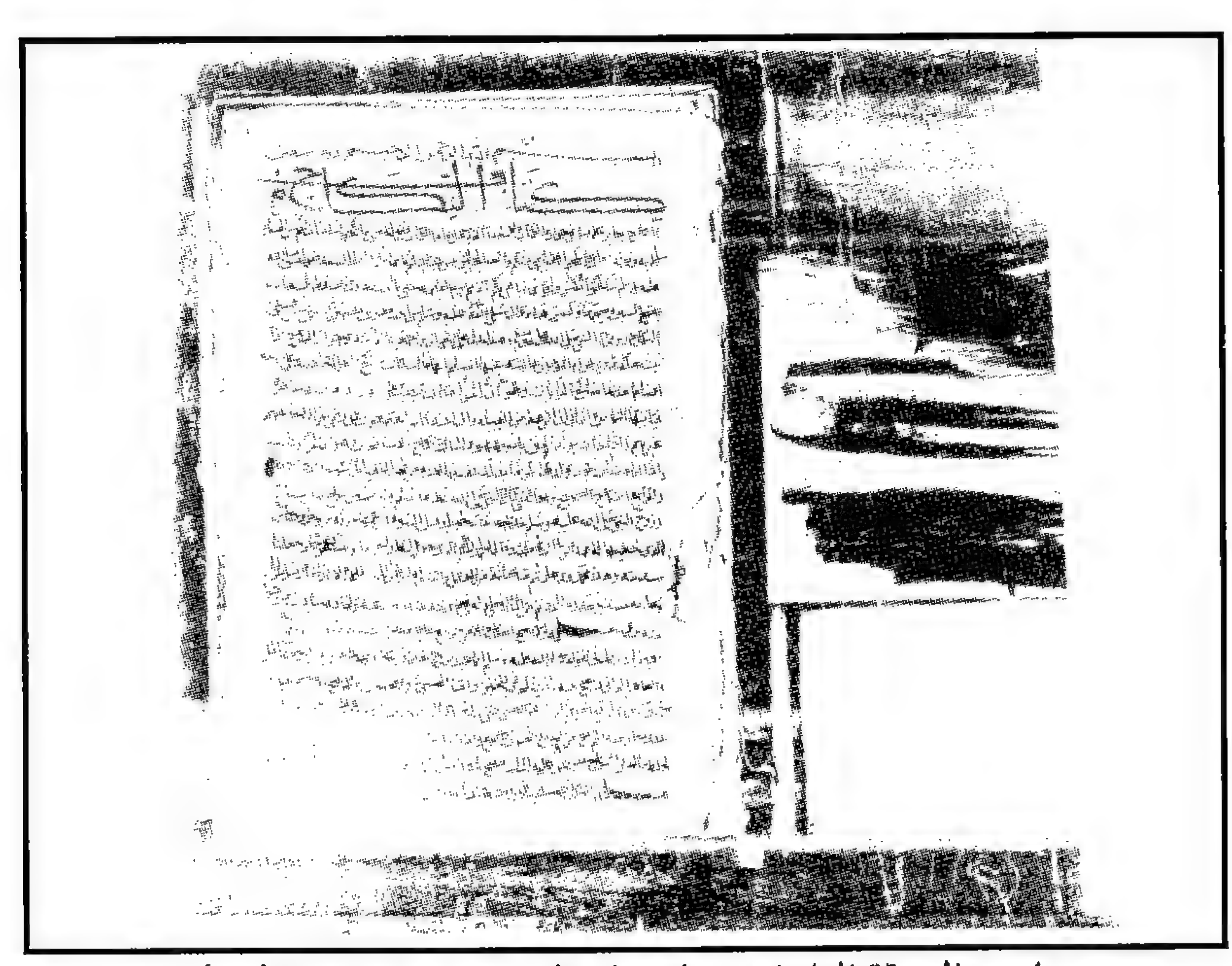
راموز الورقة الأولى من المجلد الخامس من نسخة (س)



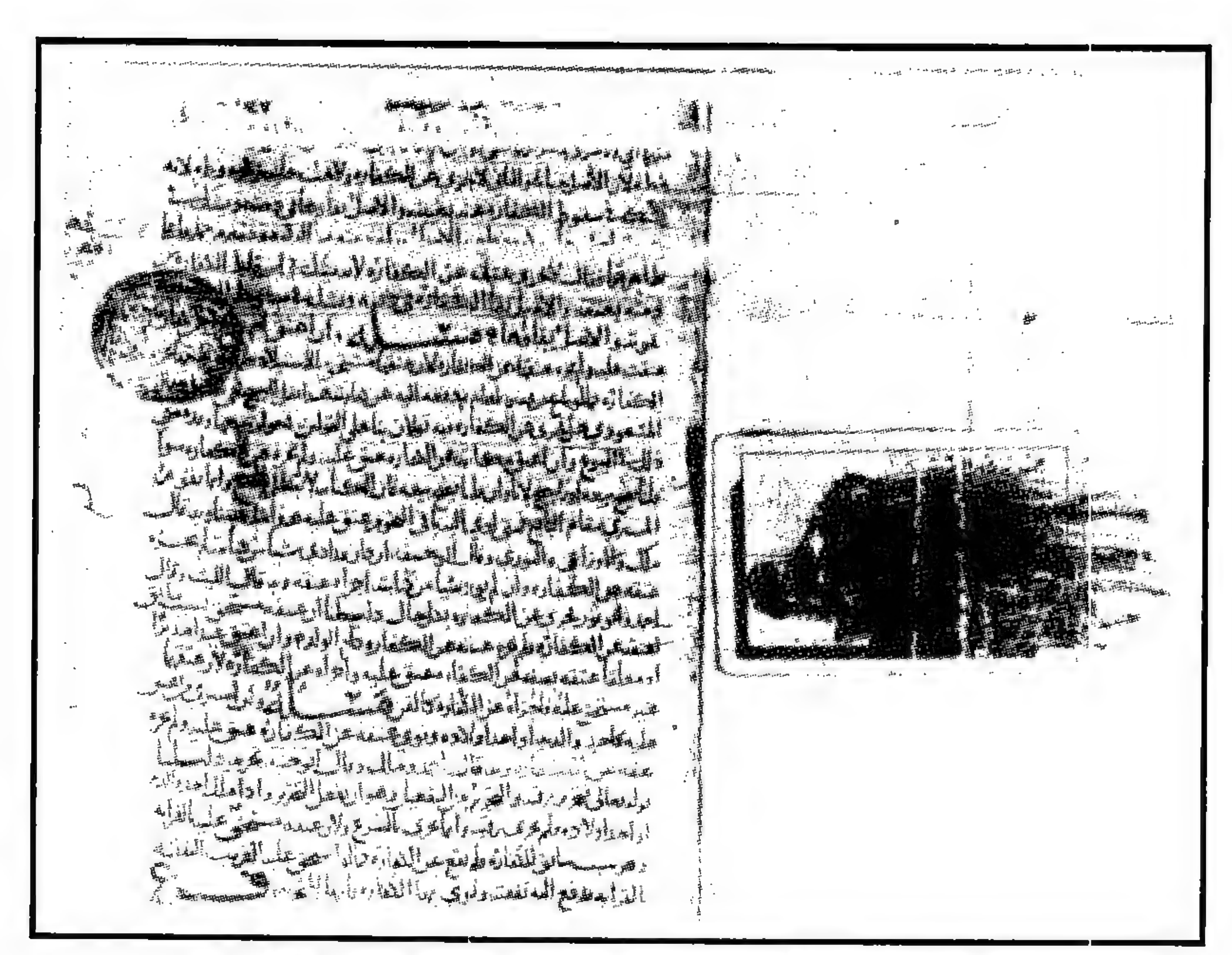
راموز الورقة الثانية من المجلد الخامس من نسخة (س)



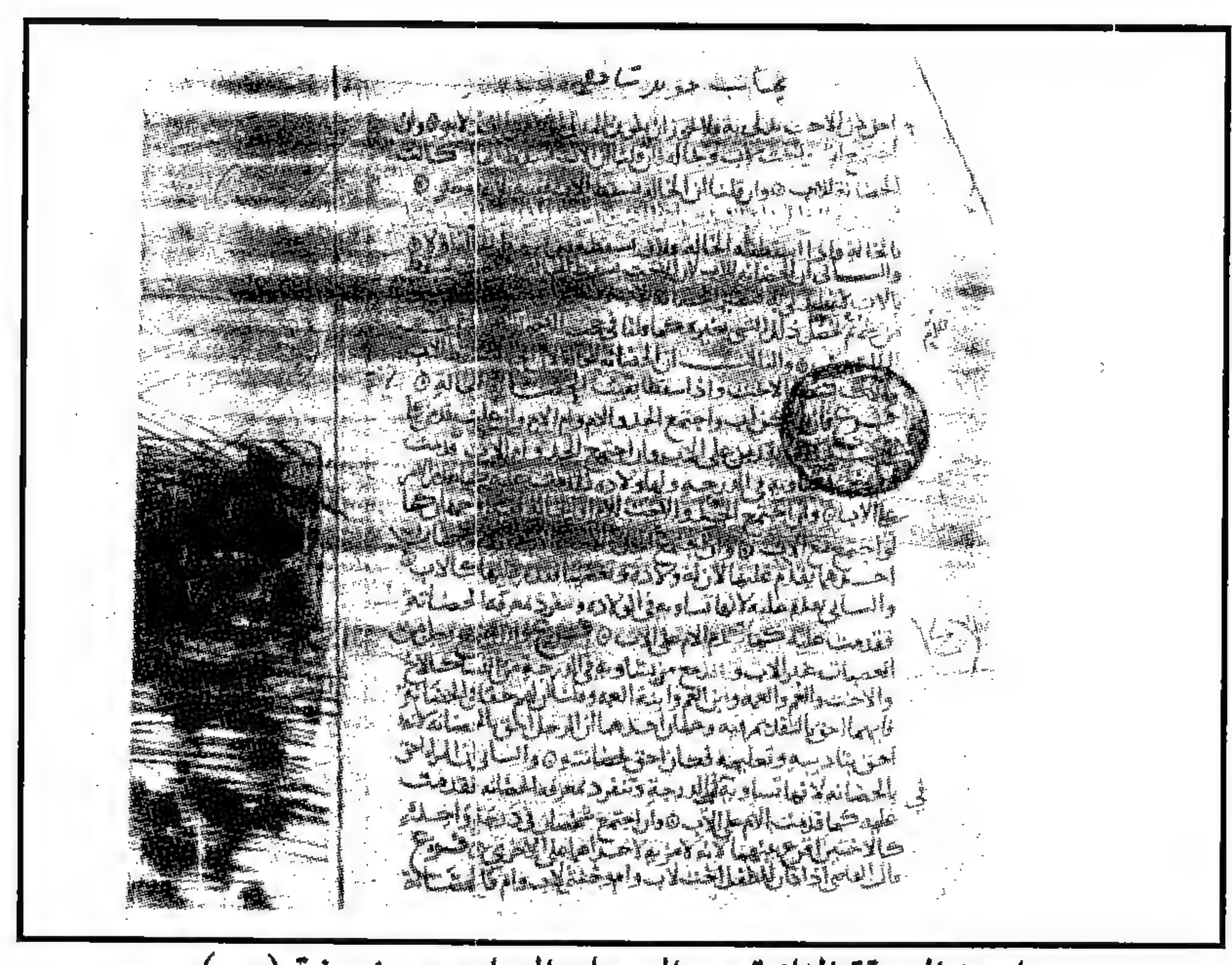
راموز الورقة الأولى من المجلد السادس من نسخة (س)



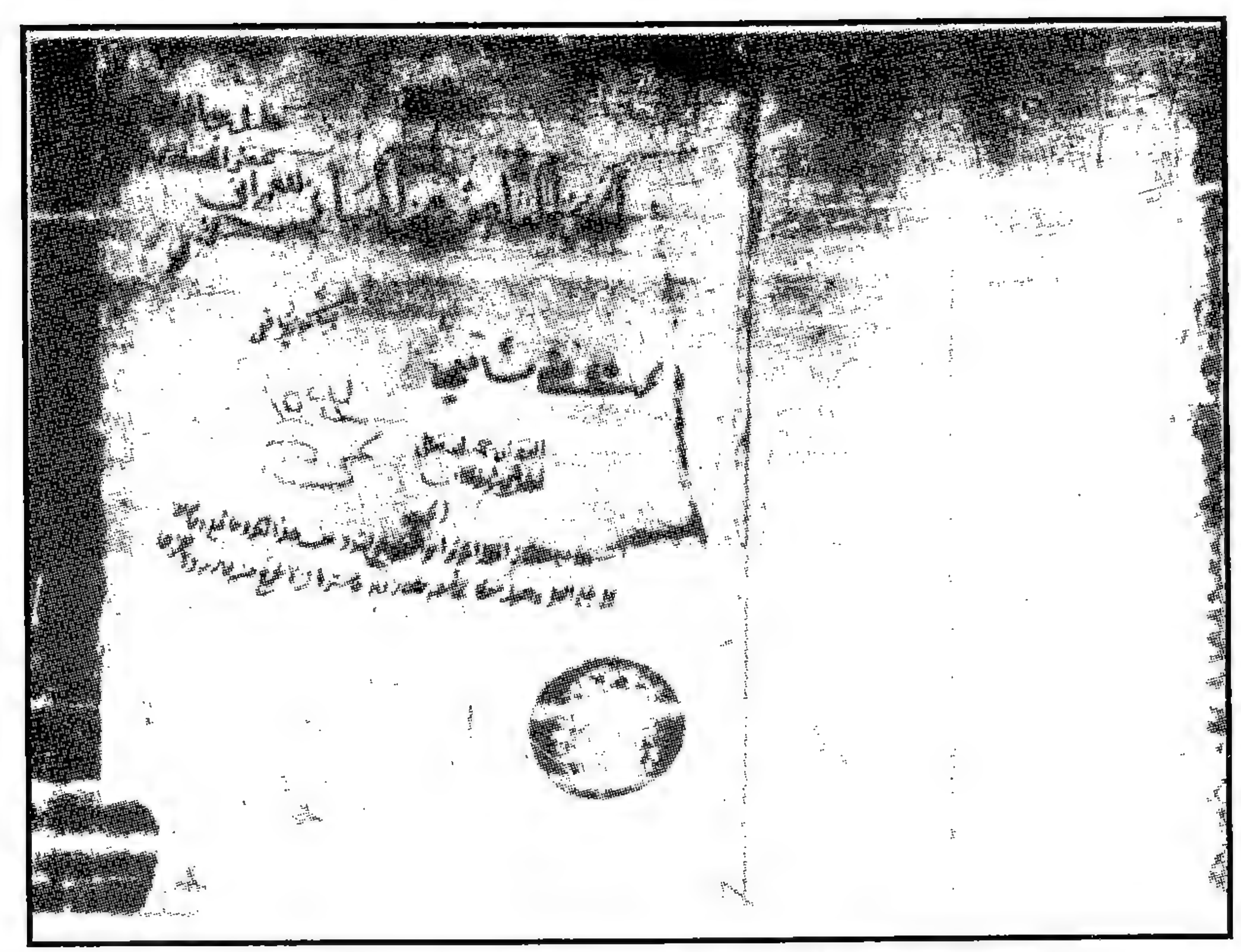
راموز الورقة الثانية من المجلد السادس من نسخة (س)



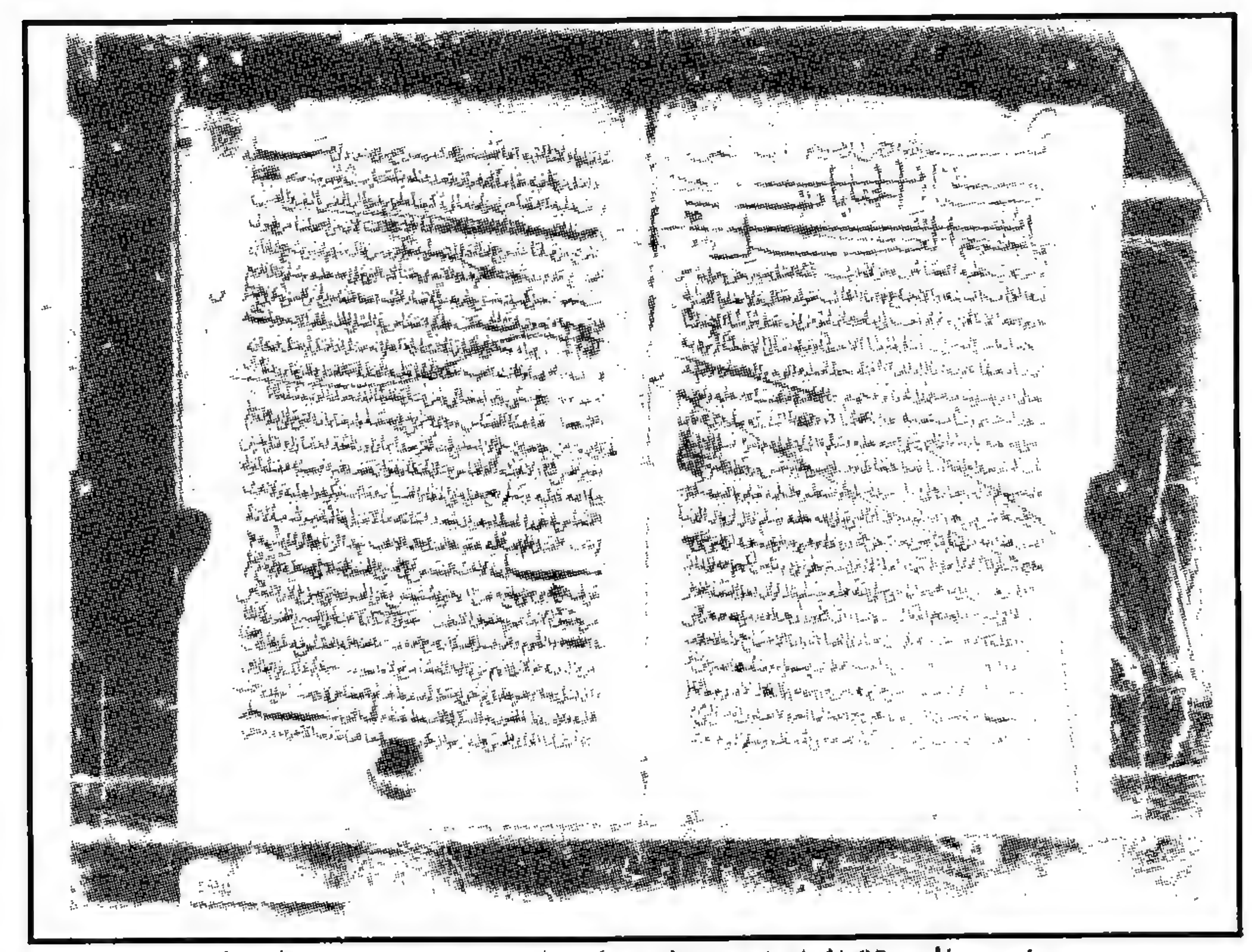
راموز الورقة الأولى من المجلد السابع من نسخة (س)



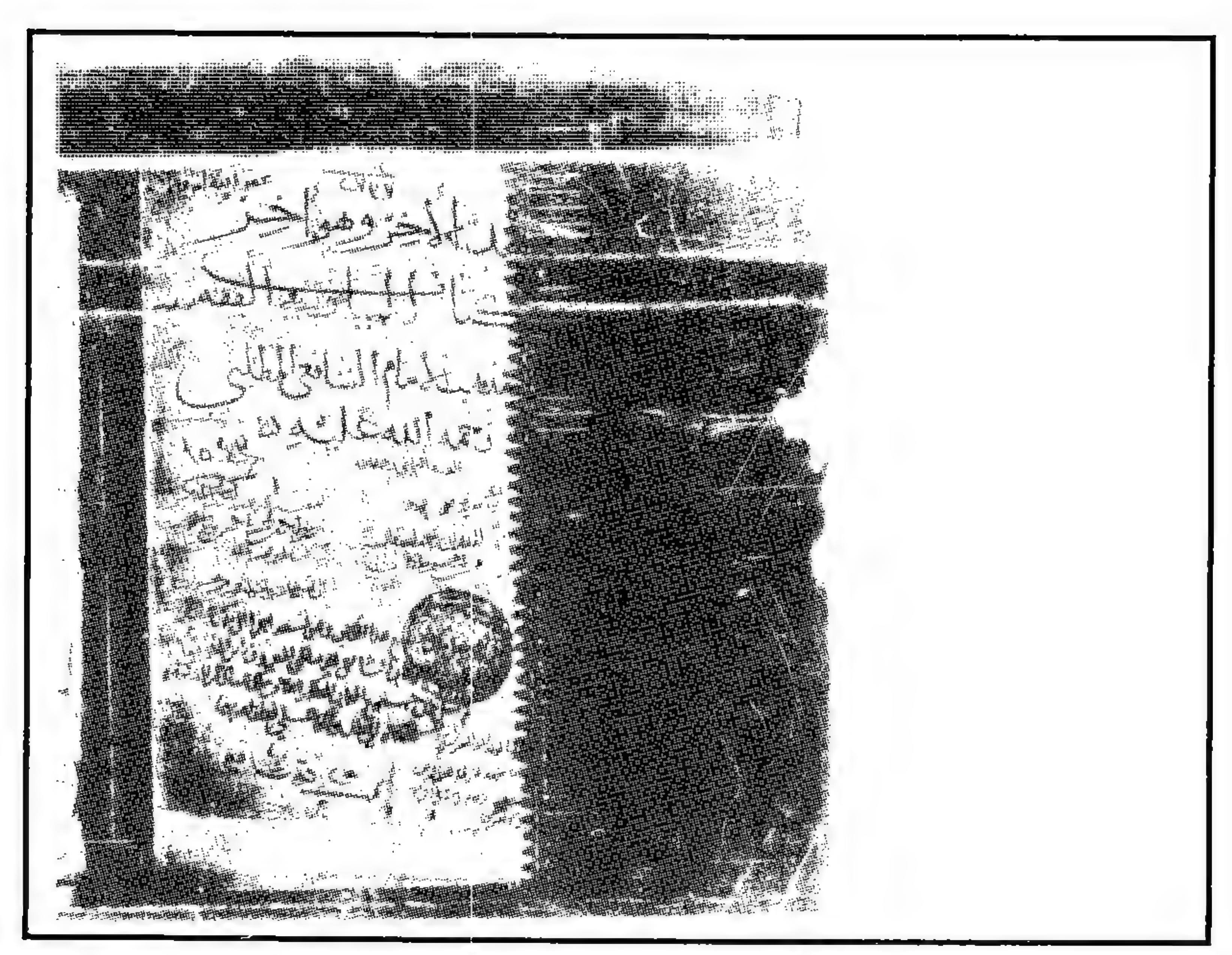
راموز الورقة الثانية من المجلد السابع من نسخة (س)



راموز الورقة الأولى من المجلد الثامن من نسخة (س)



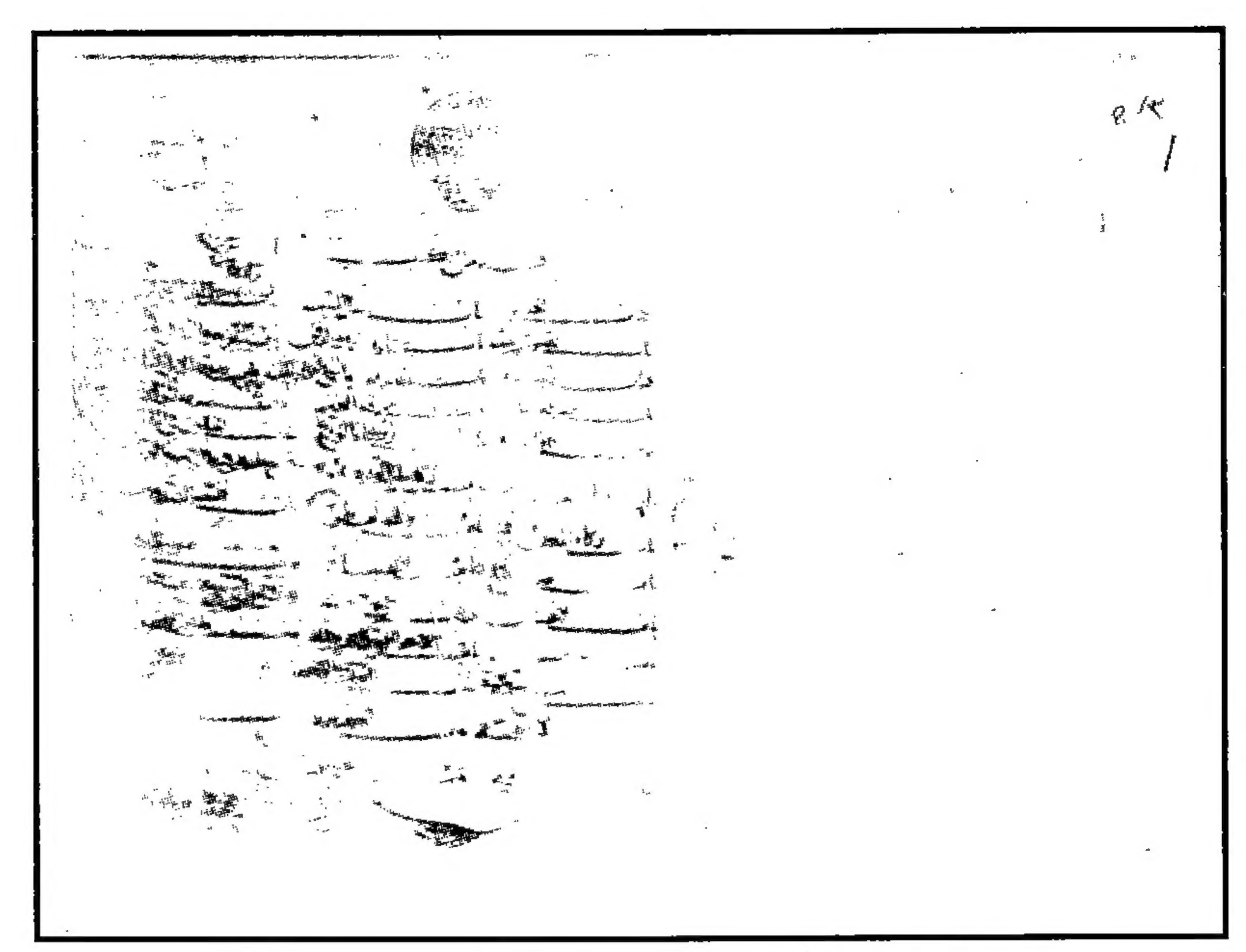
راموز الورقة الثانية من المجلد الثامن من نسخة (س)



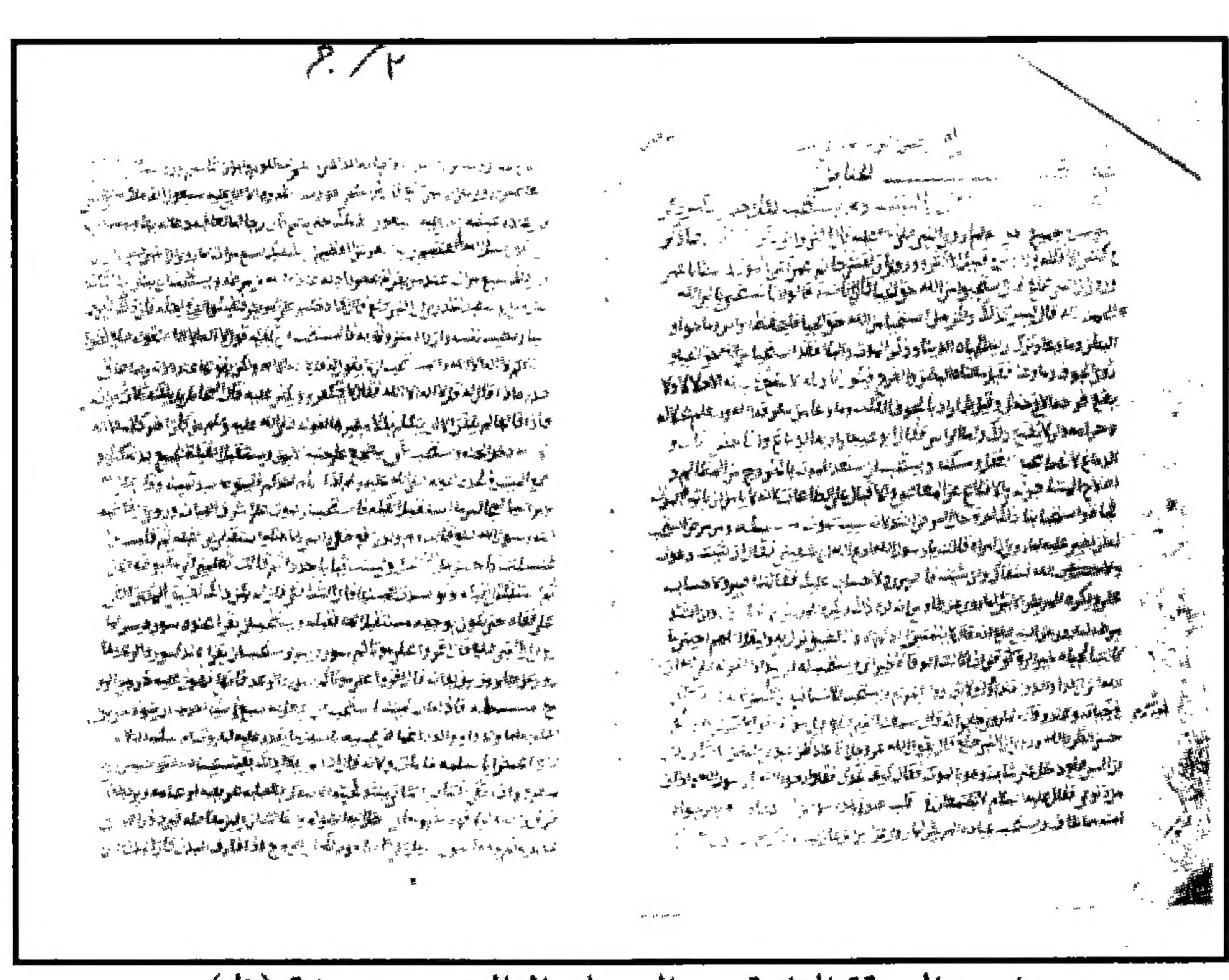
راموز الورقة الأولى من المجلد التاسع من نسخة (س)



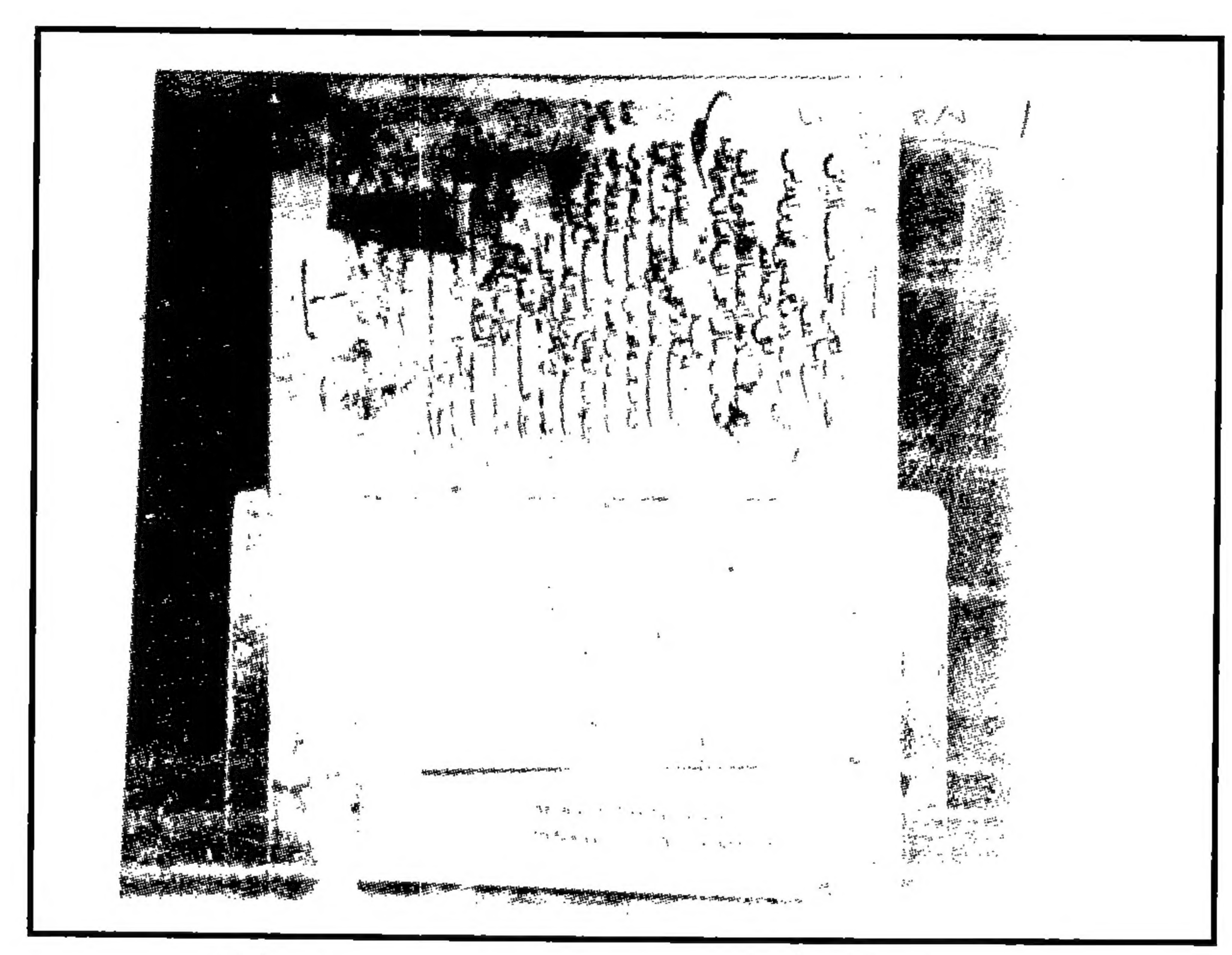
راموز الورقة الثانية من المجلد التاسع من نسخة (س)

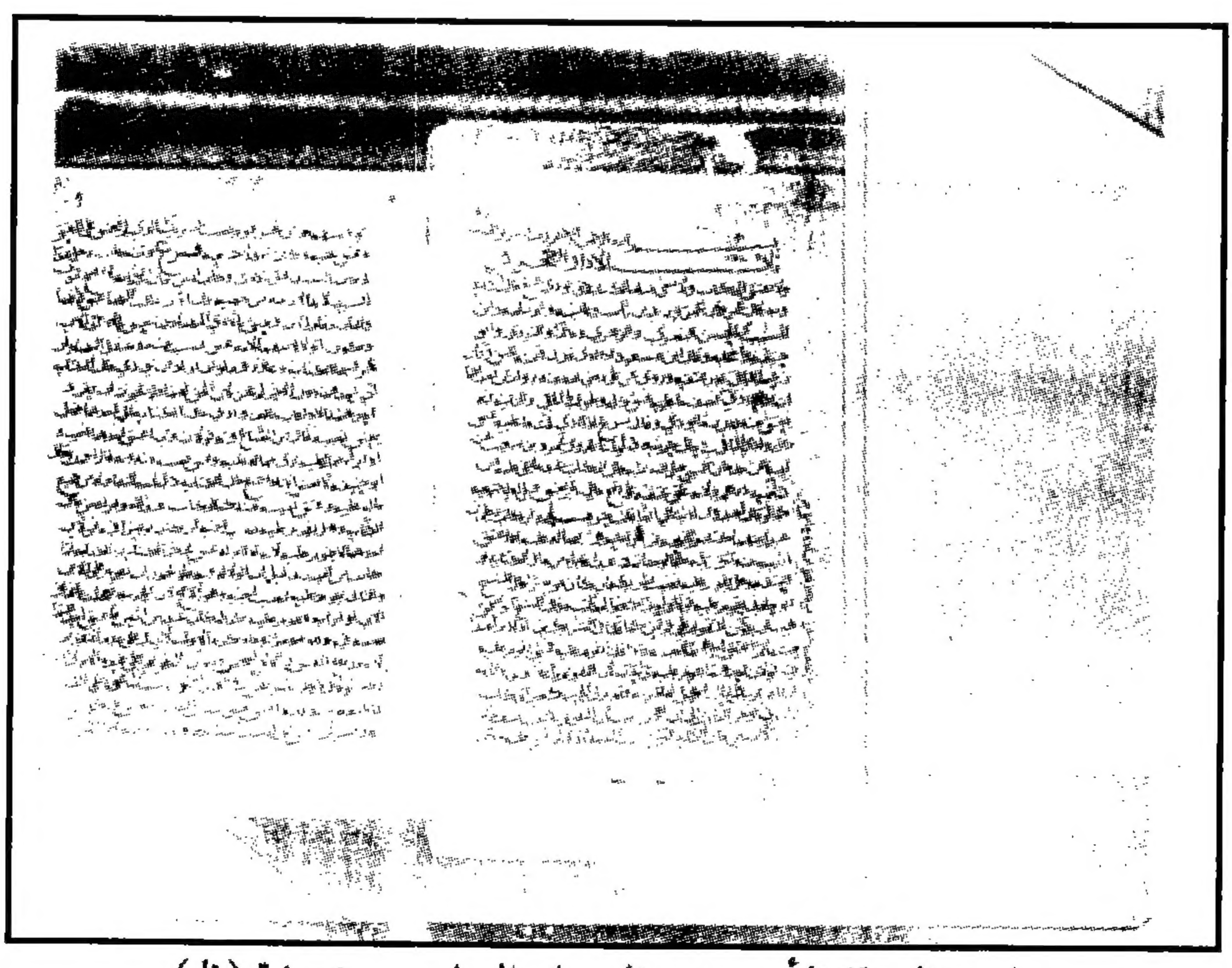


راموز الورقة الأولى من المجلد الثالث من نسخة (ظ)



راموز الورقة الثانية من المجلد الثالث من نسخة (ظ)


راموز الورقة الأولى من المجلد السابع من نسخة (ظ)


راموز الورقة الأخيرة من المجلد السابع من نسخة (ظ)

فهرس المقدمات

* * *